الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق

آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /**السيد جعفر مرتضى العاملي**. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.

٥١٢ ص.

ISBN : ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩ ـ ٧   ٦٠٠،٠٠٠ ريال

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

كتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت ـ ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢ . إسلام ـ تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٣ ص ٤٢ع BP ٣٧/٣٥   ٢٩٧/٩٥١

١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـ.ش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ ـ ٤٥	**٦٠٠٠٠ توماناً**
ردمك ج٣١:	**٥ ـ ٣ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨**

العنوان: ايران ـ قم ـ ٤٥ متري صدوق ـ صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ ـ ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى طبع شده است

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل التاسع:

لسان قيس، وسيف العكبر..

حقد معاوية على الأنصار:

قال ابن أعثم:

وأصبح القوم، فعبى علي «عليه السلام» أصحابه، وتقدمت الأنصار بين يديه براياتها وأعلامها.

فقال معاوية: من هؤلاء الذين خرجوا في هذه التعبية؟!

فقيل له: هؤلاء الأنصار.

ويتابع المنقري، وابن أعثم:

إن معاوية ـ حين قيل له ذلك ـ دعا النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري، ومسلمة بن مخلد الأنصاري، ولم يكن معه من الأنصار غيرهما، فقال: يا هذان، لقد غمني ما لقيت من الأوس والخزرج، صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال، حتى والله جبّنوا أصحابي، الشجاع والجبان، وحتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قالوا قتلته الأنصار.

أما والله، لألقينهم بحدى وحديدي، ولأعبين لكل فارس منهم

فارساً ينشب في حلقه، ثم لأرمينهم بأعدادهم من قريش، رجال لم يغذهم التمر والطفيشل، يقولون: نحن الأنصار!! قد والله آووا ونصروا، ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم.

[أو قال: ألا يرجعون إلى أكل التمر والطفيشل، ويتركون الحرب لأهلها] .

فغضب النعمان، فقال: يا معاوية، لا تلومن الأنصار بسرعتهم في الحرب، فإنهم كذلك كانوا في الجاهلية.

فأما دعاؤهم الله، فقد رأيتهم مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» [يفعلون ذلك كثيراً]. [ورأيت بلاءهم بين يديه].

وأما لقاؤك إياهم في أعدادهم من قريش فقد علمت ما لقيت قريش منهم [قديماً]، فإن أحببت أن ترى فيهم مثل ذلك آنفاً، فافعل.

وأما التمر والطفيشل فإن التمر كان لنا، فلما أن ذقتموه [غلبتمونا عليه] شاركتمونا فيه.

وأما الطفيشل، فكان لليهود، فلما أكلناه غلبناهم عليه، كما غلبت قريش على السخينة.

ثم تكلم مسلمة بن مخلد، فقال: يا معاوية، إن الأنصار لا تعاب أحسابها ولا نجداتها.

وأما غمهم إياك، فقد والله غمونا، ولو رضينا ما فارقونا، وما فارقنا جماعتهم، وإن في ذلك لما فيه من مباينة العشيرة، ومباعدة الحجاز وحرب العراق، ولكن حملنا ذلك لك، ورجونا منك عوضه.

وأما التمر والطفيشل، فإنهما يجران عليك نسب السخينة والخرنوب.

وانتهى الكلام إلى الأنصار، فجمع قيس بن سعد الأنصاري الأنصار، ثم قام خطيباً فيهم، فقال:

إن معاوية قد قال ما بلغكم، وأجاب عنكم صاحباكم، فلعمري لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالأمس، وإن وترتموه في الإسلام، فقد وترتموه في الشرك، ومالكم إليه من ذنب [أعظم] من نصر هذا الدين، الذى أنتم عليه، فجدوا اليوم جداً تنسونه [به] ما كان أمس، وجدوا غداً [جداً] تنسونه [به] ما كان اليوم، وأنتم مع هذا اللواء، الذى كان يقاتل عن يمينه جبرائيل، وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبى جهل والأحزاب.

وأما التمر، فإنا لم نغرسه، ولكن غلبنا عليه من غرسه.

وأما الطفيشل، فلو كان طعامنا لسمينا به، إسماً كما سميت قريش السخينة.

ثم قال قيس بن سعد في ذلك:

يا ابن هند دع التوثب في الحر ... ب إذا نحن في البلاد نأينا[1]

[نحن منك الغداة أقرب من أمـ ... ـس وقد قرب القنا عسكرينا]

نحن من قد رأيت فادن إذ شيئـ ... ـت بمن شئت في العجاج إلينا

---

(1) عند ابن أعثم: في الحروب ثوينا.

إن بـرزنـا بالجمع نلقك في الجمـ ـع وإن شـئت محضـة أسـرينا
فـالقـنـا في اللفيف نلقك في الخز ـرج نـدعو فـي حربنـا أبوينـا
أي هـذيـن مـا أردت فـخـذه لـيس منـا ولـيس منـك الهوينـا
ثـم لا تـنــزع العـجـاجة حتى تنجلــي حربنــا لنــا أو علينــا
لــيـت مــا تـطلـب الغداة أتانا أنعـــم الله بالشـــهادة عينـــا
إنـــنـــا إنـــنـــا الـذيـــن إذا الفتـ ـــح شـــهدنا وخيبـــراً وحنينـــا
بـعد بـدر وتــلك قاصمة الظهر وأُحـــــد وبالنضـــــير ثنينـــــا
يــوم الأحــزاب(1) قـد علم النا س شـفـيـنــــا مـــن قـــبلكم واشتفينا

فلما بلغ شعره معاوية، دعا عمرو بن العاص، فقال: ما ترى في شتم الأنصار؟!

قال: أرى أن توعد ولا تشتم، ما عسى أن نقول لهم؟!

إذا أردت ذمهم، فذم أبدانهم، ولا تذم أحسابهم.

قال معاوية: إن خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيباً، وهو والله يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنا حابس الفيل، فما الرأي؟!

قال: الرأى التوكل والصبر.

فأرسل معاوية إلى رجال من الأنصار، [الذين هم مع علي بن

(1) لعل الصحيح: يوم الأحزاب حيث قد علم الناس.

أبي طالبٍ] فعاتبهم. منهم: عقبة بن عمرو، وأبو مسعود، والبراء بن عازب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وخزيمة بن ثابت، وزيد بن أرقم، وعمرو بن عمير، والحجاج بن غزية، وكان هؤلاء يُلقَونَ في تلك الحرب، فبعث معاوية بقوله: لتأتوا قيس بن سعد.

فمشوا بأجمعهم إلى قيس، فقالوا: إن معاوية لا يريد شتماً [شتمنا]، فكف عن شتمه.

[فقال: كلا إني لا أمسك عن شتمه أبداً، حتى ألقى الله] [أو:]

فقال: إن مثلي لا يشتم، ولكني لا أكف عن حربه حتى ألقى الله.

وتحركت الخيل غدوة من نحو معاوية، فظن قيس بن سعد أن فيها معاوية، [فاستوى على فرسه]، فحمل على رجل يشبهه فقنعه بالسيف فإذا غير معاوية، وحمل الثانية [على آخر] يشبهه أيضاً فضربه، [وقنع ثالثاً فقتله، فتحاماه الناس.

فصاح معاوية: ويحكم يا أهل الشام، إذا رأيتم هذا الرجل في الحرب، فاحترسوا منه، فإنه ـ والله ـ الأسد الضرغام.

قال: ورجع قيس بن سعد إلى موقفه] ثم انصرف، وهو يقول:

قولوا لهذا الشاتمى معاويه   إن كل ما أوعدت ريح هاويه
خوفتنا أكلب قوم عاويه   إلي يا بن الخاطئين الماضية
ترقل إرقال العجوز الجارية   في أثر السارى ليالى الشاتيه

فقال معاوية: يا أهل الشام، إذا لقيتم هذا الرجل، فأخبروه

بمساويه.

وغضب النعمان ومسلمة على معاوية، فأرضاهما بعد ما همَّا أن ينصرفا إلى قومهما، ولم يكن مع معاوية من الأنصار غيرهما.

النعمان بن بشير، وقيس بن سعد:

ثم إن معاوية سأل النعمان أن يخرج إلى قيس، فيعاتبه ويسأله السلم.

فخرج النعمان حتى وقف بين الصفين، فقال: يا قيس، أنا النعمان بن بشير.

فقال قيس: هيه يا ابن بشير، فما حاجتك؟!

فقال النعمان: يا قيس، إنه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضي لنفسه، ألستم معشر الأنصار، تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار، وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وأقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفين، فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم علياً، لكانت واحدة بواحدة، ولكنكم خذلتم حقاً ونصرتم باطلاً، ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس، حتى أعلمتم في الحرب، ودعوتم إلى البراز، ثم لم ينزل بعلي أمر قط إلا هونتم عليه المصيبة، ووعدتموه الظفر.

وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم.

فاتقوا الله في البقية.

فضحك قيس، ثم قال: ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذه

المقالة، إنه لا ينصح أخاه من غش نفسه، وأنت والله الغاش الضال المضل.

أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك، فخذها منى، واحدة: قتل عثمان من لست خيراً منه، وخذله من هو خير منك.

وأما أصحاب الجمل، فقاتلناهم على النكث.

وأما معاوية، فوالله أن لو اجتمعت عليه العرب [قاطبة] لقاتلته الأنصار.

وأما قولك: إنا لسنا كالناس، فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله، نتقى السيوف بوجوهنا، والرماح بنحورنا، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

ولكن أنظر يا نعمان! هل ترى مع معاوية إلا طليقاً، [أو أحزابياً]، أو أعرابياً، أو يمانياً مستدرجاً بغرور؟!

أنظر أين المهاجرون والأنصار، والتابعون بإحسان، الذين «رضى الله عنهم»، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك، [مسلمة بن مخلد] ولستما والله ببدريين، [ولا عقبيين]، ولا أحديين، ولا لكما سابقة في الإسلام، ولا آية في القرآن.

ولعمري لئن شغبت علينا، لقد شغب علينا أبوك [من قبلك في سقيفة بني ساعدة، فاعزب عني قبحك الله من ابن عم، وقبح وجهك].

وقال قيس في ذلك:

والـراقـصـات بـكل أشعث أغبر خـوص العيـون تحثهـا الركبـان
مــا ابـن الـمـخلد ناسياً أسيافنا فــي مــن نحاربــه ولا النعمــان
تــركـا الـبـيـان وفي العيان كفاية لـــو كـــان ينـفـــع صـــاحبيه عيان

ولهذه الأبيات بقية عند ابن أعثم، فمن أحب الإطلاع عليها، فليرجع إليه(1).

ونقول:

ينبغي أن نسجل هنا ما يلي:

إيضاحات:

الطفشيل: نوع من المرق.

السخينة: طعام يتخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة. وفوق الحساء.

الخرنوب: هو الخروب. شجر معروف.

المصطلحات المختارة:

لعلنا أشرنا في هذا الكتاب إلى أن من يدخل إلى الحياة الإجتماعية العامة، ويتغلغل بين فئاتها المختلفة، سيلاحظ: أن لكل فئة

---

(1) صفين ص445 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص110 - 112 و 166 - 168.

لغتها، ومصطلحاتها، وعاداتها، وآدابها، وثقافتها الخاصة بها، وربما كان هذا الإختلاف ظاهراً حتى في أفراد البيت الواحد.. فبيئة الرجل وثقافته، واهتماماته، ومصطلحاته قد تختلف عن بيئة، وثقافة واهتمامات، ومفاهيم زوجته مثلاً، وقد يختلف الأبناء فيما بينهم في ذلك كله، والبنات يختلفن في ذلك فيما بينهن، وعن الأب، وعن الأم، وعن كل فرد فرد من الأفراد الذين يعيشون في ذلك البيت..

ويختلف العالم فيهم عن الجاهل، والمؤمن المتدين عن غير المؤمن، وغير المتدين.

والغني عن الفقير فيهم.. والوجيه المكرّم، وصاحب النفوذ عن غيره.. وهكذا..

وإذا لاحظنا حرب صفين، فسنجد: أن ما يعتد ويفتخر به معاوية وأصحابه ويعدّونه مكرمات وفضائل يختلف عما يعتد ويفتخر به علي «عليه السلام»، وأصحابه، ويعدونه من الفضائل والمكرمات..

وحين يريد معاوية أن يحض أصحابه على القتال، فإن ما يغريهم به، ويحذرهم منه يختلف عما يغري به علي «عليه السلام»، ويحذر منه أصحابه.. فعلي «عليه السلام» ذكر لهم رضا الله تعالى، والقرب منه، ويحذرهم من النار، ومن غضب الجبار، ويذكر لهم الجنة ونعيمها، وحور عينها، ويرغبهم في الإستشهاد، والثواب الجزيل، وما يشبه هذه المعاني.

أما معاوية فيحذرهم من الجبن ويدعوهم إلى الشجاعة، وإلى

المناصب والولايات ويرغبهم بالأعطيات والأموال، ويحدثهم عن الأنساب، والفروسية والنجدة، وعن الرئاسة والزعامة، وعن ملك الشام والعراق، ونحو ذلك..

وفي النص المذكور آنفاً، وفي النصوص التي وردت في كتابنا هذا شواهد كثيرة على هذه الظاهرة، فإن معاوية ـ كما تقدم ـ حين سأل عن الكتيبة التي تتهيأ لمهاجمته، قيل له: إنهم الأنصار.

ولكنه حين شكا الأنصار إلى النعمان بن بشير، ومسلمة بن مخلد، لم يذكر تلك الكتيبة بنفس هذا الوصف، بل ذكرها بالإسم العشائري، الذي يشي بالعصبية والعنصرية، وينضح بالإنتقام، ويغري بالثارات القبلية، وحيث تكون الإمتيازات والحرمان منها على أساس العرق، والإنتماء القبلي.. لا على أساس الأهلية والجدارة، فقال لهما: لقد غمني ما لقيت من الأوس والخزرج. ثم توعدهم بأعدادهم من قريش، ولم يذكر المهاجرين، ومن الواضح أن كلمة المهاجرين والأنصار لغة تستبطن الإيحاء بتاريخ، وإنتماء ديني، وتضحية وجهاد..

كما أن أهل الدين يقولون: استشهد فلان.. وأهل الدنيا يقولون: قتل. وأهل الدين يذكرون الجهاد والفداء، والإيثار والتقوى، والمهاجرين والأنصار، ونحو ذلك.. وغيرهم يتحدث عن قريش ويقابلها بالأوس والخزرج، ويتحدث عن الفروسية والغارات، والزعامة والرئاسة.. والعطاءات والأموال والأنساب.

ويعيَّر بعضهم بعضاً بالتمر والطفيشل، أو بأكلة السخينة.. وأمثال ذلك كثير..

كلام قيس هو الأنكى:

ولم يحفل معاوية بردّ النعمان بن بشير، ومسلمة بن مخلد عليه، لأنهما لم يخرجا عن الوتيرة التي رسمها، وهي المنحى الجاهلي في مهاجمته للأنصار، وفي ردهما عليه، ودفاعهما عنهم.

ولكن قيس بن سعد وضع إصبعه على جرح معاوية، فكان أكثر إيلاماً له، لأنه فضحه، وبين دوافعه الحقيقية لمهاجمة الأنصار، وأعلن سبب حقده عليهم، وهو أنهم قد نصروا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومكنوا لهذا الدين.. وأفشلوا خطط قريش بزعامة أبي سفيان، ومساعدة ومشاركة معاوية وابن العاص، وسائر الشخصيات الأموية، التي ـ ما فتئت ـ تواصل حربها على وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، للوصول إلى نفس الهدف، الذي كانوا يسعون إليه في حربهم للرسول «صلى الله عليه وآله»، والذي ساهم الأنصار أيضاً في إفشاله وضياعه..

وها هو يرى الأنصار يسعون في إفشال نفس الهدف، الذي يحمله نفس الأشخاص، وينصرون نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرة أخرى، ولكن في صورة علي «عليه السلام»، حسبما قررته آية المباهلة.

ولذلك احتاج معاوية إلى التوسل بجماعة من زعماء الأنصار أنفسهم، ليسكتوا قيساً، زاعماً لهم أن قيساً يشتمه شخصياً، ولا يرغب هو في شتم الأنصار..

فبيَّن لهم قيس: أنه لم يشتم معاوية، ولكنه يفضح خططه، ولن يكف عن حربه، حسبما تقدم..

العكبر يقتل فارس أهل الشام:

[قال نصر: وحدثنا عمر بن سعد، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب قال]: كان فارس أهل الكوفة الذى لا ينازع رجل كان يقال له العكبر بن جدير الأسدى. وكان فارس أهل الشام الذى لا ينازع عوف بن مجزأة الكوفى [المرادى] المكنى أبا أحمر. وهو أبو الذى استنقذ الحجاج بن يوسف يوم صرع في المسجد بمكة.

وكان العكبر له عبادة ولسان لا يطاق، فقام إلى علي، فقال: «يا أمير المؤمنين، إن في أيدينا عهداً من الله لا نحتاج فيه إلى الناس، وقد ظننا بأهل الشام الصبر وظنوه بنا، فصبرنا وصبروا.

وقد عجبت من صبر أهل الدنيا لأهل الآخرة، وصبر أهل الحق على أهل الباطل، ورغبة أهل الدنيا.

ثم نظرت فإذا أعجب ما يعجبنى جهلي بآية من كتاب الله: **(الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا**

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)(1)».

وأثنى عليه علي خيراً، وقال خيراً.

وخرج الناس إلى مصافهم وخرج [عوف بن مجزأة] المرادى نادراً من الناس، وكذلك كان يصنع.

وقد كان قَتَل قبل ذلك نفراً [من أهل العراق] مبارزة، فنادى: يا أهل العراق، هل من رجل عصاه سيفه يبارزني، ولا أغركم من نفسي، فأنا فارس زوف.

فصاح الناس بالعكبر، فخرج إليه منقطعاً من أصحابه والناس وقوف، ووقف المرادي وهو يقول:

بالشام أمن ليس فيه خوف   بالشام عدل ليس فيه حيف
بالشام جود ليس فيه سوف   أنا المرادى ورهطي زوف
أنا ابن مجزاة واسمى عوف   هل من عراقي عصاه سيف
يبرز لي، وكيف لي، وكيف؟!

فبرز إليه العكبر وهو يقول:

الشام محل والعراق تمطر   بها الإمام والإمام مُعْذِر
والشام فيها للإمام مُعْوِر   أنا العراقى واسمى العكبر
ابن جدير وأبوه المنذر   ادن فإنى للكمي مصحر

---

(1) الآيات 1 - 3 من سورة العنكبوت.

فاطَّعنا فصرعه العكبر فقتله.

ومعاوية على التل في أناس من قريش ونفر من الناس قليل، فوجه العكبر فرسه، فملأ فروجه ركضاً يضربه بالسوط، مسرعاً نحو التل.

فنظر إليه معاوية فقال: إن هذا الرجل مغلوب على عقله أو مستأمن، فاسألوه.

فأتاه رجل وهو في حَمْيِ فرسه فناداه فلم يجبه، فمضى [مبادراً] حتى انتهى إلى معاوية، وجعل يطعن في أعراض الخيل، ورجا العكبر أن يفردوا له معاوية، فقَتَل رجالاً.

وقام القوم دون معاوية بالسيوف والرماح، فلما لم يصل إلى معاوية نادى: أولى لك يا ابن هند، أنا الغلام الأسدي.

فرجع إلى علي «عليه السلام»، فقال له: ماذا دعاك إلى ما صنعت يا عكبر؟! [لا تلق نفسك إلى التهلكة] قال: أردت غِرَّة ابن هند.

[فتبسم علي «رضي الله عنه»، ثم قال: لله درك يا كعبر(1)]

وكان شاعراً فقال:

قتلت المرادى الذى جـــاء بـــاغيا ....

---

(1) في كتاب الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص96: الكعبر بدل العكبر.

إلى أن قال في وصف هجومه على معاوية:

فقـدمت مهرى آخذاً حد جريه فأضـربه فـي حومـة بشـمالي
أريـد بـه التـل الذى فوق رأسه معاويـة الجـاني لكـل خبـال
يقول ومهرى يغرف الجرى جامحا بفارسـه قـد بـان كـل ضـلال
فلمـا رأوني أصدق الطعن فيهم جلا عنهم رجم الغيوب فعالى
فقـام رجـال دونـه بسـيوفهم وقـال رجـال دونـه بعـوالي
فلـو نلتـه نلت التى ليس بعدها من الأمر شيء غير قيل وقال
ولـو مت في نيل المنى ألف ميتة لقلت إذا مـا مـت لسـت أبالى

وانكسر أهل الشام لقتل [عوف] المرادي، وهدر معاوية دم العكبر، فقال العكبر: يد الله فوق يد معاوية، فأين دفاع الله عن المؤمنين؟!(1).

إيضاحات:

زوف: أبو قبيلة. وهوزوف بن زاهر ـ أو أزهر ـ بن عامر، بن عويثان.

سوف: يقال: فلان يقتات السوف، أي يعيش في الأماني.

مُعْذِر: منصف.

---

(1) راجع ما تقدم في: صفين للمنقري ص450 ـ 452 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص95 ـ 97 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص88 ـ 91.

المعور: القبيح السريرة.

مصحر: واضح ومنكشف.

نادراً من الناس: متباعداً عنهم.

فروج الدابة: ما بين قوائمها. ملأ فروج دابته إذا جعلها تعدو بكل ما تستطيع.

الخبال: الفساد في الأبدان والأفعال والعقول. والهلاك.

يغرف الجري: كناية عن سرعة جريه، وتشبيهاً لحركة قوائمه بطريقة غرف الماء بسرعة.

حَمْيِ الفرس: اشتداد عدوه.

طاعوا: الطوع نقيض الكره.

ونقول:

علينا أن نشير إلى الأمور التالية:

العكبر فارس أهل الكوفة:

قد يقال: ذكر النص المتقدم: أن العكبر كان فارس أهل الكوفة الذي لا ينازع..: أين الأشتر وابن بديل، والمرقال، ونظراؤهم؟!

ويجاب:

أولاً: إن هؤلاء لم يكونوا من أهل الكوفة، فهذا يماني، وذاك حجازي من المدينة، وآخر من بلد ثالث، وهكذا.. فلا يلاحظ حاله وحالهم، ولا تجري المقايسة والمفاضلة بينه وبينهم.

ثانياً: قد يوصف شخص بأنه فارس أهل الكوفة، ويوصف آخر بأنه فارس أهل العراق، وهناك من يوصف ـ كأمير المؤمنين «عليه السلام» ـ بأنه فارس الأولين والآخرين.. ولا منافاة بين ذلك كله.. لأن الحديث عن كل منهم إنما هو بغض النظر عن حال الآخر.

العكبر: وعي واتزان:

إننا لا نريد أن نستطرد كثيراً في بيان دلالات ومرامي أقوال الكعبر (العكبر)، أو غيره من الأشخاص والجماعات، ولا بيان كثير من أحوالهم، سواء أكانوا من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» أو من فريق القاسطين، فإن ما يهمنا هنا هو سيرة وأقوال ومواقف أمير المؤمنين «عليه السلام»، مع مراعاة الإختصار والإقتصار على ما تيسر منها. فليلاحظ ذلك.

العهد الذي لدى أصحاب علي ×:

وقد ذكر الكعبر: أن في أيديهم عهداً لا يحتاجون فيه إلى أحد..

ولعله يقصد بالعهد هو ما عهد به رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأمير المؤمنين «عليه السلام» من قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، أو ما كان من الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» من جعل علي «عليه السلام» إماماً وولياً للأمة، وبيعة الغدير التي جسدت هذا العهد.. ثم بيعة المهاجرين والأنصار له «عليه السلام» بعد قتل عثمان. فلم يبق بعد كل ما ذكرناه عذر لمعتذر، ولا حيلة

لطالب حيلة.

فأصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» على بصيرة من أمرهم، ويقين من دينهم.. فلا يحتاجون لشهادة أحد، ولا لتأييد ودلالة أي كان من الناس.

متى يكون الصبر؟!:

وقد تعجب العكبر من صبر أهل الآخرة على أهل الدنيا، ومن صبر أهل الدنيا لأهل الآخرة على حد سواء.

ويمكن توضيح ما يرمي إليه كما يلي:

ألف: إن من حق العكبر أن يتعجب من صبرأهل الدنيا لأهل لآخرة، فيتحملون الأخطار الجسام التي قد تتجاوز الجرح، وقطع الأعضاء، والتشويه الدائم، بل قد يصل الأمر إلى إزهاق الأرواح في سبيل أمر يعلمون أنه لا يدوم لهم، ولا تدوم لذته، بل يكونون هم الذين يتركونه وينتقلون عنه.

ولكن هذا العجب يزول لدى العكبر وغيره بالإلتفات إلى حقيقة: أن من لا يؤمن بالآخرة، وبالحياة بعد الموت، سيشعر بأن فقدانه لهذه المنفعة التي هي كلعقة الكلب أنفه سيكون أبدياً، ولن يجد ما يعوضه عنها على نحو القطع واليقين.

أما جرحه، أو قطع بعض أعضائه، أو قتله، فيبقى بالنسبة إليه مجرد احتمال، ولن يرضى بفوات هذه اللذة لأجل ذلك الإحتمال.. وسيجد من يتعجب منه لو فوَّت هذه اللذة التي لن يجد لها عوضاً، ولن

يعذر باعتنائه باحتمال الجرح أو القتل الذي يراود ذهنه استناداً إلى هذا الإحتمال.

ولكننا نقول:

حبذا لو أن العكبر لم يقصر نظرته على هذا، بل تجاوز ذلك لينظر إلى مبرر هذا الصبر، فإنه هو الأعجب والأغرب، لأنه لا يعدو كونه سفهاً ظاهراً، وعبثاً ومجوناً فاقداً لأي مبرر يستحق أن يتوهمه عاقل يحترم نفسه، فضلاً عن أن يعوِّل عليه.. لأن من أتفه الأمور وأسخفها: أن لا يهتم أحد للآخرة، أو أن ينكرها، فضلاً عن أن ينكر وجود خالق مدبر، أو أن يعتقد بوجود خالق، ولكنه يزعم: أنه لا شغل له بحساب، ولا ثواب، ولا عقاب. وأن يعتبر ذلك هو صبر أهل الدنيا لأهل الآخرة.. فإذا كان هو سبب صبر أهل الدنيا لأهل الآخرة، فعلى عقولهم العفا..

ب: وبذلك يتضح الكلام حول صبر أهل الحق على أهل الباطل، فإن الكلام عينه وبكل عناصره جار فيهم أيضاً، ولكن بطريقة معكوسة. كما يعلم بالتأمل والتدبر.

فتنة المؤمنين، ليمتاز الصادقون:

وقد تعجب العكبر من جهله بقوله تعالى: (**الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**

فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)[1].

ويبدو: أن سبب تعجبه من جهله بهذه الآية، أنها هي التي تزيل تعجبه من صبر أهل الدنيا لأهل الآخرة، وصبر أهل الآخرة على أهل الدنيا. فقد صرحت بأن من الناس من يحسب مجرد ادعائهم الإيمان بلسانهم، يكفي في تبرير إقدامهم على أي عمل يمكّنهم من الحصول على كل الملذات في الدنيا، وأنه لا حساب ولا عقاب على تلك الأعمال..

فيقول الله تعالى لهم: من أين جاءكم هذا الأمن من الحساب والعقاب، ألا تعلمون أنه لا بد من الفتنة والإختبار العملي لكم، ليظهر الصادق منكم في إيمانه من غير الصادق؟!

وذلك لأن نفس الإعتراف بالخالق المدبر ملازم للإعتراف بالحساب، وبالثواب والعقاب..

وهذا بالذات هو حال القاسطين، فإنهم يدعون الإيمان، ويعترفون بالله سبحانه، ولكنهم طلبوا الدنيا، وتعاملوا معها تعامل من نسي الآخرة، أو جحدها واعتبر نفسه في مأمن من الحساب، لأنه اعتبر أن خسارته للدنيا وحطامها خسارة لكل شيء. ولذلك تراه يخاطر بنفسه ويعرضها لخطر الجرح، وقطع الأعضاء، وللقتل، ثم يستبيح المحرمات، ويرتكب كل ما قدر عليه من موبقات في سبيلها، فأفعاله

(1) الآيات 1 - 3 من سورة العنكبوت.

أفعال من لا يؤمن بالآخرة.. كما علم من الفقرات السابقة.

ليعملن الله الذين صدقوا:

وقول الله تعالى في الآية المباركة: **(فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)**[1] لا يعني أنه تعالى لم يكن يعلم، ثم سيعلم بعد فتنة الناس وامتحانهم ـ الصادق من الكاذب. فإن الله تعالى لا يمكن أن يجهل شيئاً.

بل المراد: أن ما يعلمه سوف يتجسد على صفحة الوجود، ويصير أمراً واقعاً وشاهداً وعينياً يراه كل أحد..

وقد ذكرنا ذلك حين تكلمنا عن موضوع البداء في الجزء الثاني من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، فراجع..

عوف بن مجزأة يكذب:

وقد قال عوف بن مجزأة في رجزه الذي قاله على مرأى ومسمع من الجيشين:

بالشام أمن ليس فيه خوف بالشام عدل ليس فيه حيف
بالشام جود ليس فيه سوف إلخ..

وهذا كذب ظاهر تظهره الوقائع. وحرب صفين خير شاهد على

(1) الآية 3 من سورة العنكبوت.

أن أهل الشام في حربهم على علي «عليه السلام» كانوا من أظلم الظالمين، وأبخل الباخلين، فإن من يقتل عشرات الألوف من أهل القبلة طمعاً بالدنيا. لا يمكن أن يسمى عادلاً، ولا جواداً، ولا يؤمن على دماء الناس وأعراضهم وأموالهم.. ولا نريد أن نقول أكثر من هذا.

وكأن هذا الرجل يريد بكلامه هذا: أن يخدع أهل العراق، ويجعلهم أو يجعل بعضهم يميل إلى دنيا معاوية، ولذلك أجابه العكبر على رجزه مكذباً لهذه الدعاوى، فقال:

الشام محل والعراق ممطر بها الإمام والإمام معذر
والشام فيها للإمام ومعور الـخ..

فأشار إلى حقيقة:

1 ـ أن الخيرات بالعراق وليست بالشام، فترك بلد الخصب والخير، واختيار بلد الشح والمحل.. ليس أمراً عقلائياً.

2 ـ إن إمام الحق الذي يعدل ولا يحيف، ويأمن في كنفه الخائفون، ويسد خلة المعوزين في العراق لا في الشام..

3 ـ إن الإمام الذي في العراق هو الذي يعفو عن المذنبين، ويقبل توبة التائبين، ويقيل المعتذرين.

4 ـ أما الشام، ففيها أهل الأحقاد والضغائن، وأصحاب النوايا السيئة والسرائر القبيحة. فكيف يمكن أن يفكر أحد بالشام وهذه حالها وحال حكامها، وحال أهلها؟!

حب الحسين أجنني:

قال أبو مخنف: حدثني نمير بن وعلة، عن رجل من بني عبد من همدان يقال له: ربيع بن تميم، شهد ذلك اليوم، قال: لما رأيته (رأيت عابساً) مقبلاً عرفته، وقد شاهدته في المغازي، وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس هذا أسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجن إليه أحد منكم.

فأخذ ينادى: ألا رجل لرجل.

فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة.

قال: فرمي بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثم شد على الناس[1].

وروى بعض خطباء المنبر الحسيني: أن رفيقه قال له: أجننت يا عابس؟!

فقال: حب الحسين أجنني.

ونحن وإن كنا لا نرى أن كلام هذا الخطيب يصلح شاهداً، ولكننا نقول:

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج3 ص329 و (ط الأعلمي) ج4 ص338 والبداية والنهاية ج8 ص185 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص200 وبحار الأنوار ج45 ص29 والعوالم، الإمام الحسين «عليه السلام» ص272 ولواعج الأشجان ص159.

إن ما جرى للعكبر في صفين يؤدي هذا المعنى، فقد تقدم: أنه لما قتل عوف بن مجزأة، توجه بفرسه نحو معاوية، وهو يضرب فرسه بالسوط حتى ملأ فروجه ركضاً.

فقال معاوية: إن هذا الرجل مغلوب على عقله، أو مستأمن فاسألوه.

فظهر لهم أنه مهاجم لمعاوية بالذات، فتصدوا له..

ولا شك في أن المشاعر الجياشة التي استبدت بالعكبر قد دفعته إلى هذه المخاطرة التي نجا منها بلطف من الله تبارك وتعالى..

كما أن هذا التصرف من العكبر يدل على أنه كان يعرف أن معاوية هو أساس المشكلة، وأن غيابه عن الساحة هو الذي ينهي المشكلة، ويفرق جمع أهل الشام.

ويعلم أيضاً: أن معاوية إذا قتل، فلن يتمكن عمرو بن العاص من قيادة أهل الشام لمواصلة الحرب، لأنه لم يكن معروفاً لديهم، كما أنه سيكون له من بني أمية العديد من المنافسين الأقوياء، من أمثال: مروان، والوليد بن عقبة، وإخوة معاوية، والضحاك بن قيس، وأضرابهم، فضلاً عن غيرهم من زعماء تلك البلاد، مثل: أبي الأعور، وشرحبيل بن السمط وسواهما.

لا تلق نفسك إلى التهلكة:

وربما يسأل البعض عن سبب قول أمير المؤمنين «عليه السلام» للعكبر: لا تلك نفسك إلى التهلكة، فيقول: أليست الحرب مبنية على

المخاطرة، وتعريض النفس للقتل وللجرح، ولقطع الأعضاء. ولم يزد العكبر على هذا حين هاجم معاوية..

ونجيب:

بأن هناك مخاطرات تبقى في الحدود المقبولة والمعقولة، وهي تلك التي يصنعها العدو، وتفرضها الحرب في مسارها الطبيعي، ولا يجد المتحاربون بداً من مواجهتها وممارسة القتال في أجوائها، مع بذل الجهد لدفعها وتلافيها.

وهناك أخطار يصنعها المقاتل لنفسه، ثم يلقي بنفسه في أتونها الملتهب، وبعض هذه الأخطار لا يصح الإقدام عليه، إلا في ظروف خاصة. والإمام هو الذي يقرر الدخول في أمر كهذا أو عدم الدخول.. ولا يصح للمقاتل أن يتفرد في اتخاذ القرار فيه، لأن ذلك يحمل معه سلبيات في أحد اتجاهين أو كليهما:

أحدهما: أن هذا من شأنه أن يعرض ذلك المقاتل إلى الأخطار الشديدة وتوقعه فيما لا يصح أن يوقع نفسه فيه. مما قد يؤدي به إلى خسارة نفسه من دون أن يكون لذلك أية فائدة، أو عائدة، أو أثر إيجابي على مسار الحرب، إن لم نقل: إنه سينتهي بخسارة عنصر، يكون بقاؤه فاعلاً ومؤثراً هو الأولى والأصوب..

الثاني: إن ذلك قد يعطي العدو الفرصة لتغيير مسار الأمور لصالحه، أو باتجاه لم تكن القيادة قد هيأت وتهيأت للدخول فيه. وربما يؤدي إلى انتكاسات خطيرة أو معاناة صعبة، وغير مبررة، وربما

وربما.

وذلك يعطي: أن الإقدام على هذا النوع من التصعيد يحتاج إلى إذن الإمام.. ليكون هو الراصد للحركة العامة ومهيمناً على مسار الأمور.

الفصل العاشر:

أصرار علي ×
على مبارزة معاوية..

أكره مبارزة الأهوج:

قال المنقري:

حدثنا عمر بن سعد، عن الشعبي قال: أرسل علي إلى معاوية: أن ابرز لي، واعف الفريقين من القتال، فأينا قتل صاحبه كان الأمر له.

قال عمرو: لقد أنصفك الرجل.

فقال معاوية: إني لأكره أن أبارز الأهوج الشجاع. لعلك طمعت فيها يا عمرو.

[فلما لم يجب] قال علي: «وا نفساه، أيطاع معاوية وأعصى؟! ما قاتلت أمة قط أهل بيت نبيها وهي مقرة بنبيها إلا هذه الأمة»[1].

---

(1) صفين للمنقري ص387 و 388 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص53 وبحار الأنوار ج32 ص504 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص42 والكامل في التاريخ ج2 ص383 ومروج الذهب ج2 ص396 والأخبار الطوال ص176 والمناقب للخوارزمي ص237 / 240 والبداية والنهاية ج7 ص272.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

معاوية يخجل من إلحاح علي ×:

قد تكرر طلب علي «عليه السلام» من معاوية أن يبارزه. وقد ذكرنا في هذا الكتاب بعضها.. وهذا النص الذي ذكرناه واحد منها، وسنذكر بعد صفحات يسيرة نصوصاً أخرى أيضاً..

ونعود فنذكِّر: بأن مطالبات علي «عليه السلام» لمعاوية بالمبارزة قد تعددت، حتى لقد صرح معاوية: بأنه أصبح يخجل من قريش من كثرة مطالبة علي «عليه السلام» له بذلك، ورفضه إجابة طلبه(1).

ولا ندري كيف يخجل معاوية من قريش، ولا يخجل من الله تعالى، وهو يقتل خيرة أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعبَّاد الأمة وزهادها، وصلحائها..

تكرار الطلب لسحب الذرايع:

وعن أسباب إلحاح أمير المؤمنين «عليه السلام» بهذا الأمر نقول:

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص103 و 104 وبحار الأنوار ج32 ص520 والمناقب للخوارزمي ص240 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج31 ص376.

1 ـ إن تكرار هذا الطلب من علي «عليه السلام» يهدف إلى سد ذرائع معاوية، لكي لا يتمكن من إيهام الناس أو بعضهم بأنه لم يبارز ه لأنه كان في تلك الفترة منشغلاً بما هو أهم، أو لأنه ربما كان مريضاً مثلاً، فلم يكن ليخاطر بنفسه مع علي «عليه السلام» إلا في حالة الصحة، ولو أن علياً «عليه السلام» طالبه في حال صحته لما تلكأ عن مبارزته، أو لأن أحداً قد تعلق به ومنعه من مبارزته، أو لغير ذلك من أسباب.. فجاءت مطالباته «عليه السلام» المتواصلة لتستوعب كل ظروف وأحوال معاوية، لكي لا يجد أية ذريعة يتذرع بها، ويخدع بها أحداً من الناس..

2 ـ قلنا أكثر من مرة: إن علياً «عليه السلام» قد أثبت للناس عملياً أنه يضحي بنفسه وبأبنائه، وهم صفوة الخلق، وخير أهل الأرض دفاعاً عن الأمة، وعن دينها ومستقبلها.

وقد تقدم عن قريب قوله «عليه السلام»: إنه يود أن يفدي الناس بمهجته، ويمنع من قتلهم..

ولكن معاوية يصرح ويقول: إن من كان عنده أمثال عك والأشعريين، وسواهم ممن يقتل دونه، فلماذا يخاطر بنفسه، ويبرز إلى علي «عليه السلام»؟! وسيأتي تصريحه بذلك مرة أخرى بعد صفحات يسيرة.

3 ـ إنه «عليه السلام» يريد أن يظهر للناس حقيقة: أن معاوية إنما يقاتل من أجل الملك، ومن يقاتل من أجل الملك إنما يقاتل بغيره

لينال الملك لنفسه.

لقد أنصفك الرجل:

ولا شك في أن عمرو بن العاص كان معتقداً بصحة قوله لمعاوية: لقد أنصفك الرجل.. محرضاً له على الإستجابة لطلبه.. ولكنه أراد منها أن تكون كلمة حق لينال بها بغيته الباطلة، التي هي نفس بغية معاوية، وهي الملك.. وقد أصاب معاوية في قوله لعمرو: «لقد طمعت فيها يا عمرو». ولسنا بحاجة إلى حشد الشواهد على ذلك.

ولكننا لا نوافق عمرواً في قوله: إن علياً «عليه السلام» قد أنصف معاوية، حين طلب منه المبارزة.. فأيهما قتل صاحبه كان الملك له..

لأن معاوية كان ناكثاً، قاسطاً، محارباً لإمام مفترض الطاعة ببيعة الغدير، وبنص الآيات، وأقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله».، وببيعة المهاجرين والأنصار له، وبإجماع الناس عليه، ولأنه هو الذي يستحق هذا المقام لميزاته وفضائله، التي ليست لدى أحد من الأمة.

فمعاوية يستحق القتل بأفاعيله هذه، ولا يجوز أن يبقى حياً.

ولا يجوز له أن يبارز إمامه، ويقصد قتله..

ولا يجوز أن يكون الملك له ـ حتى لو تمكن من قتل إمامه ـ

والعياذ بالله.

ولكن علياً «عليه السلام» أراد أن يحسم الأمربهذه الطريقة بعد أن انسدت جميع الأبواب، وأصبح ترك معاوية يعيث فساداً في الأمة هو الأخطر على الدين وأهله.

الأهوج الشجاع:

وقد تذرع معاوية هنا للإمتناع عن مبارزة علي «عليه السلام» بقوله: «إني لأكره أن أبارز الأهوج الشجاع».

ونقول:

أولاً: الأهوج في اللغة: هو الرجل الطويل في حمق، وطيش، وتسرع..

إذن، فهذا يمثل اعترافاً من معاوية: بأن علياً «عليه السلام» كان من الناس الطوال ولم يكن قصيراً كما يدَّعون.. فما معنى الافتراء عليه، ورميه بالقصر؟!

ثانياً: قد اعترف معاوية أيضاً بشجاعة علي «عليه السلام»، وقال: إن شجاعته هي السبب في كراهيته مبارزته.

وهذا عجيب.. فإن الناس يفخرون بمبارزة الشجعان، ويخجلون من مبارزة الجبناء، بل إذا اتفق للبعض شيء من ذلك، فإنك تجده يحاول ادعاء الشجاعة لمبارزه، ويأنف من أن يقال عنه: إنه بارز جباناً..

وقد عرف عن العرب: أنهم لا يرضون بمبارزة غير أكفائهم في الحسب والنسب والشجاعة.

فهذا القول إن دل على شيء، فهو يدل: على أن معاوية قد بلغ الغاية، وأوفى على النهاية في الجبن والهلع في الحرب، حتى لم يعد يستحي من أمثال هذه الاعترافات..

ثالثاً: إن وصف علي «عليه السلام» بالحمق والطيش والتسرع.. هو من التفاهات التي نرى أنها لا يستحق الذكر أو الرد، فإن ما أنزله الله تعالى، وما قاله النبي «صلى الله عليه وآله» في حق أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكذلك سيرته، وأقواله، وأفعاله، وسياساته، وحربه وسلمه، وتعامله مع الناس هي الرد القاطع والبرهان الساطع على مثل هذه الترهات..

وا نفساه، أيطاع معاوية وأعصى؟!:

وإذا كان معاوية جباناً إلى هذا الحد، وإذا كان باغياً وقاسطاً، و قد أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمحاربته، وإذا كان قد قتل عماراً وذا الشهادتين، وابن بديل، والمرقال، وعشرات الألوف من المسلمين المؤمنين من دون سبب إلا طمعه في الملك والسلطان..

وإذا كان علي «عليه السلام» هو الوصي والولي، وقد نصبه الله تعالى إماماً للأمة، وأمر رسوله بأخذ البيعة له يوم الغدير.. وسجل فضائله ومزاياه في كتابه الكريم، وعلى لسان نبيه العظيم.

وإذا كان لا يمكن أن يقاس معاوية الطليق ابن الطليق، المحارب

للإسلام طيلة حياته، والجاهل بأحكام الشريعة، المتجلبب بجلباب الجاهلية، بعلي العالم بالله، والمجاهد بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وباب مدينة العلم، ذي المزايا الظاهرة، والكرامات الباهرة.. فكيف يمكن لنا أن نتصور طاعة شطر الأمة الإسلامية لمعاوية، وائتمارها بأوامره لها بقتل الوصي والإمام، وكبار صحابة نبي الإسلام؟!

ألا يحق لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يتأسف على نفسه، ويندبها لما تتعرض له من ظلم وهضم، وتضييع؟! فيقول «عليه السلام»: «وا نفساه، أيطاع معاوية وأعصى»؟!

معاوية ومبارزة علي ×:

قال ابن أعثم:

وعبأ علي أصحابه كما كان يعبيهم في كل يوم، ثم خرج منقطعاً من أصحابه حتى وقف على تل هناك، وجعل يرتجز ويقول:

أنا علي فاسألوا بي تخبروا ثم ابرزوا لي في الوغى وادبروا

سيفي حسام وسناني يزهر منا النبي الطاهر المطهر

وحمزة الخير ومنا جعفر له جناح في الجنان أخضر

وفاطم عرسي وفيها مفخر هذا لهذا وابن هند مُحْجَرُ

مذبذب مطرَّدٌ مؤخر

قال: فسمع معاوية كلام علي «رضي الله عنه»، فقال: والله! لقد

دعاني إلى النزال حتى لقد استحييت من قريش.

قال: فقال له أخوه عتبة: اله عن كلام علي حتى كأنك لم تسمعه، فإنك تعلم أنه قد قتل غلامك حريثاً، وفضح عمرو بن العاص. وليس أحد من العرب يقدم على مبارزة علي «رضي الله عنه» إلا وهو من نفسه آيس، فإياك ومبارزته! فإنه والله لئن برزت إليه لا شممت رائحة الحياة بعدها أبداً(1).

قال: وجعل أهل الشام ينهون معاوية عن مبارزة علي.

فقام أبرهة بن الصباح الحميري، فقال: يا هؤلاء! أظن أن الله تبارك وتعالى قد أذن في هلاككم الخ.. (2).

ولكن النص عند المنقري هكذا:

إن علياً غلس بالناس بصلاة الفجر، ثم زحف بهم فخرج الناس على راياتهم وأعلامهم، وزحف إليهم أهل الشام.

قال: فحدثني عمرو بن شمر، عن جابر عن عامر، عن صعصعة بن صوحان والحارث بن أدهم، أن أبرهة بن الصباح بن أبرهة الحميرى قام فقال: ويلكم يا معشر أهل اليمن، والله إنى لأظن أن قد أُذِن بفنائكم، ويحكم خلوا بين هذين الرجلين فليقتتلا، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص103 و 104.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص104.

وكان [أبرهة] من رؤساء أصحاب معاوية.

فبلغ ذلك علياً فقال: صدق أبرهة بن الصباح، والله ما سمعت بخطبة منذ وردت الشام أنا بها أشد سرورا مني بهذه.

وبلغ معاوية كلام أبرهة، فتأخر آخر الصفوف [وعند ابن أعثم: فقال معاوية لأصحابه: نحوا هذا واجعلوه في آخر الصفوف] وقال لمن حوله: إنى لأظن أبرهة مصاباً في عقله.

فأقبل أهل الشام يقولون: والله إن أبرهة لأفضلنا ديناً، ورأياً وبأساً، ولكن معاوية كره مبارزة علي.

[قال: فجعل معاوية، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، يشتمون أبرهة بن الصباح، ويلومونه على ما قال].

فقال أبرهة في ذلك:

لـقـد قـال ابــن أبـرهة مقالا	**وخالفــه معاويــة بــن حــرب**
لأن الـحــق أوضــح من غرور	**ملبســـة غرائضـــه بحقـــب**
رمى بـالـفـيـلقين به جهارا	**وأنـــتم ولـــد قحطـــان بحـــرب**
فخـلـوا عنـهمـا ليثى عـراك	**فــإن الحــق يــدفع كــل كــذب**
ومــا إن يـعتـصـم يومـا بقول	**ذوو الأرحـــام إنهـــم لصـــحبي**
وكـم بـين الـمنادى من بعيد	**ومـــن يغشـــى الحـــروب بكـــل عضـــــب**
ومــن يــرد الـبقـاء ومن يلاقى	**بإسماح الطعان وصفح ضرب**
أيـهـجـرني مـعـاوية بن حرب	**ومـــا هجرانـــه ســخطا لربـــى**

وعمـرو إن يفـارقنى بقـول فـإن ذراعـه بالغـدر رحـب[1]
وإنى إن أفـارقـهـم بـدينى لـفــى ســعة إلــى شـــرق وغرب

[فأرسل معاوية إلى أبرهة بن الصباح فترضاه ببر بعثه إليه، فرضي][2].

ونقول

إيضاحات:

المحجر: فلان مُحْجَر، محرم عليه التصرف، أو محروم وممنوع.

الغرض، بفتح أوله وسكون ثانيه: حزام الرحل. جمعه غرائض.

الحقب: بالتحريك حبل يشدّ به الرحل في بطن البعير، مما يلي ذيله، لئلا يؤذيه التصدير.

إسماح الطعان: سهولته.

حسام: قاطع.

يزهر: يتلألأ ويضيء.

---

(1) في هذا البيت إقواء.

(2) راجع: صفين للمنقري ص457 و 458 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص104.

لماذا إلى التل؟!:

تقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» بعد أن عبأ أصحابه في ساحة القتال انفرد عنهم، وخرج حتى وقف على تل هناك، وجعل يرتجز بالرجز المتقدم.. فسمعه معاوية..

وهنا نلاحظ ما يلي:

1 ـ إن هذا يدل على أن ذلك التل كان قريباً جداً من موقع معاوية. لتصريحه بأن معاوية قد سمع الرجز المذكور. ولعله «عليه السلام» قد رفع به صوته، فسكن الضجيج، حتى وصل الصوت إلى مسامع معاوية..

إلا أن يقال: إن الراوي قد اختزل الكلام، وأن المراد: أن هناك من سمع الرجز من علي «عليه السلام»، فأسمعه معاوية..

ولكن هذا الإحتمال بعيد عن مساق الكلام..

ويحتمل أيضاً: أن يكون الله تعالى قد أوصل صوته إلى معاوية وأسمعه إياه.. لا سيما إذا كان ذلك حين صلاة الفجر، فإن سكون الليل يمكِّن الناس من سماع الأصوات أكثر من سائر أوقات النهار التي تكون حافلة بالضجيج والحركة.

2 ـ تضمن الرجز الذي قاله علي «عليه السلام» تعريفاً منه بنفسه، وإشارة إلى معرفة الناس به، وطلب من سامعيه أن لا يتعجلوا إلى مبارزته. فليسألوا عنه ليكونوا على بصيرة من أمرهم، وبعد

سؤالهم ومعرفتهم فليتخذوا قرارهم إما بالمبارزة، أو بالهرب من وجهه، والإبتعاد عن طريقه.

فقوله: ثم ابرزوا لي، ليس من طلب المبارزة، بل هو إعطاء الخيار لهم في المبارزة وعدمها، بعد المعرفة به من خلال السؤال عنه والبحث عن أحواله.. ويدل عل ذلك، قوله: «وأدبروا».

3 ـ لقد وصف «عليه السلام» لهم سيفه وسنانه. ولم يصف نفسه بشجاعة، وفروسية، ولا بغيرها. ويلاحظ: أنه حين يتحدث عن نفسه في الحرب، يكتفي ـ غالباً ـ بلغة الوقائع والأحداث، فيقول لمعاوية ـ مثلاً ـ: «وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد..»(1).

وهذا ما فعله هنا أيضاً، فإنه وصف سيفه وسنانه بالقاطعية والتلألؤ، وهما وصفان يشيران إلى حاله في القطع، وكثرة الحركة وسرعتها في ـ ساحة الحرب ـ ومقام الطعن والضرب.

4 ـ ثم عقب ذلك بذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحمزة وجعفر، والزهراء «صلوات الله وسلامه عليهم»، ربما لأنه أراد أن

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص123 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص113 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص264 وبحار الأنوار ج33 ص91 وراجع ج19 ص335 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص250 وراجع ج14 ص131 وراجع: جواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص364.

يفهمهم أن الرادع لهم عن حربه لا ينبغي أن يقتصر على عامل الخوف من سيفه، بل يجب أن يكون لله تعالى فيه نصيب أيضاً. فهو من لحم ودم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن كانت العبرة بالأهل والقوم والعشيرة، فهؤلاء الصفوة هم أهله وعشيرته، وأحبابه، وهو منهم. وإن كانت العبرة بالدين والتقوى، والإستقامة، والهدى، والعلم، والمعرفة فعلى الناس أن يميزوا ويعرفوا من يحاربون، ومن ينصرون..

وإن كانت العبرة بالبطولة والبسالة، والجهاد والتضحية، فبيته بيت الجهاد والتضحيات وعمه «عليه السلام» الشهيد حمزة أسد الله وأسد رسوله، وأخوه جعفر الطيار بجناحين في الجنة..

وإن كانت العبرة بالقرب النسبي، أو المعنوي من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو «عليه السلام» نفسه، وأخوه، وابن عمه، وصهره، ووصيه من بعده..

5 - وبعد ذلك تعرض إلى حال معاوية، فوصفه «عليه السلام» بثلاثة أوصاف جامعة، هي:

ألف: إنه مذبذب. ولم يوضح مراده بهذه الكلمة، وربما كان هذا الإبهام متعمداً، لتذهب أوهام الناس في كل اتجاه، فأما من جهة النسب، فقد عرفنا وجود شبهات فيه، وليس له نسب واضح.

وأما من جهة الدين، فهو وإن كان يظهر الإسلام، ولكن محاربته المتواصلة لأهل الدين، في عهد الرسول وبعده تضع علامة استفهام

على هذا الأمر، فهو منذ بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحين كان في مكة، ثم بعد أن هاجر إلى المدينة كان محارباً لله ورسوله.. كما أن إظهاره للإسلام في فتح مكة لم يقربه من أهل الإيمان، بل بقي متباعداً عنهم، شانئاً لهم.

ثم لما استشهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإلى تلك الساعة لم يزل مناوئاً، بل محارباً لوصي الرسول «صلى الله عليه وآله»، وها هو يقتل خيار وكبار أصحابه «صلى الله عليه وآله».

ب: ثم وصفه بأنه مُطَرَّد عن أهل الإيمان، لا يرضون أن يعد فيهم، أو أن ينتسب إليهم.

ج: مؤخر عن مقامات الكرامة والقرب من الله.

معاوية استحيا من قريش:

ثم إننا كنا ألمحنا إلى أن معاوية قد ذكر أنه استحيا من قريش، لكثرة رفضه لمطالب أمير المؤمنين «عليه السلام» له بمبارزته..

وتساءلنا عن سبب خجله من قريش وعدم خجله من الله، وهو يتعمد سفك دماء عباده الصالحين، وأوليائه المقربين، ويحاول قتل أخي ونفس ووصي نبيه العظيم «صلى الله عليه وآله»، ويسعى في هدم الدين..

ولماذا خجل من قريش، ولم يخجل من سائر الناس الحاضرين في صفين، وهم من مختلف بلاد الإسلام؟!

ويبدو لنا: أن معاوية إنما أراد بكلامه هذا أمرين:

الأول: تعزيز مكانة قريش لدى أهل الشام وتمييزها، وتكريس زعامتها، وتشديد قبضتها على مقاليد الأمور.. ولو بهذه الطريقة التي تذكر الناس بأمر يشي بموقف لا يرضاه أحد لنفسه، لأنه يظهر جبنه.

الثاني: لعله يريد أن يزيد من تعلق الناس به، وتحسيسهم بأنه في موضع الخطر، ولا سيما بعد أن خوَّفهم من علي «عليه السلام»، وأوهمهم أن علياً «عليه السلام» سوف يبيدهم، ويستولي على بلادهم، وخيراتهم، وأوهمهم أنه يريد بحربه له أن يدفع غائلة الهلاك عنهم..

فإذا شعروا أنه في خطر، وأن مصيرهم متعلق بمصيره، فسوف يزيد تعلقهم بهم، وحرصهم على حياته.. وسوف ينهونه، بل سوف يمنعونه من مبارزة علي «عليه السلام».

وبذلك يجعل امتناعه عن إجابة طلب علي «عليه السلام» بالمبارزة إستجابة لطلب الناس، وليس لجبنه وهلعه..

بل هو سوف يمتن على أهل الشام بهذا الإمتناع، ويجعله من أدلة رأفته بهم، ومحبته لهم. ويصبح ذلك فضيلة له وتضحية منه بدل أن يكون خزياً ورذيلة..

شكوك لها مبرراتها؟!:

ونستطيع بعد هذا أن نعتبر شكوكنا مبررة ومشروعة في أن

يكون كل هذا الذي جرى متفقاً عليه مع أخيه عتبة، فكانت هذه المهزلة التي ظهر فيها معاوية بصورة الرجل الحيي الخجول، وأظهرأخوه عتبة حرصه على حياته، وأصر عليه بأن لا يعرضها إلى خطر..

فانخدع بذلك أهل الشام، وتابعوا عتبة، وجعلوا ينهون معاوية عن مبارزة علي «عليه السلام».

غضب أبرهة لماذا؟!:

ولعل ابن الصباح قد فهم اللعبة، وربما اطلع على طرف من هذه المؤامرة، أو اشتم بعض الروائح الكريهة لأساليبهم ومناوراتهم هذه، فأحفظه ذلك وأغضبه.

أو أنه رأى كيف أن الفناء يقع على أهل اليمن، ومعاوية وجميع المقربين منه لا يصيبهم قتل ولا جرح، بل ولا حر ولا برد، ولا حتى زكام، ثم رأى أن معاوية وأعوانه في حصن حصين، وموضع أمين، ولا يرضى معاوية ولو لمرة واحدة بأن يستجيب لطلب علي «عليه السلام»، ولا يفكر إلا بالتل الذي يريد أن يقف عليه، ولذلك صرح ابن الصباح لقومه من أهل اليمن بمخاوفه التي تقدمت على النحو الذي ذكرته الرواية.

سرور علي × بخطبة ابن الصباح:

وعلى كل حال، فقد ظهر أن جهود علي «عليه السلام» في فضح

زيف معاوية قد أثمرت، وأن هناك من تلقف قوله «عليه السلام» حين طلب من معاوية أن يبارزه، فأيهما قتل صاحبه كان الأمر له، وفهم ما يرمي إليه معاوية..

فهذا أبرهة بن الصباح، وهو من رؤساء أصحاب معاوية كما يقول المنقري يعيد نفس الكلمات، ويعلنها على الملأ كمطلب حق. بعد أن لاحظ أن الموت قد حصد عشرات الألوف، ولم ينل أحداً من بني أمية خدش، ولم يلوح له بسوط..

ولذلك عبر علي «عليه السلام» عن سروره الشديد بما قاله أبرهة، لأنه رأى أن صوته قد بلغ أهل الشام. وأن بعضهم قد أدرك مغزاه، وقامت به الحجة عليهم..

معاوية يعالج مشكلته:

وقد عالج معاوية مشكلته مع أبرهة بأمور أربعة:

أولها: أنه أمر بتأخير أبرهة إلى آخر الصفوف، لأنه خشي من أن يميل مع علي «عليه السلام» فيحدث بلبلة في الجيش كله، ولا سيما إذا استجاب له قومه ومالوا معه..

الثاني: أنه اتهم أبرهة بأنه أصيب في عقله، لكي يسقط كلامه عن درجة الإعتبار، ويبطل أثره.

ولكنه لما واجه اعتراض أهل الشام على هذا الإتهام، وأن أهل الشام أعلنوا أن أبرهة أفضلهم رأياً وديناً وبأساً، ورأى أن الإصرار على

موقفه سوف يجعله هو متهماً بالتجني، وعدم الإنصاف، أو بالكذب، وأن الحقيقة هي أن معاوية قد كره مبارزة علي «عليه السلام»، فانتقل إلى المرحلة الثالثة، وهي:

الثالث: إسقاط مقام أبرهة، وابتذال شخصيته، وتحقيره باللوم والشتيمة، بهدف التأثير عليه نفسياً، كي يرتدع غيره عن مثل تصرفه. بالإضافة إلى إسقاط محله في نفوس الناس.

الرابع: أن معاوية خشي أيضاً من أن يؤدي استمراره بهذا الأسلوب إلى اتخاذ أبرهة قراراً محرجاً له وهو الفرار إلى علي، فبادر إلى شرائه بالمال، واسترضائه. فرضي..

توضيح لا بد منه:

ورد في شعر أبرهة قوله: «لقد قال ابن أبرهة مقالاً». فقد يظن بالإستناد إلى قوله هذا أن القضية ليست مع أبرهة، بل مع ابنه..

والحقيقة هي: أن اسم صاحب القضية هو أبرهة أيضاً. ولكنه قد نسب نفسه في شعره إلى جده، فإنه أبرهة بن الصباح بن أبرهة كما تقدم.

الفصل الحادي

بدائل معاوية
في مبارزة علي ×

..

علي × يبارز عروة:

وقد ذكر المنقري ما جرى بين معاوية وعتبة حول مبارزة معاوية لعلي «عليه السلام» بنحو آخر، فقال:

وبرز يومئذ عروة بن داود الدمشقي فقال: إن كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلم إلى.

فتقدم إليه علي «عليه السلام» فقال له أصحابه: ذر هذا الكلب فإنه ليس لك بخطر.

فقال: والله ما معاوية اليوم بأغيظ لى منه. [لا يبرز إليه غيري، إذ قد سألني ذلك]

دعوني وإياه.

ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين، سقطت إحداهما يمنة والأخرى يسرة، فارتج العسكران لهول الضربة، ثم قال: اذهب يا عروة فأخبر قومك.

أما والذى بعث محمداً بالحق، لقد عاينت النار، وأصبحت من

النادمين.

وقال ابن عم لعروة: واسوء صباحاه، قبح الله البقاء بعد أبي داود.

ثم أنشأ يقول في ذلك:

فقدت عروة الأرامل والأيـ ـتام يوم الكريهة الشنعاء
كان لا يشتم الجليس ولا ينـ ـكل يوم العظيمة النكباء
[أمكن الله من علي سريعا رب موسى وزمزم والصفاء]
آمن الله من عدي ومن ابـ ـن أبي طالب ومن علياء
يالَعيني ألا بكت عروة [الأقـ ـوام] يوم العجاج والتربـاء
فليبكِّيه نسوة من بنى عا مر من يثرب وأهل قباء
رحم الله عروة الخير ذا النجـ ـدة وابن القماقم النجباء
أرهقتته المنون في قاع صفين صريعاً قد غاب في الجرباء(1)
غادرته الكماة من أهل بدر ومن التابعين والنقباء
[تركوه بقاع صفين مصرو عاً سلوا (ذا) الجواد بالحوباء

قال: فجعل أهل الشام يقول بعضهم لبعض: قبح الله البقاء والعيش بعد عروة بن داود، فما له بأرض الشام من خلف]

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري:

عرو يا عرو قد لقيت حماما إذ تقحمت في حمى اللهوات

---

(1) في الفتوح لابن أعثم: مرملاً بدماء.

أعـلـيــــاً، لـك الـهوان، تنادى ضــيغماً فــي أياطـل الحومــات

إن لله فـــارســــاً كـأبى الشــبـ ـــلين مــا إن يهولــه المتلفــات

مــؤمـنــــاً بـالقضاء محتسباً بالـ ـخير يرجو الثـواب بالسـابقات

ليـــس يـخشـى كريهة في لقاء لا ولا مـــا يجــى بـــه الآفـــات

فـلـقـد ذقــت في الـجحيم نكالا وضــراب المقــامع المحميــات

يــا ابـــن داود قد وقيت ابن هند أن يكــــــون القـــــتيل بالمقفرات(1)

قال: وحمل ابن عم أبى داود على علي فطعنه، فضرب الرمح فبراه، ثم قنعه ضربة فألحقه بأبى داود.

ومعاوية واقف على التل يبصر ويشاهد، فقال: تبا لهذه الرجال وقبحا، أما فيهم من يقتل هذا مبارزة، أو غيلة، أو في اختلاط الفيلق وثوران النقع؟!

فقال الوليد بن عقبة: ابرز إليه أنت، فإنك أولى الناس بمبارزته.

فقال: والله لقد دعاني إلى البراز حتى استحييت من قريش، وإنى والله لا أبرز إليه، ما جعل العسكر بين يدي الرئيس إلا وقاية له.

فقال عتبة ابن أبى سفيان: الهوا عن هذا كأنكم لم تسمعوا نداءه، فقد علمتم أنه قتل حريثاً، وفضح عمراً. ولا أرى أحداً يتحكك به إلا

---

(1) صفين للمنقري ص458 و 459 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص114 و 115 وقد ذكرنا الأبيات كما هي في المصادر.

قتله.

فقال معاوية لبسر ابن أرطاة: أتقوم لمبارزته؟!

فقال: ما أحد أحق بها منك، وإذا أبيتموه فأنا له.

فقال له معاوية: أما إنك ستلقاه في العجاجة غدا في أول الخيل.

وكان عند بسر بن أرطاة ابن عم له، قد قدم من الحجاز يخطب ابنته، فأتى بسراً، فقال له: إنى سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز علياً.

أما تعلم أن الوالى من بعد معاوية عتبة، ثم بعده محمد أخوه، وكل من هؤلاء قِرْنٌ لعلي، فما يدعوك إلى ما أرى؟!

قال: الحياء، خرج مني كلام فأنا أستحيى أن أرجع عنه.

فضحك الغلام وقال في ذلك:

[وعند ابن أعثم: قال: وأقبل بسر بن (أبي) أرطاة على غلام له يقال له: لاحق، فقال له: ويحك يا لاحق! إني أرى معاوية قد كاع عن مبارزة علي وقد عزمت أنا على مبارزته، فلعلي أقتله فأذهب بشهرته في العرب إلى آخر الدهر، فما الذي عندك من الرأي؟!

فقال له لاحق: عندي من الرأي أنك إن كنت واثقاً بنفسك، وإلا فلا تبرز إليه، فإنه والله لأسد الأسود، الشجاع المطرق، ثم أنشأ الغلام يقول:]

والنص للمنقري:

تـنــازلـه يـا بسـر إن كنت مثله وإلا فــإن الليــث للضـــبع آكــل
كــأنـــك يا بسر بن أرطاة جاهل بآثــاره فــي الحـرب أو متجاهـل
مـعـاويــة الوالى وصنواه(1) بعده ولــيس ســواء مســتعار وثاكـل
أولــئــك هـــم أولى به منك إنه علــي فـلا تقربــه، أمــك هابــل
متى تـلـقــه فالموت في رأس رمحه وفي سيفه شغل لنفسك شـاغل
ومـــا بعده في آخر الحرب عاطف ولا قبلــــه فـــي أول الـــخيل حـامل

فقال بسر: هل هو إلا الموت، لابد والله من لقاء الله تعالى.

فغدا علي [«عليه السلام»] منقطعاً من خيله ومعه الأشتر، وهو يريد التل وهو يقول:

إنى علي فـــاســألـــوا لتخبروا ثم ابرزوا إلى الوغى أو أدبروا
ســـيــفي حســـام وسناني أزهر منـــا النبـــي الطيـــب المطهــر
وحـمــزة الـخيـر ومنـــا جـعفر لــه جنــاح فـي الجنــان أخضـر
ذا أســـد الله وفيـــه مــفـخـر هـــــذا وهـــــذا وابـــن هنـــد مجحر(2)

---

(1) عند ابن أعثم:

مــعــاويـــة الـــوالي وعقبة بعده وســـيـف أبـي سفيان للقرن نأكل

(2) مجحر: أي محصور في جحره، والمجحر الذي أُدْخِل في الضيق والشدة والعوز.

مذبذب مطرد مؤخر

فاستقبله بسر قريباً من التل وهو مقنع في الحديد لا يعرف، فناداه: ابرز إلي أبا حسن.

[وعند ابن أعثم: قال: ثم خرج بسر بن أرطاة إلى علي، وهو ساكت لا ينطق بشيء، خوفاً من أن عرفه علي إذ هو تكلم.

قال: ونظر إليه علي، فحمل عليه، فسقط بسر على قفاه، ورفع رجليه، فانكشفت عورته، وصرف علي وجهه عنه، ووثب بسر قائماً وسقطت البيضة عن رأسه، فصاحت أصحابه: يا أمير المؤمنين! إنه بسر بن أرطاة.

فقال علي «رضي الله عنه»: دعوه فقد كان معاوية أولى بهذا الأمر من بسر]

وحسب نص المنقري:

فانحدر إليه على تؤدة غير مكترث، حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع، فألقاه على الأرض، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتقاه بسر [بعورته] وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه علي «عليه السلام» مستدبرا له.

فعرفه الأشتر حين سقط فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بسر بن أرطاة، عدو الله وعدوك.

فقال: دعه عليه لعنة الله، أبعد أن فعلها.

[وعند ابن أعثم: ونظر لاحق غلام بسر إلى ما نزل ببسر، فكأنه

أحب أن يكون له ذكر في أهل الشام، فخرج على فرس له، وجعل يجول في ميدان الحرب، وهو يقول:]

وعند المنقري:

إن ابن عم له شاب حمل على علي «عليه السلام» وهو يقول:

[قل لعلي قولة ونافره أرديت بسراً والغلام ثائره
أرديت شيخاً غاب عنه ناصره وكلنا حام لبسر واتره

فحمل عليه الأشتر وهو يقول:

أكل يوم رجل شيخ شاغره وعورة وسط العجاج ظاهره
تبرزها طعنة كف واتره عمرو وبسر رميا بالفاقره

فطعنه الأشتر، فكسر صلبه، [فسقط عن فرسه، واضطرب ساعة، ومات].

وقام بسر من طعنة علي [مولياً]، وولت خيله.

وناده علي: يا بسر، معاوية كان أحق بهذا منك.

[فضحك معاوية من بسر ثم قال: لا عليك يا بسر! ارفع طرفك ولا تستحي، فقد نزل بعمرو مثل الذي نزل بك.

قال: فصاح رجل من أهل الكوفة: ويلكم يا أهل الشام! أما تستحون؟! لقد علمكم عمرو بن العاص في الحروب كشف السوءات، ثم إنه أنشأ وجعل يقول]

والنص للمنقري:

قال في ذلك النضر بن الحارث:

أفي كـــل يـــوم فـــارس تندبونه   لـه عورة وسط العجاجة باديـه
يـكـــف بـهـــا عنه علي سنانه   ويضــحك منهـــا فـــي الخـــلاء معاويــه
بـدت أمس من عمرو فقنع رأسه   وعورة بسر مثلها حذو حاذيـه
فقـولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا   سـبيلكما لا تلقيـا الليـث ثانيـه
ولا تـحـمـدا إلا الحيا وخصا كما   همـا كانتـا والله للـنفس واقيـه
فلـــولا همـا لم تنجوا من سنانه   وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تـلـقـيا الخيل المشيحة صبحة   وفيها علي فاتركا الخيل ناحيه
وكونـــا بعيدا حيث لا يبلغ القنا   وحمـــي الـــوغى إن التجـــارب كافيـــه
وإن كـان منه بعد في النفس حاجة   فعـــودا إلى مـــا شئتما هي ما هيه

فكان بسر بعد ذلك إذا لقى الخيل التى فيها علي تنحى ناحية.

وتحامى فرسان أهل الشام علياً.

[وعند ابن أعثم:

قال: فكان بسر بن (أبي) أرطاة مرة يضحك من عمرو، ثم صار عمرو يضحك منه. وكان بسر بعد ذلك إذا لقي الخيل التي فيها علي تنحى ناحية.

قال: وتحامى أهل الشام علياً، وخافوه خوفاً شديداً.

وحمل الأشتر، والأشعث بن قيس، وعدي بن حاتم، وسعيد بن قيس، وعمرو بن الحمق، وسليمان بن صرد، وجارية بن قدامة، في قريب من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق على أهل الشام، فقلعوهم عن مواضعهم حتى ألحقوهم[1] بسوادهم، وقتل منهم بشر كثير، ثم انصرفوا عنهم وقد أمسوا، فحجز الليل بين الفريقين[2].

ونقول:

إيضاحات:

ليس لك بخطر: أي ليس مثلك في القدر.

نكل عنه: نكص، وجبن.

التربا‌ء: إحدى اللغات في التراب.

القماقم: جمع قمقام. وهو السيد الكثير العطاء.

الجرباء: الأرض المقحوطة.

الحوباء: النفس. والحوب: الإثم.

الحِمام بكسر الحاء: الموت.

أياطل: جمع أيطل. وهي الخاصرة.

---

(1) صفين للمنقري ص458 - 462 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص95 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص105 - 107 والمناقب للخوارزمي ص240.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص105 و 106.

المقامع: آلات القمع. وهي جمع مقمعة, وهي العمود من حديد. وقيل: كالمحجن يضرب به رأس الفيل. وخشبة يضرب بها رأس الإنسان بهدف إهانته.

النقع: الغبار.

الصنو: الأخ الشقيق.

هابل: ثاكل.

عاطف: من يحمي المنهزمين.

التؤدة: التمهل.

المطرق: العدو.

الفاقرة: الداهية.

أدال منه: جعل الكرة عليه.

المشيحة: المجدة.

صبحة: صبحا.

الأسود: العظيم من الحيات. والجليل من القوم.

عروة أغيظ لعلي من معاوية:

وقد أصر أمير المؤمنين «عليه السلام» على أن يتولى هو حسم أمر عروة بن داود بعد أن أقسم أن عروة كان في ذلك اليوم أغيظ له من معاوية نفسه.

ولعل سبب ذلك: أن معاوية حين امتنع من مبارزته إنما استجاب

لغريزة حب البقاء، التي أودعها الله تعالى في جميع البشر، ولأنه يريد أن يستثمر بغيه وعدوانه، بملذات يسعى للحصول عليها من خلال حربه هذه، التي أراد أن يكون غيره وقوداً لها..

وتعريضه نفسه للقتل سيؤدي إلى فواتها بنظره.. ولكنه لو بارز وانتصر لم يكن أيضاً قد فعل أمراً عجيباً، لأنه سيحصل على ما كان يحلم به من ملك عريض، وملذات يتوهم أنها تعوضه عما يفوته من نعم الآخرة. ويكون له فيها ما يتوهم أن فيه عوضاً عن عقاب الآخرة.

أما عروة، فإن مبادرته إلى طلب البراز ليس له فيها أية فائدة، أو عائدة، بل هي محض إجرام وبغي، وظلم، لا يعود عليه بغير البلاء العظيم، والعذاب الأليم.

فهو إن استطاع أن يقتل علياً «عليه السلام» ـ والعياذ بالله ـ فإنه سيكون في الآخرة أشقى من عاقر ناقة ثمود، ولن ينال في الدنيا إن استطاع أن يبقى على قيد الحياة فيها إلا الخزي والذل، والعار والسقوط، والحرمان والقنوط.. ومعاوية وإخوته، ومن يلوذ به من عتاة بني أمية هم الذين يفوزون بالملك، وبالملذات في الدنيا.

ولعل معاوية سيكون أشد فرحاً بموته منه بحياته، كما كان سعيداً بموت ذي الكلاع، وعقيل بن مالك، والنعمان بن جبر القضاعي..

ولعله إذا طالبه بشيء من دنياه يلقيه في سلة المهملات، ثم يسعى للتخلص منه بوسائله الماكرة.

إذن، فلماذا لا يغتاظ «عليه السلام» من رجل يكون خاسراً في

جميع أحواله، في دنياه وفي آخرته؟! ولو استطاع أن يبقى حياً، ولم تطحنه الحرب، وأناله معاوية شيئاً من دنياه، فلن يكون ما يتصدق به أكثر من لعقة الكلب أنفه. وسيكون مغموساً بالذل والعار، وبالخزي الأبدي، والشقاء السرمدي.

هذا بالإضافة إلى أنه «عليه السلام» هو الذي كان يوصي الناس بأن لا يبارزوا إلا من يطلب مبارزتهم، فإذا طلبها، فليبارزوه لأنه باغ، والباغي مصروع.

لقد عاينت النار:

1 ـ أما قوله «عليه السلام» بعد أن ضرب عروة بسيفه، فقطعه قطعتين: إذهب فأخبر قومك، ثم أقسم أنه قد عاين النار، وأصبح من النادمين.. فلم يكن ذلك منه «عليه السلام» على سبيل التوقع والرجاء، بل هو إخبار عن أمر واقع لا محالة. لأنه «عليه السلام» بنص رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قسيم الجنة والنار، يقول لها: هذا لي، وهذا لك..

2 ـ أما قوله «عليه السلام»: «اذهب يا عروة، فأخبر قومك»، فيثير سؤالاً عن كيفية إخبار عروة القتيل لقومه، وسؤالاً آخر عن المراد بقومه.

فإن كان يريد بقومه أولئك الذين سوف يلتقيهم في الآخرة ممن سبقوه إليها، حيث سيراهم خصوماً إذا كانوا من أهل النار أيضاً.

أو يريد من بقي في الدنيا منهم، فيخبرهم بما عاينه كلما انتقل أحد

منهم من الدنيا إلى الآخرة..

وربما يكون المراد: إخباره الأحياء منهم في نفس لحظة قتله، فقد ورد: أن الميت المؤمن يلم بأهله كل جمعة، أو كل يوم عند زوال الشمس، أو كل يومين، أو ثلاثة أيام، أو على قدر عمله كل جمعة، أو كل شهر، أو في السنة(1).

وربما جاء في المنام وطلب منهم. وقد حكي عن أمير خراسان: أنه رئي في المنام بعد موته، وهو يقول: ابعثوا إلي ما ترمونه إلى الكلاب، فإني محتاج إليه(2).

ولعل هذا هو السبب في أنه «عليه السلام» قد خصص قوم عروة بالذكر، ولم يقل له: أخبر جماعتك مثلاً، لأن الروايات تصرح بأن الميت يأتي أهله كل ليلة، لا جماعته..

إلا أن يكون المراد بقومه هم جميع من هم على رأيه، ومن كان يحارب معهم، ويعتبر نفسه منهم..

3 - روى الكليني ما يدل على أن عدو الله إذا حمل إلى قبره نادى حملته: ألا تسمعون؟! إني أشكوا إليكم: عدو الله خدعني، وأوردني ثم

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج6 ص256 - 259 والكافي ج3 ص230 و 231 والفصول المهمة للحر العاملي ج1 ص326 و 328.

(2) مستدرك سفينة البحار ج9 ص470 ومنازل الآخرة ص163.

لم يصدرني، وأشكوا إليكم إخواناً إلخ..(1).

فهو يقول لحامليه ذلك، وإن لم يسمعوه. فهذا يدل على أنه يمكن أن يخبر أهله بأمور تحصل له.

4 - قوله «عليه السلام»: «لقد عاينت النار» فور ضربته «عليه السلام» له، يدل على حضور النار لديه فور خروج روحه.

وهذا قد يشير إلى أن روح عروة قد أفرغت من الجسد، لتزج حال تمخض الجسد عنها في أتون من نار، أو أنها تشرف على النار التي أوعده الله تعالى بها فور خروجها من البدن. وقد ورد أنها تخرج إلى وادي برهوت. فإذا أعيدت إلى الجسد مرة أخرى لحظة حساب القبر، فإنها تعود لتسكن ذلك الجسد الذي سيكون بمثابة كتلة نارية أيضاً.. وهكذا يكون الحال في مختلف المراحل الأخرى.

هكذا يرثون موتاهم:

وقد قرأنا رثاء ذلك الشامي لابن عمه عروة بن داود، فلم نجد عليه مسحة أهل الإسلام، بل هو صورة طبق الأصل لما يرثي به أهل الجاهلية موتاهم. فليس فيه أثر للغة الإيمانية، ولا اهتمام بالمثوبة والعقوبة، ولا ذكر للجنة والنار، ولا إشارة إلى ضلاله أو هداه، ولا

---

(1) بحار الأنوار ج6 ص259 وراجع ص 258 وج46 ص142 عن الكافي ج3 ص233 و 234 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص226 ومدينة المعاجز ج4 ص360 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج5 ص395.

إلى تقواه، ولا إلى جهاده، وتضحياته في سبيل الله.. ولا إلى الورع، والإيثار، ولا تصريح، أو تلميح إلى حبه للنبي وأهل بيته الأطهار.. ولا.. ولا..

ولكنك تقرأ أشعار علي «عليه السلام» وأصحابه، ومنها الأبيات التي تلت هذا الرثاء مباشرة، وهي لعبد الله بن عبد الرحمان الأنصاري في الثناء على أمير المؤمنين «عليه السلام». فترى أنها لا تخلو عن الإشارة إلى ما ذكرناه آنفاً.. فلم تفته هنا الإشارة إلى إيمانه «عليه السلام» بقضاء الله، وإلى رجائه للثواب، وإلى ماله من سوابق في هذا الدين.

والأهم من ذلك: وصفه «عليه السلام» له بأنه يجاهد ويعمل لله سبحانه لا لنفسه..

معاوية واغتيال علي:

1 ـ وقد عبر معاوية عن رغبته الجامحة بقتل علي «عليه السلام» بأي نحو كان، فإن لم يمكن قتله مبارزة، فليقتلوه غيلة، أو في اختلاط الفيلق، وثوران النقع الذي هو الغبار..

بل هو قد تجاوز ذلك الى التعبير عن استيائه من الرجال الذين حوله، بأن دعا عليهم بالتباب الذي هو الخسار والهلاك، لعدم إقدامهم على ذلك..

فأثارت كلمات معاوية حفيظة الوليد بن عقبة، الذي كان يُدِلّ ويستطيل عليه بقرابته من عثمان، لأنه أخوه من الرضاعة، فعزَّ عليه

أن يرى نفسه في جملة من دعا عليهم معاوية.

فقال له: أبرز أنت إليه، فإنك أولى الناس بمبارزته.

2 ـ ويبدو لنا: أن الوليد كان يعلم أن معاوية على يقين من عجز جميع رجاله عن مبارزة علي «عليه السلام» وعن أنهم أجبن من أن يقترب أحد منهم منه «عليه السلام»، أو أن يكمن له بقصد إغتياله..

ولكن معاوية أراد بهذا التفريع ما يلي:

أولاً: أن يخرج نفسه من دائرة التحدي. وكأنه لم يكن هو مسؤولاً عن مواجهة علي «عليه السلام»، وبذلك يكون قد أوجد لنفسه عذراً في امتناعه عن مبارزته، وبرأ نفسه من تهمة الجبن والضعف.

ثانياً: إنه أراد أن يصغر من شأن هؤلاء الذين يحتمل فيهم أن يكونوا منافسين له، أو لأحد ممن له فيه هوى، ويؤكد زعامته وهيمنته عليهم من خلال اتهامه إياهم بالتقصير في خدمته، كما فعل مع النعمان بن جبر القضاعي، ليكون بذلك أشد إمساكاً برقابهم، وأكثر تمكناً من التصرف بهم..

ثالثاً: ولعله أراد بالإضافة إلى ذلك: أن يستخرج دخائلهم تجاهه، وليجهروا له بنظرتهم لعلي «عليه السلام»، ليتدبر أموره معهم من خلال ما يظهر له منهم.

3 ـ ولكن الوليد بن عقبة أعاد معاوية إلى الموضع الذي أراد أن يخرج منه، بقوله: أبرز أنت إليه، فإنك أولى الناس بمبارزته، لأن المستفيد الوحيد ـ دنيوياً طبعاً ـ هو معاوية، وليس لغيره شيء إلا إذا ألقى

إليه بعض الفتات.

ولكن حتى هذا الفتات إنما يلقيه لمن يعيد إلى معاوية أكثر مما وصل إليه منه على شكل تقوية وتأييد، ومساعدة على بسط النفوذ، وتأكيده، واستثماره.

4 ـ فعرف معاوية ما يدور بخلد الوليد، فرد عليه بما دلَّه على أن عليه أن لا يصرح بما يفضح بواطن سياسة معاوية، فأفهمه أن مبارزته لعلي «عليه السلام»، وتعريض نفسه للخطر يضر بمصلحة الوليد وسائر قريش، وأن على قريش أن تفهم ذلك، وأن ما يرمي إليه بكلامه هذا عن قتل علي «عليه السلام» هو تحريض الآخرين على بذل أقصى الجهد في محاربة علي «عليه السلام»، وأن المطلوب هو حفظ حياة معاوية، والدفاع عنه، ولذلك قال: «ما جعل العسكر بين يدي الرئيس إلا وقاية له».

لأن حفظه حفظ لقريش ولمصالحها وامتيازاتها..

لا بد من صرف الأنظار:

ولذلك تدخل عتبة بن أبي سفيان لتغيير مسار الحديث، وليعطي الفرصة لمعاوية بأن يطلب من بسر بن أرطاة القرشي أن يبارز علياً «عليه السلام».. وإذ به يسمع من بسر نفس ما قاله له الوليد بن عقبة: ما أحداً أحق بها منك.

هل أحرجوه، فأخرجوه؟!:

وبعد ما تقدم، نقول:

لقد سمع معاوية في المواقف المختلفة من عمرو بن العاص، ومن الوليد بن عقبة، ومن بسر بن أرطأة القرشي كلاماً واحداً، وهو أنه هو الأولى والأجدر من كل أحد منهم بمبارزة أمير المؤمنين «عليه السلام»، لأنه هو الذي سيفوز بالملك، إن سارت الأمور كما يريد.. ولأنه هو الذي أثار هذه الحرب، وجمع الناس، وقادهم إليها، وحرضهم عليها.

وكان ابن عم بسر بن أرطأة القرشي أكثر صراحة، حين اعترض على بسر لقبوله ما طلبه منه معاوية، فقد قال له ـ كما روي عن المنقري ـ: «أما تعلم أن الوالي من بعد معاوية عتبة، ثم بعده محمد أخوه، وكل من هؤلاء قِرنٌ لعلي «عليه السلام»، فما يدعوك إلى ما أرى؟!

قال: الحياء، خرج مني كلام، فأنا أستحي أن أرجع عنه».

مما يعني: أن بسراً قد أحرج من قبل معاوية، ولم يعد يستطيع التراجع..

ولكن الظاهر: إن بسراً كان هو الراغب والمندفع لمبارزة علي «عليه السلام»، لأن ابن أعثم ذكر مبارزة بسر لأمير المؤمنين «عليه السلام» ولم يذكر أن معاوية طلب ذلك منه، وإنما بدأ بسر نفسه حديث المبارزة باستشارته لغلامه لاحق، حسبما تقدم.

فإذا جمعنا بين الروايتين وفق السياق، الذي ذكرناه جاز لنا أن نحتمل أن يكون بسر قد وعد معاوية بمبارزة علي «عليه السلام»، ثم أخبر غلامه ليخبر غلامه برغبته في مبارزة علي «عليه السلام»، فلعله يذهب بشهرته في العرب إلى آخر الدهر..

فلما سمع من غلامه ما أيقظ وساوس صدره، وملأ قلبه رعباً من أمير المؤمنين «عليه السلام» ذهبت السكرة وجاءت الفكرة.. وكأنه ندم على ما فرط منه، وعرف أن فرحه بتكليفه بهذه المهمة في غير محله..

وبعد أن تناقل الناس وعد بسر لمعاوية، وبلغ مسامع ابن عمه، جاء إليه.

فقال له: إني سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز علياً.. إلى آخر كلامه.

فحينئذ أجاب: بأن الذي دفعه إلى هذا الوعد هو «الحياء، خرج مني كلام، فأنا أستحي أن أرجع عنه». ولكنه كان كاذباً في قوله هذا، فإنه كان راغباً بالمبارزة، وكان يُمَنِّي نفسه بالشهرة في العرب إلى آخر الدهر.

المخاطرة في سبيل الشهرة:

إن بسراً وغلامه، وكذلك معاوية، ومن معه في صفين، ومن قبلهم من أصحاب الجمل، قد عاينوا حروب علي «عليه السلام» في الجمل وصفين، وفي زمن الرسول «صلى الله عليه وآله» ثم رأوا بعد ذلك

حربه مع الخوارج.

ولكن الكثيرين من الناس إلى يومنا هذا، ينظرون إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» في شجاعته، وعلمه تقواه وزهادته، وفي مختلف حالاته، وسائر مزاياه وصفاته. وفي جميع تصرفاته.. بمنظار مادي صرف. ويحاولون تحديد ذلك كله بحدود ما تناله إدراكاتهم، وتتوهمه عقولهم، وتتسع له ملكاتهم وقدراتهم، فنسجوا لها بروداً، ووضعوا لها قيوداً، ورسموا لآفاقها حدوداً.

وقد نتج عن ذلك: أنهم صاروا يتعاملون معه على أساس ما تخيلوه، وما فهموه، فبذلوا المحاولات لتلفع تلك البرود، وتلمس تلك القيود، والتطواف بتلك الآفاق أملاً في بلوغ تلك الحدود، وإذ بهم يجدون أنفسهم منبوذين في العراء، لا حصاد لهم سوى الخيبة القاتلة، والعار والشنار، والتيه في مهامه الذل والصغار في الدنيا. والدمار والبوار، حيث يحيق بهم غضب العزيز الجبار في الآخرة.

والسبب في ذلك أنهم استكبروا على الله وأصموا آذانهم عن سماع آياته، وعصوا نبيه فيه، وعملوا على إفساد تدبيراته، وإحباط جهوده، وتضحياته.. ولم يرق لهم أن يروا كدح علي «عليه السلام» الحثيث نحو الله حتى غيَّبته الألطاف الإلهية في اللَّامتناهي من آفاقها. وإلى حيث تحطمت وتساقطت عنه القيود، وتلاشت الحدود، ومزقت عنه البرود، فغاص في أعماق اللَّامحدود.. فلن تلحق به أوهامهم، وتحطمت على أعتاب قدسه أحلامهم، وارتكست، وانتكست في حمأة

الجهل به، والعجز عن إدراك مداه عقولهم وأفهامهم.

ولذلك تجدهم يبذلون المحاولة تلو الأخرى لمجاراته تارة، ثم في مبارزته ومنازلته تارة أخرى، فتدور الدائرة عليهم، ويفضحهم الله تعالى في كل مرة، حتى اضطر بعضهم إلى كشف عوراتهم، كما جرى لعمرو بن العاص، وعمرو بن عبد ود العامري.. ثم بسر بن أرطأة، كما تقدم.

مقارنة ذات مغزى:

ومن حق القارئ علينا: أن ندعوه ليقارن بين رجل يلقي بيده إلى التهلكة، ويعمد لقتل نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخيه ووصيه، وولي الناس من بعده لمجرد طلب الشهرة، فيخذله الله، حتى إنه ليضطر لكشف عورته عمداً وقصداً، يستدفع بها بأس علي «عليه السلام».

وبين من يعفو عمن جاء ليقتله، ويصرف وجهه عنه، ويكف عن قتله، ويدير ظهره إليه، ويأمر أصحابه بأن يَدَعُوه، كما أنه لا يقتل عمرو بن عبد ود إلا بعد أن يهدأ غضبه، حتى تكون ضربته له تعدل عبادة الثقلين، الإنس والجن إلى يوم القيامة.. والذي ينادي جبرئيل بين السماء والأرض أن:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وما ذلك إلا لأن سيفه «عليه السلام» هو السيف الخالص لله، وهو الفتى الذي لا يحيد عما يقتضيه معنى الفتوة من شهامة ونبل

وسؤدد.

وهو الذي يستحق أن يعطيه النبي «صلى الله عليه وآله» الراية يوم خيبر، لأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله..

فليقارن القارئ الكريم بين هذين الرجلين، وليعطنا نتيجة مقارنته، وسنكون له من الشاكرين.

ليست الثكلى كالمستأجرة:

واللافت هنا: أن غلام بسر بن أرطأة كان أبعد نظراً من بسر نفسه، وشعره الذي قاله لبسر، يدل على ذلك، ولا سيما قوله:

كأنك يا بسر بن أرطاة جاهل بآثاره في الحرب أو متجاهل
معاوية الوالي وصنوان بعده وليس سواءً مستعار وثاكل

أي أنك يا بسر إما جاهل بآثار علي «عليه السلام» في الحرب، أو متجاهل.. فأنت تعلم أنك لن تستفيد شيئاً من مبارزتك هذه سوى المخاطرة بنفسك.

والمستفيد هو معاوية، ثم من بعده أخوه عتبة، ومن بعدهما أخوهما محمد. فما معنى أن يستعيرك معاوية وهو صاحب القضية، وأنت لا ناقة لك في هذا الأمر ولا جمل، لينوب عنه في مواجهة هذا الخطر.. ألم تسمع قولهم: ليست الثكلى كالمستأجرة.

معاوية أولى بهذه الفضيحة من بسر:

وإذا كان غلام بسر قد اعتبر معاوية أولى بالمبارزة من بسر، فإن علياً «عليه السلام» قد صدق ذلك أيضاً، وقال لأصحابه حين أمرهم بأن يدعوا بسراً، ولا يقتلوه، وقاله لبسر نفسه أيضاً حين هرب من الساحة بخيله التي جاء بها، فقد قال له «عليه السلام»: إن معاوية كان هو الأولى بالمبارزة، لأنه الأولى بأن يفتضح أمره، ويظهر جبنه، وأن يكون هو الذي يحتمي بعورته.

لماذا أمرهم بترك بسر؟!:

وقد نهى «عليه السلام» أصحابه عن ملاحقة بسر بعد كشفه عورته، وانصراف علي «عليه السلام» عنه، فلماذا لا يسمح «عليه السلام» لأصحابه بالقضاء عليه، فيكون قد تخلص من شرير، طاغ وباغ يتقوى به معاوية عليه؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن قتل بسر في هذه الحال كان سيصبح هو الأهم، وهو الذي سيجذب نظر الناس، وسيؤثر على تداول الناس لحديث كشفه لعورته، وربما يؤدي إلى نسيان ذلك.. مع أن المصلحة تقضي بلزوم فضح هذه الفئة، وتعريف الناس بمدى الإنحطاط الذي بلغته، والإسفاف الذي انتهت إليه، وليدركوا مدى حب هؤلاء الناس للدنيا، وتفانيهم فيها، وأنهم يريدون البقاء للتنعم بها، وأن يُقتل الناس من أجلهم، وفي

سبيل تحقيق رغباتهم..

أدال الله عمرواً منك:

وقول معاوية لبسر: ارفع طرفك قد أدال الله عمرواً منك. إنما هو من دهاء معاوية، لأنه يريد بكلامه هذا أن يشغل بسراً بعمرو بن العاص، ليبقى هو المهيمن عليهما، والمرجع والملاذ لهما.

وبذلك يكون قد أخرج نفسه عن دائرة الصراع والتحدي في هذا الذي جرى.. مع أنه كان أولى بما جرى لهما منهما حسبما قاله علي «عليه السلام» لبسر.

تذكير:

ولسنا بحاجة إلى الإشارة إلى أن عبارة ابن أعثم عن كشف بسر لعورته، توهم أنها انكشفت بالرغم عنه، لأنه قال: إنه سقط عن فرسه، فانكشفت عورته.

ولكن تصريح المنقري بأنه قد تعمد كشفها، ليتلافى القتل، قد أزالت الريب، الذي ربما يكون هناك من يتعمد التوطئة له.

الفصل الثاني

فاشل.. وعاتب..

أخو معاوية وابن أخت علي ×:

[قال نصر: وحدثنا عمر بن سعد، عن الأجلح بن عبد الله الكندى، عن أبى جحيفة، قال]: ثم إن معاوية جمع كل قرشي بالشام، [فدعاهم في جوف الليل].

فقال: العجب يا معشر قريش، إنه ليس لأحد منكم في هذه الحرب فعال [مقال] يطول به لسانه غداً ما عدا عمرواً.

فما بالكم؟! وأين حمية قريش؟!

قال ابن أعثم:

[فقال الوليد: ولا أنا يا معاوية؟!

فقال: ولا أنت يا وليد، ولا غيرك من قريش الشام. وما رأيت أحداً منكم خرج إلى حرب القوم، إلا رجع مفضوحاً، فشوهاً لي ولكم!

أبهذا يؤخذ الأمر من علي «عليه السلام» وأصحابه؟!

والله لقد وقوا علياً «عليه السلام» بأنفسهم، ووقاهم علي «عليه السلام» بنفسه].

وعند المنقري:

فغضب الوليد بن عقبة، وقال: وأي فعال تريد؟!

والله ما نعرف في أكفَائنا من قريش العراق من يغنى غناءنا باللسان، ولا باليد.

فقال معاوية: بل إن أولئك قد وقوا علياً «عليه السلام» بأنفسهم.

قال الوليد: كلا، بل وقاهم علي بنفسه.

قال: ويحكم! أما منكم من يقوم لقرنه منهم، مبارزة، أو مفاخرة؟!

فقال مروان: أما البراز، فإن علياً «عليه السلام» لا يأذن لحسن، ولا لحسين، ولا لمحمد، بنيه فيه، ولا لابن عباس وإخوته، ويصلِى بالحرب دونهم، فلأيهم نبارز؟!

وأما المفاخرة، فبماذا نفاخرهم؟! أبالإسلام؟! أم بالجاهلية؟!

فإن كان بالإسلام، فالفخر لهم بالنبوة، [بالتقوى]، وإن كان بالجاهلية، فالملك فيه لليمن.

فإن قلنا: قريش، قالت العرب: فأقِروا لبنى عبد المطلب.

قال ابن أعثم:

[وعلي «عليه السلام» من بني عبد المطلب، فبماذا تفاخره؟!

فقال معاوية: إنني لم آمركم بمفاخرته، وإنما أمرتكم بمثاقفته.

قال: فسكت مروان].

فغضب عتبة بن أبى سفيان، فقال: الهوا عن هذا، فإنى لاق بالغداة جعدة بن هبيرة.

فقال معاوية: [فقال مروان]: بخٍ بخ، قومه بنو مخزوم، وأمه أم هانئ بنت أبى طالب، وأبوه هبيرة بن أبى وهب، كفو كريم.

وظهر العتاب بين عتبة والقوم، حتى أغلظ لهم، وأغلظوا له.

فقال مروان: أما والله لولا ما كان مني يوم الدار مع عثمان، ومشهدي بالبصرة، لكان منى في علي «عليه السلام» رأي كان يكفى امرأً ذا حسب ودين، ولكن، ولعل.

ونابذ معاوية الوليد بن عقبة دون القوم، فأغلظ له الوليد.

فقال معاوية: يا وليد، إنك إنما تجترئ عليَّ بحق عثمان، وقد ضربك حداً، وعزلك عن الكوفة.

ثم إنهم ما أمسوا حتى اصطلحوا، وأرضاهم معاوية من نفسه، ووصلهم بأموال جليلة.

وبعث معاوية إلى عتبة، فقال: ما أنت صانع في جعدة؟!

فقال: ألقاه اليوم [بالكلام]، وأقاتله غداً [بالحسام].

وكان لجعدة في قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحب الناس إلى علي«عليه السلام»، فغدا عليه عتبة، فنادى: أيا جعدة! أيا جعدة!

فاستأذن علياً «عليه السلام» في الخروج إليه، فأذن له، واجتمع الناس لكلامهما.

فقال عتبة: يا جعدة! إنه والله ما أخرجك علينا إلا حب خالك [علي بن أبي طالب«عليه السلام»]، وعمك ابن أبى سلمة عامل البحرين، وإنَّا والله ما نزعم أن معاوية أحق بالخلافة من علي لولا أمره في عثمان، ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به، فاعفوا لنا عنها، فوالله ما بالشام رجل به طرق، إلا وهو أجدّ من معاوية في القتال، ولا بالعراق من له مثل جِدّ علي «عليه السلام» [في الحرب].

ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم، وما أقبح بعلي أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس، حتى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب.

فقال جعدة: أما حبي لخالي، فوالله أن لو كان لك خال مثله، لنسيت أباك.

وأما ابن أبي سلمة، فلم يصب أعظم من قدره. والجهاد أحب إلي من العمل.

وأما فضل علي «عليه السلام» على معاوية، فهذا ما لا يختلف فيه [اثنان].

وأما رضاكم اليوم بالشام، فقد رضيتم بها أمس [فلم نقبل].

وأما قولك إنه ليس بالشام من رجل إلا وهو أجد من معاوية [في حربنا]، وليس بالعراق لرجل مثل جد علي، فهكذا ينبغى أن يكون،

مضى بعلي يقينه، وقصر بمعاوية شكه، وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل.

وأما قولك: نحن أطوع لمعاوية منكم لعلي «عليه السلام»، فوالله ما نسأله إن سكت، ولا نرد عليه إن قال: [لأنه ليس في عسكرنا أحد إلا وعلي أفضل منه، وفي عسكركم من هو أفضل من معاوية].

وأما قتل العرب فإن الله كتب [القتل و] القتال، فمن قتله الحق فإلى الله.[والجنة، ومن قتله الباطل، فإلى النار].

فغضب عتبة، وفحش على جعدة.

فلم يجبه وأعرض عنه وانصرفا جميعاً مغضبين.

فلما انصرف عتبة جمع خيله فلم يستبق منها [شيئا]، وجل أصحابه السكون، والأزد، والصدف، وتهيأ جعدة بما استطاع فالتقيا، وصبر القوم جميعاً، وباشر جعدة يومئذ القتال بنفسه، وجزع عتبة، فأسلم خيله وأسرع هاربا إلى معاوية. [وانهزم هزيمة قبيحة، والسيف في قفاه، وتبعه أصحابه، حتى صاروا إلى معاوية.

فقال معاوية: يا عتبة! إننا لا نغسل من هذه الفضيحة رؤوسنا أبداً، كلمت جعدة، فأربى عليك في الكلام، وقاتلته، فقاتلك، وفضحك].

وعند المنقري:

فقال له: فضحك جعدة، وهَزَمَتُكَ لا تغسل رأسك منها أبداً.

قال عتبة: لا والله لا أعود إلى مثلها أبداً، ولقد أعذرت، وما كان على أصحابي من عتب، ولكن الله أبى أن يديلنا منهم، فما أصنع!!.

فحظى بها جعدة عند علي.

فقال النجاشي فيما كان من شتم عتبة لجعدة:

إن شـتم الكـريم يا عُتبَ خطب فاعلمنــه مــن الخطـوب عظـيم

أمـــه أم هـــانئ وأبـــــوه مــن معـدٍ ومــن لـؤي صــميم

ذاك منــها هـبيـرة بن أبى وهـ ـــب أقــرت بفضــله مخـــزوم

كـــان في حــربكم يـعد بألف حين تلقى بها القـروم القروم

وابـنــــه جـعدة الـخلـيفة منه هكــذا يخلــف الفــروع الأروم

كـل شـيء تــريـده فـهو فيه حســب ثاقــب وديــن قـــويم

وخـطـيـب إذا تـمـعرت الأو جـه يشـجى بـه الألـد الخصـيم

وحـلـيـم إذا الحُبى حلها الجهـ ـل وخفت مـن الرجـال الحلـوم

وشــكـيم الحروب قد علم النا س إذا حل فـي الحـروب الشكيم

وصـــحـيح الأديم من نغل العيـ ـــب إذا كـــان لا يصــح الأديــم

حـــامل للعظيم في طلب الحمـ ـــد إذا أعظــم الصــغير اللئــيم

مــا عسى أن تقول للذهب الأحـ ـمر عيباً، هيهـات منك النجوم

كــل هــذا بـحـمــد ربك فيه وســـــوى ذاك كــــان وهـــو فطيم

وقال الشنى في ذلك لعتبة:

مــا زلـــت تنظر في عطفيك أبهة لا يرفـــع الطـــرف منـــك التيـــه والصـــلف

لا تـحسـب القـوم إلا فقع قرقرة أو شحمة بزهـا شـاو لـها نطـف

حتى لقيــت ابن مخزوم وأي فتى أحيــا مــآثر آبــاء لــه ســلفوا
إن كان رهط أبى وهب جحاجحة فــي الأولـين فهـذا مـنهم خلـف
أشـــجاك جـعدة إذ نادى فوارسه حـاموا عـن الـدين والـدنيا فمـا وقفــــــــــــــــــــــــــــــــــــــوا
حتى رمـــوك بخيل غير راجعة إلا وسـمر العـوالي مـنكم تَكِـفُ
قـد عــاهدوا الله لـن يثنوا أعنتها عند الطعان ولا في قولهم خلف
لمـا رأيتـهم صبحــا حسبتهم أســد العــرين حمــى أشــبالها الغـــــــــــــــــــــــــــــــــرف
نـاديت خيلك إذ عض الثقاف بهم خيلــي إلــيَّ، فمــا عــاجوا ولا عطفــــــــــــــــــــــــــــــــــــوا
هـــلا عطفت على قتلى مصـرعة منهـــا الســـكون ومنهـــا الأزد والصـــــــــــــــــــــــــــــــــــدف
قـد كنت في مـنظر من ذا ومستمع يــا عتــب لــولا ســفاه الــرأي والســـــــــــــــــــــــــــــــــــرف
فــاليوم يقرع منك السن عن ندم مـــــا للمبــــارز إلا العجـــز والنصف(1)

ونقول:

(1) صفين للمنقري ص462 - 466 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص99 - 100 والفتوح لابن أعثم ج3 ص106 - 110.

إيضاحات:

فعال: بالفتح: الفعل الحسن. وبكسر الفاء، جمع فعل..

المثاقفة: الطعن بالثقاف، وهي خشبة تسوى بها الرماح والقسي، بها خرق يتسع لهما، ثم يغمز منهما حيث يجب أن يغمز، وهما مدهونان مملولان على النار، حتى يصير إلى ما يراد منهما.

الطرق، بالكسر: القوة.

القصد: نقيض الإفراط والتوغل.

اسلم خيله: تركها.

اربى عليه: تفوق، أو زاد عليه.

اداله منه: جعل له الكرة عليه.

القروم: جمع قرم. وهو الفحل.

الأروم: الاصيل.

تمعر وجهه: تقبض.

الحبى، جمع حبوة. وهي أن يجمع ظهره وساقيه بعمامة، وحبوة تضم حاؤها وتكسر..

شكيم الحروب: الأَنِفُ الأبي الذي لا ينقاد.

الأديم: الجلد المدبوغ. وأديم النهار: بياضه. ووجه السماء والأرض.

نغل: فسد. والنغل: الأديم الفاسد.

فقع قرقرة: الفقع أردأ أنواع الكمأة. والقرقرة: أرض مطمئنة لينة.

بزها: أخذها واستلبها، أو أخذها إليه.

نطف: سال قليلاً، قليلاً.

جحاجحة، جمع جحجاح: السيد المسارع في المكارم.

تكف: تقطر وتسيل قليلاً، قليلاً.. أو يتقاطر.

الغرف: بضمتين: جمع غريف، وهو الشجر الملتف.

ملامة معاوية لزعماء قريش:

لقد مر معنا موارد عديدة يكون معاوية في موقع اللائم والمتهم لزعماء بني أمية الذين كانوا حوله، بانهم لا يقومون بما يتوقعه منهم في حرب علي «عليه السلام». وهذا هو احد هذه الموارد التي نشاهدها. فما هو تفسير هذا التصرف المتكرر من معاوية مرة بعد أخرى؟!

وهل كانوا مقصرين حقاً؟!

أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟!

ونقول في الجواب:

إننا لا نستطيع تقديم تفسير مدعم بالشواهد والبراهين على أمر كهذا، لأن هذا يدخل في موضوع الكشف عن النوايا، ومعرفة ما في القلوب. وقد لا يعطي المعني بالأمر أية إشارة تدل على طبيعة ما ينويه، أو يحركه إلى الفعل، فينحصر الأمر بالتحليل المبتنى على

تلمس ما ينسجم مع المسار والنهج العام للشخص فيما يرتبط بما ظهر، أو صرح به من أهدافه، ومنطلقاته، وتكوينه الفكري، والأخلاقي، ومنحاه في مواقفه، وما لهج به في كلماته، أو مارسه من سلوك، وانتهجه من سياسات.

وعلى هذا الأساس نقول:

يمكننا فهم هذا التصرف من معاوية في أكثر من اتجاه مثل:

1 ـ سعيه لكبت روح المنافسة فيهم. وتذليل نفوسهم له. وإبقائهم تحت السيطرة. لأنه كان يخاف منهم، ويتوقع أن يأتي الشغب عليه من قبلهم.

2 ـ إحتكار الإنجازات التي يتوقعها لنفسه، وحصرها بشخصه، وحرمانهم منها، إن حصلت..

3 ـ تهيئتهم لقبول المسؤولية عن أي فشل، أو هزيمة قد تحصل، وعن أي اختلال، واضمحلال، وضياع للآمال. إن كان علي «عليه السلام» هو الرابح، وانتهت الأمور إلى ما لا تحمد عقباه..

4 ـ أن يعيشوا حالة المديونية له في كل شيء، واعتباره ولي نعمتهم.

5 ـ إنه بذلك يبرئ نفسه من مسؤولية التصدي والمواجهة لعلي «عليه السلام»، ولأبطاله الأشاوس، من أمثال: الأشتر، وسعيد بن قيس، و..

6 ـ إنه يريد أن يبرر إعطاءه مصر لعمرو بن العاص، ولم يعط

أحداً منهم ما يوازيها.. ولذلك استثناه من هجومه، واعتبره الوحيد من بينهم الذي يقوم بما يتوقع منه..

رواية المنقري هي الأصح:

1 - يقول ابن أعثم: إن معاوية قال عن علي «عليه السلام» وأصحابه: «والله، لقد وقوا علياً «عليه السلام» بأنفسهم، ووقاهم علي «عليه السلام» بنفسه».

لكن المنقري، قال:

إن معاوية، قال عن أصحاب علي «عليه السلام»: «قد وقوا علياً بأنفسهم».

فقال الوليد: «كلا، بل وقاهم علي بنفسه».

والظاهر: أن رواية المنقري هي الصحيحة، بدليل:

أنه ليس لمصلحة معاوية أن يشير إلى وقاية علي «عليه السلام» لأصحابه، لأن ذلك ينقض غرضه، ويدعو الذين يريد أن يلومهم إلى أن يطالبوه بأن يفعل هو كما يفعل علي «عليه السلام»، فيبرز إلى الميدان، فيقي أصحابه بنفسه أيضاً.. ولم يكن معاوية ليفتح على نفسه هذا الباب، ويأتي بما يسقط كلامه عن الإعتبار..

2 - إن وقاية علي «عليه السلام» لأصحابه بنفسه تعطينا درساً في ممارسة القيادة لمهماته، وأنها ليست مجرد إصدار أوامر، بل هي مشاركة فعلية وفاعلة، وتضحية وإقدام، وفداء. وأن يرضى

القائد لمن هم تحت يده، ما يكون هو على استعداد لمشاركتهم فيه، او لتوليه عنهم، ومباشرته دونهم.

3 - إن هذا يعطي: أن على القائد أن لا يستغرق في أهدافه الحربية، ويسعى للوصول إليها بأي ثمن كان، بل المطلوب هو أن لا تكون المهمات الموكلة إليه أولى بالنسبة إليه من حفظ أرواح من هم بإمرته..

4 - إن ذلك يعطي أيضاً: أن من الضروري أن تكون العلاقة بين القائد، وجنده هي الحب الذي يبلغ حدّ الإيثار على النفس، بل حدّ تضحية كل منهما بنفسه في سبيل حفظ حياة الآخر.

وهذا يشير إلى لزوم قيام علاقة حميمية بين القائد وجنده، وضرورة توفير الأسباب لقيام هذه العلاقة.. لا أن يكون غريباً عنهم، وبعيداً عن قلوبهم، ومفروضاً عليهم..

عجز النخبة عند معاوية:

إن المشكلة التي واجهت معاوية مع زعماء قريش الشام ليست هي تحاشي الحرب، والتكاسل أو الهروب من معاناتها. بل هي العجز والفشل في ساحات المواجهة الذي كان هو السمة الطاغية على هؤلاء الزعماء.

وهذا الفشل هو الأخطر على مسار الأمور، لأن التكاسل، وحب الراحة يمنع من افتراض وجود أهلية وقوة، وقدرات كامنة يمكن أن تعبر عن نفسها، عند تحريكها وتحفيزها.

وهذا يعني: أن الهيبة يمكن أن تجتمع مع عدم المشاركة حباً بالراحة..

ولكن المشاركة، وظهور الضعف والعجز والخواء، معناه شطب هذا الخاوي من الحسابات نهائياً. واعتباره صفراً، بل عبئاً وثقلاً، قد يحتاج الحاملون لأثقال المعركة إلى نبذه، والتخلص منه..

وقد أشار معاوية لهم إلى حقيقة أن عجز هؤلاء الزعماء، قد ظهر في مجالين، هما الأخطر والأكثر حساسية:

الأول: العجز في ساحات الحرب، الذي ليس له معنى إلا خسارة الحرب.

الثاني: العجز في المساجلات الكلامية، والمفاخرة، وفي المنطق، والعجز في هذا المجال معناه سقوط القضية التي كانت الحرب من أجلها.. ونسف الأسس التي قامت عليها. وإخراجها من النفوس والعقول. ولذلك قال لهم: «ويحكم، أما منكم من يقوم لقرنه منهم مبارزة، أو مفاخرة»؟!

وهذا يشير إلى لزوم كون الإعداد الإعلامي الحربي، والقدرة على طرح القضايا بقوة موازياً في قوته للإعداد القتالي للخطط، وللسلاح وللرجال، وللإستطلاع، وجمع المعلومات عن العدو، وما إلى ذلك.

وجحدوا بها:

1 ـ وما اقبح ما اعتذر به مروان بن الحكم ـ وهو يبرر لمعاوية عجزهم وفشلهم الذريع ـ حيث صرح بما يدل على أن قضيتهم التي يحاربون من أجلها، هي محض العدوان، والتجني على الحق، وعلى الدين وأهل الدين.

فبماذا إذن يفاخرون؟! ومن أين يأتون بالفضائل والمزايا، والأمجاد ليفاخروا بها علياً «عليه السلام»، وبني هاشم، وكل الفضائل والأمجاد لعلي، وبيت علي «عليه السلام»، في الجاهلية والإسلام؟!

وهذا الإعتراف الصريح من مروان أمام أقرانه، وعدم اعتراض أحد منهم عليه، بل إن معاوية يوافق ضمناً على كلامه، بادعائه أنه لم يطلب منهم مفاخرة علي «عليه السلام» بل طلب منهم محاربته، يدل على أمرين:

أولهما: ما أشرنا إليه من أنهم يعترفون بأن حربهم لعلي «عليه السلام» هي محض عدوان، وبغي، وظلم، وإجرام..

الثاني: إن محاولتهم مفاخرة بني هاشم كما كان يحصل من معاوية لم يكن إلا على سبيل البغي والجحود للحق، ومحاولة تضليل الناس، وإيهامهم أن لبني أمية مآثر، ومكانة وأمجاد، أو مزايا تضارع مكانة وأمجاد ومزايا بني هاشم..

مع أنهم في قرارة أنفسهم يعتقدون بخلاف ذلك.. كما أظهرته هذه

الواقعة، فهم من مصاديق قوله تعالى: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)**(1).

بالإضافة إلى أنهم معتدون باغون ظالمون..

أمرتكم بمثاقفته:

وتذكر رواية ابن أعثم: أنه بعد أن جهر مروان ببعض الحقيقة،ولم يجد معاوية سبيلاً إلى الإعتراض، قال له: «لم آمركم بمفاخرته، وإنما أمرتكم بمثاقفته». والمثاقفة: هي الخصام والجلاد. والملاعبة بالسلاح ومحاولة إصابة الغرة في المسايفة ونحوها. أي أنه أراد منهم ملاعبة علي «عليه السلام» بسيوفهم، والتحايل عليه لإصابة الغرة منه، وقتله..

ونحن نعلم أن معاوية قد صرح لهم في بادئ الأمر بأنهم كانوا مغلوبين في المفاخرة، وفي المبارزة على حد سواء، ولكنه تراجع عن كلامه هذا حين لم يجد ما يواجه به كلام مروان..

كما أن معاوية لم يكن يجهل بعجزهم عن مواجهة أمير المؤمنين «عليه السلام» في المبارزة بالسلاح، وأن محاولتهم ذلك تعني فناءهم عن آخرهم.. ولكن ظهور حجة مروان عليه ألجأته إلى التخلص من غائلة كلامه بهذا النحو المفضوح..

---

(1) الآية 14 من سورة النمل.

علي لا يأذن لأولاده بالمبارزة:

وقد صرح مروان بأن علياً «عليه السلام» لا يأذن للحسنين «عليهما السلام»، ولا لولده محمد، ولا لابن عباس، وإخوته بالمبارزة.. فهل كان يضن بهم عن ذلك؟!

ونجيب:

أولاً: ليس بين أيدينا ما يدل على صحة ما ادعاه مروان، من أن علياً «عليه السلام» كان يمنع هؤلاء من مبارزة أحد يدعوهم إلى المبارزة بأشخاصهم وأعيانهم.

ثانياً: ولو سلمنا أن أحداً طلب مبارزتهم، فإن علياً «عليه السلام» لا يمنعهم من مبارزته، بل يبادر هو دونهم وفقاً لما قاله مروان نفسه، من أنه كان يفدي أصحابه بنفسه..

ثالثاً: لو سلمنا أنه منعهم، فإننا نقول: إن معاوية وبني أمية كانوا يسعون إلى إبادة بني هاشم، ولا سيما الأئمة منهم، وعلى رأسهم علي والحسنان «عليهما السلام».

وكانت صفين فرصة لهم لاصطياد كل من قدروا عليه منهم، ولا سيما من كانوا متميزين في العلم، والفضل، والمكرمات الإنسانية والأخلاقية، وخصوصاً من نص النبي «صلى الله عليه وآله» على إمامتهم..

فلو أن معاوية وجد السبيل إلى أحد منهم، فسيغري به جميع ذؤبان العرب الذين يأتمرون بأمره، ويستطيع تحريكهم لإنجاز هذا

المهم.

فهو يريد قتلهم ليحرق بقتلهم قلب أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويشفي غيظه، وينفس عن بعض حقده من جهة.. ولأنه يكون قد أبعد بعض مفردات الخطر التي يخشاها في المستقبل، ويريد إزاحتها من طريق من يريد تكريس الحكم فيهم، كولده يزيد، أو غيره من بني أمية..

رابعاً: إنه إذا كان «عليه السلام» قادراً على حفظ هؤلاء الصفوة من الأخطار، بما له من هيبة وصولة. فلماذا لا يفعل ذلك؟!

وما الحاجة إلى هذه المخاطرة التي يمكنه تلافيها، من دون حدوث أي خلل في مسار الأمور؟!

خامساً: إنه «عليه السلام» إنما كان يمنع الحسنين «عليهما السلام»، وابن الحنفية، وأبناء عباس وغيرهم من طلب المبارزة من أحد، لكي لا يتحقق مفهوم البغي من قبلهم، ولكنه كان يأمرهم بمبارزة من يطلبهم إلى ذلك، كما أشرنا إليه فيما سبق في قضية ترتبط بالإمام الحسين «عليه السلام».

سادساً: لقد كان «عليه السلام» مهتماً بضبط الأمور، فلم يكن يرضى من أحد من جنده أن يقدم على أي تصرف من دون إذنه، فكان يمنعهم من المبارزة بدون الحصول على هذا الإذن.. كما جرى للعباس بن ربيعة، وهذا شرط نافذ عليهم وعلى غيرهم، وقد ورد في

الروايات: أنه لا يجوز مبارزة أحد إلا بإذن الإمام(1).

أما العباس بن ربيعة، فقد روي: أن علياً «عليه السلام» إنما لامه على أنه قد أخل بمركزه، وصرح «عليه السلام»: بأنه أمره هو وابن عباس أن لا يخلا بمركزيهما(2).

وهذا حق له كإمام، وكقائد يريد ضبط الأمور، وإبقائها تحت السيطرة.. ولا يمكن لأحد أن ينازعه في هذا الحق..

سابعاً: لقد كانت ظروف نشأة الإسلام، وواجب حفظه تقتضي بأن يكون علي أمير المؤمنين «عليه السلام» هو المدافع عنه بنفسه وبشخصه، وأن يواجه هو العداوات والأحقاد، حيث لم يكن هناك خيار آخر.. وبعد استشهاد الرسول «صلى الله عليه وآله» أصبح الأمر في سعة من ذلك، إذ كان يكفي أن يتابع علي «عليه السلام» نهجه هذا، مواجهاً بغي وأحقاد الناس، وعداواتهم، ويبقى الحسنان «عليهما السلام» في منأى عن ذلك، لتوفير قدر من المشكلات

---

(1) الكافي ج5 ص34 وراجع ج7 ص376 وتهذيب الأحكام ج6 ص169 وراجع ج10 ص213 و 214 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص89 وج29 ص272 و (الإسلامية) ج11 ص67 وج19 ص205.

(2) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص220 الفتوح لابن أعثم ج2 ص140 و (ط دار الأضواء) ج3 ص143 وبحار الأنوار ج32 ص592 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص120 وتفسير العياشي ج2 ص81.

عليهما، حين يتحملان مسؤولية الإمامة بعده «عليه السلام»، فلا يتذرح أحد بأنهما قد قتلا أباه، أو أخاه..

مروان يهدد بالإنقلاب:

والغريب في الأمر هنا، أن نرى مروان بن الحكم يلوِّح لمعاوية ولأخيه عتبة، وغيرهما، بالتهديد بالإنحياز إلى علي «عليه السلام»، لما يراه فيه من حسب ودين.. ولكنه زعم أن الذي يمنعه من ذلك أمران:

أحدهما: أنه يضيع مأثرته التاريخية يوم الهجوم على عثمان، حيث دافع عنه، ويريد أن يحفظ له الأمويون وحزبهم هذه المأثرة..

ثانيهما: حربه لعلي «عليه السلام» يوم الجمل، فإنه يخشى أن لا يغفرها له علي «عليه السلام»، أو أنه يخشى أن لا يجد عنده الحظوة التي يريدها..

ومهما يكن من أمر، فإن ما جرى بين هؤلاء من لوم وتعيير، وتبكيت لبعضهم.. يجعلهم مصداقاً واضحاً لقوله تعالى: (**..تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**)(1).

ولولا أنهم يرون أنهم بحاجة إلى بعضهم البعض، لما اصطلحوا بهذه السرعة.

(1) الآية 14 من سورة الحشر.

وإن كان المال الذي بذله معاوية لهم، هو حلاَّل عُقَدِهم، فالدنيا هي التي تفرقهم، وهي التي تجمعهم، ولا يجمعهم رضا الله، ولا يجتمعون على الحق، والهدى..

جعدة يلقم عتبة حجراً:

والحوار الذي جرى بين عتبة بن أبي سفيان، وجعدة بن هبيرة.. لا يحتاج إلى تعليق، أو بيان، ويكفي أن نشير إلى ما يلي:

1 - إن تفسيرات عتبة للأمور قد جاءت منسجمة مع طبيعة ما يفكر به، والأجواء التي يعيشها، فهو يفسر موقف جعدة على أنه بتأثير العاطفة، وأن سببه هو حبه لخاله علي «عليه السلام»، وعمه عمر بن أبي سلمة عامل علي «عليه السلام» على البحرين.

ولا يفسره على أنه وعي، وشعور بالمسؤولية، ودفاع عن الحق، وانصياع للتكليف الشرعي، ورجاء لثواب من الله، وخوف من عقابه..

2 - إنه يرى: أن أحقية معاوية بحكومة الشام تستند إلى:

ألف: رضا أهلها به، ولا ينظر إلى حكم الله تعالى في موضوع الخليفة والخلافة، والحاكم والحاكمية، وما تعقد به الإمامة، وتنال به الزعامة..

ولا يرى لبيعة المهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، وسائر الناس، وقبل ذلك بيعة الغدير لعلي «عليه السلام»

أثراً، ولا للنصوص القرآنية، والنبوية المؤكدة لإمامته وخلافته، ولا لعلمه وتقواه، وزهده وجهاده، وميزاته وفضائله قيمة في هذا المجال..

كما أنه لا يرى أن خواء معاوية من العلم وبعده عن الزهد، وعن سائر الفضائل الدينية، وبغيه على إمامه، وخروجه عليه، وقتله عشرات الألوف من أهل القبلة ـ لا يرى ذلك كله ـ يوجب حرمانه من الولاية على الأمة، مع أنه ليس فقط ليس أهلاً لذلك، بل هو ليس أهلاً للولاية حتى على عائلته الصغيرة القابعة في بيته، فضلاً عن غيرهم..

ب: العنصر الآخر الذي يعتمد عليه عتبة في استحقاق الخلافة، هو القوة.

وقد دلّنا على ذلك قوله: «فوالله، ما بالشام رجل به طرق ـ أي قوة ـ إلا وهو أجدُّ من معاوية في القتال..».

وبذلك يكون عتبة قد أعطى الشرعية لحكومة الأقوياء، لمجرد كونهم أقوياء، إذا رضي بهم الناس..

3 ـ إن التدقيق في أقوال عتبة يؤدي إلى إبطال خلافة عثمان، ولا سيما أواخر خلافته، لأن خلافته بطلت حين حوصر وهوجم، وضعف حتى قتل، لفقد القوة، لو أخذنا بمنطق عتبة.. فاختل المبرر الثاني.

كما أنه حين ثار عليه الناس في المدينة، والعراق، ومصر.. وقتلوه، يكون قد فقد العنصر الأول، وهو رضا الناس..

فالناس إذن لم يقتلوا عثمان الخليفة، لأن هذه الصفة قد نزعت عنه قبل أن يقتل، لما ذكرناه.. بل قتلوا رجلاً عادياً كسائر الناس،

حسب منطق عتبة بن أبي سفيان.

4 ـ وإذا كان السكوت عن قتل عثمان مانعاً لعلي«عليه السلام» من الخلافة والحكم، ويسوغ جمع الجيوش لحربه، فليكن قتل معاوية ألوف المسلمين في حرب صفين مانعاً لمعاوية من الخلافة والحكم، ومسوغاً لمحاربته.

5 ـ وذكر عتبة أنه يقبح بعلي «عليه السلام» أن يقال: إنه بعد أن أصاب سلطاناً أفنى العرب.. مع أنه كان قبل ذلك في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس.

ويا ليته قال أيضاً: إن معاوية بالرغم من أنه لم يصب سلطاناً، وإنما كان متغلباً وغاصباً، فإنه أفنى العرب في سبيل أن يصيب سلطاناً.

ويزيد في قبح فعل معاوية هذا أنه ليس له في قلوب أهل الحل والعقد، وصلحاء الأمة أية قيمة، أو اعتبار، ويرون أنه لا حق له بتولي شيء من أمور الناس. فهو غريب عن هذا الأمر بكل معنى الكلمة..

6 ـ بالنسبة لجواب جعدة لعتبة، نقول: لقد جاء دقيقاً وعميقاً، لم يستطع عتبة أن يستوعبه، وقد فوجئ به، فلم يجد أمامه غير السباب والشتائم، كما هو حال أقرانه من الفاشلين والعاجزين، فلم يجبه جعدة بشيء، وأعرض عنه..

ونود لفت نظر القارئ إلى التفاوت الكبير بين منطق أهل الحق،

ونظرتهم للأمور، وفهمهم لها، وبين فهم أهل الباطل، وأن جعدة إنما كان ينطلق في حواره من أساسيات وثوابت ومعايير، تنطلق من الحق، والشرع والدين، والقيم، والأخلاق، والمزايا والمعاني الإنسانية، وحقائق التكوين، والتضحية والفداء، والجهاد في سبيل الله، والزهد بالدنيا، والإيمان بالآخرة والحساب، والثواب والعقاب.. والإعتراف بالآخر، وبحقوقه، وضرورة إنصافه، والثبات على الموقف، ودراسة الأمور والأحوال دراسة واعية وموضوعية، ووضع الأمور في نصابها الصحيح، وما إلى ذلك.

النتيجة:

وقد اختصر معاوية النتيجة التي انتهى إليها أخوه عتبة في بغيه، وظلمه.. بقوله: «كَلَّمتَ جعدة، فأربى عليك في الكلام. وقاتلته، فقاتلك، وفضحك..».

واعترف عتبة بعجزه وفشله أيضاً..

الباب العاشر:

إلى أن توقف القتال..

الفصل الأول: تهديد علي × أرعبهم..

الفصل الثاني: يوم الهرير.. وليلة الهرير

الفصل الثالث: التوضيحات رقم 1، التوطئة لقرع الطبوع..

الفصل الرابع: التوضيحات رقم 2، آخر المعارك..

الفصل الخامس: أمطرت السماء دماً..

الفصل السادس: رفع المصاحف..

الفصل السابع: حتمية وقف القتال..

الفصل الثامن: لله الأمر من قبل ومن بعد..

الفصل الأول:

تهديد علي × أرعبهم..

الحرب النفسية أثمرت:

ذكر المنقري: أن علياً «عليه السلام»، أظهر أنه مصبِّح غداً معاوية ومناجزه، فبلغ ذلك معاوية، وفزع أهل الشام لذلك، وانكسروا لقوله(1).

وقال ابن أعثم:

ووقع في عسكر معاوية الخوف، والحذر والفزع، لما قد عزموا عليه إذا أصبحوا، وجعل معاوية يقول لأصحابه: يا أهل الشام! اعلموا أنكم تقاتلون غداً إخوانكم من العرب، فكونوا على إحدى ثلاث خصال: إما أن تكونوا قوماً تطلبون ما عند الله بقتال قوم بغوا عليكم، وفلّوا من بلادهم حتى نزلوا ببيضتكم.

وإما أن تكونوا قوماً تطلبون بدم الخليفة عثمان، فإنه خليفتكم

---

(1) صفين للمنقري ص468 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص120.

وصهر نبيكم.

وإما أن تكونوا تذبون عن حريمكم وحُرَمِكُم، يولوكم بتقوى الله والصبر الجميل(1).

ويتابع المنقري، فيقول:

وكان معاوية بن الضحاك بن سفيان، صاحب راية بنى سليم مع معاوية، وكان مبغضاً لمعاوية [وأهل الشام، وله هوى مع أهل العراق، وعلي بن أبى طالب «عليه السلام»]، وكان يكتب بالأخبار إلى عبد الله بن الطفيل العامري، ويبعث بها إلى على «عليه السلام»

فبعث إلى عبد الله بن الطفيل: إنى قائل شعرا أذعر به أهل الشام، وأرغم به معاوية.

وكان معاوية لا يتهمه، وكان له فضل، ونجدة، ولسان.

فقال ليلاً ليسمع أصحابه:

ألا ليت هذا الليل أطبق سرمدا   علينا وأنا لا نرى بعده غدا
ويا ليته إن جاءنا بصباحه   وجدنا إلى مجرى الكواكب مصعدا
حذار علي إنه غير مخلف   مدى الدهر، ما لبى الملبون موعدا

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص172.

فأمـــا قــرارى في البلاد فليس لى مقام ولو جاوزت جابلق مصعدا
كـــأنى به في الناس كاشف رأسه على ظهر خوار الرحالـة أجردا
يـخـوض غـمار الموت في مرجحنَّة يـنـادون فـي نقـع العجـاج محمـدا
فـوارس بـدر والنضـيـر وخيبر وأحـد يـروون الصـفيح المهـنـدا
ويـــوم حنيـنى جالدوا عن نبيهم فريقـا مـن الأحـزاب حتـى تبـددا
هنـالك لا تـلوى عجوز على ابنـها وإن أكثـرت فـي القـول نفسـي لـك الفدا
فقل لابن حرب ما الذي أنت صانع أتثبــت أم نـــدعوك فـــي الحـــرب قعـــــــــــــدا
وظني بـأن لا يصبـر القـوم موقفـا يقفــه وإن لــم يجـر فــي الــدهر للمـــــــــــــدى
فـلا رأي إلا تـــركنـــا الشام جهرة وإن أبـــرق الفجفـــاج فيهـــا وأرعدا(1)

[قال ابن أعثم:

فبلغ معاوية شعره فهم بقتله، [وقال: قاتله الله، لو أصاب خلف جابلق مكاناً لجاز إليه.

---

(1) صفين للمنقري ص468 و 469 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص120 و 121 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص134 و 135 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص172 و 173.

قال: فهرب صاحب هذا الشعر في جوف الليل، فصار إلى علي «رضي الله عنه»، فكان معه][1].

ويقول المنقري:

فلما سمع أهل الشام شعره أتوا به معاوية فهم بقتله، ثم راقب فيه قومه. وطرده عن الشام، فلحق بمصر، وندم معاوية على تسييره إياه.

وقال معاوية: والله لقول السلمى أشد على أهل الشام من لقاء علي، ماله ـ قاتله الله ـ لو أصاب خلف جابلق مصعدا نفذه[2].

وجابلق: مدينة بالمشرق.

وجابلص: مدينة بالمغرب ليس بعدهما شيء.

رعب معاوية من الأشتر:

وقال الأشتر حين قال على «عليه السلام»: إننى مناجز القوم إذا أصبحت:

قد دنا الفصل في الصباح وللسـ ـلم رجال وللحروب رجال
فرجال الحروب كل خدب مقحم لا تهده الأهوال
يضرب الفارس المدجج بالسيـ ـف إذا فل في الوغى الأكفال
يا ابن هند شد الحيازيم للمو ت ولا يذهبن بك الآمال

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص173.

(2) صفين للمنقري ص469 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص121.

إن في الصبح إن بقيت لأمرا تتفادى من هوله الأبطال
فيه عز العراق أو ظفر الشام بأهل العراق والزلزال
فاصبروا للطعان بالأسل السمر وضرب تجرى به الأمثال
إن تكونوا قتلتم النفر البيض وغالت أولئك الآجال
فلنا مثلهم وإن عظم الخطب، قليل أمثالهم أبدال
يخضبون الوشيج طعنا إذا جرت من الموت بينهم أذيال
طلب الفوز في المعاد وفي ذا تستهان النفوس والأموال

فلما انتهى إلى معاوية شعر الأشتر، قال: شعر منكر من شاعر منكر، رأس أهل العراق وعظيمهم، ومسعر حربهم، وأول الفتنة وآخرها.

وقد رأيت أن أكتب إلى علي «عليه السلام» كتاباً أسأله الشام ـ وهو الشيء الأول الذى ردنى عنه ـ وألقى في نفسه الشك والريبة.

فضحك عمرو بن العاص، ثم قال: أين أنت يا معاوية من خدعة علي؟!

فقال: ألسنا بنى عبد مناف؟!

قال: بلى، ولكن لهم النبوة دونك، وإن شئت أن تكتب فاكتب.

فكتب معاوية إلى على «عليه السلام» مع رجل من السكاسك، يقال له: عبد الله بن عقبة، وكان من ناقلة أهل العراق، فكتب:

أما بعد، فإنى أظنك أن لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت

وعلمنا، لم يجنها بعضنا على بعض، وإنا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى، ونصلح به ما بقى.

وقد كنت سألتك الشام على ألا يلزمنى لك طاعة ولا بيعة، فأبيت ذلك علي، فأعطاني الله ما منعت، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإنى لا أرجو من البقاء إلا ما ترجو، ولا أخاف من الموت إلا ما تخاف.

وقد والله رقت الأجناد، وذهبت الرجال، ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستذل به عزيز، ولا يسترق حرٌ به. والسلام.

فلما انتهى كتاب معاوية إلى علي «عليه السلام»،قرأه، ثم قال: العجب لمعاوية وكتابه.

ثم دعا علي عبيد الله بن أبى رافع كاتبه، فقال: اكتب إلى معاوية: " أما بعد فقد جاءني كتابك، تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض.

فإنا وإياك منها في غاية لم تبلغها.

وإنى لو قتلت في ذات الله وحييت، ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة، لم أرجع عن الشدة في ذات الله، والجهاد لأعداء الله.

وأما قولك: إنه قد بقى من عقولنا ما نندم به على ما مضى، فإنى ما نقصت عقلي، ولا ندمت على فعلى.

فأما طلبك الشام، فإنى لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك [منها]

أمس.

[زاد في نهج البلاغة: وأما قولك: أن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت، ألا ومن أكله الحق، فإلى الجنة. ومن أكله الباطل، فإلى النار].

وأما استواؤنا في الخوف والرجاء، فإنك لست أمضى على الشك مني على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة.

وأما قولك: إنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل، فلعمري إنا بنو أب واحد، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبى طالب، ولا المهاجر كالطليق، [زاد في نهج البلاغة: ولا الصريح كاللصيق]، ولا المحق كالمبطل.

[زاد في نهج البلاغة: ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هوى في نار جهنم].

وفي أيدينا [بعد] فضل النبوة التى أذللنا بها العزيز، وأعززنا بها الذليل. والسلام(1).

---

(1) صفين للمنقري ص469 - 471 وكنز الفوائد ج2 ص44 و 45 و (نشر مكتبة المصطفوي سنة 1369 هـ ش) ص200 و 201 وبحار الأنوار ج32 ص611 و 612 وج33 ص104 - 105 و 415 و 416 وعن مروج الذهب ج3 ص21 و 22 والأخبار الطوال ص186 و 187

[زاد في نهج البلاغة، قوله: ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجاً، وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً، كنتم ممن دخل في الدين، إما رغبة، وإما رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم، فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً، ولا على نفسك سبيلاً](1).

وروى نصر، عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة قال: فلما أتى معاوية كتاب علي كتمه عن عمرو بن العاص أياماً، ثم دعاه بعد ذلك فأقرأه الكتاب، فشمت به عمرو.

ولم يكن أحد من قريش أشد تعظيماً لعلي «عليه السلام» من عمرو منذ يوم لقيه وصفح عنه.

فقال عمرو بن العاص فيما كان أشار به على معاوية:

والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص103 و 104 و (تحقيق الشيري) ج1 ص137 و 138 والمناقب للخوارزمي ص255 - 256 و 240 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص16 و 17 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص45 و 46 ونهج السعادة ج4 ص269 - 271 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص121 - 123 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج31 ص377 و 378.

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص16 و 17 الكتاب 17 وبحار الأنوار ج3 ص105 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص117 وراجع: جواهر المطالب ج1 ص362 .

ألا لله درك يـــا ابـــن هـــنـــد ودر الآمـــرين لـــك الشـــهود
أتـــطـــمـــع لا أبــالك في علي وقـد قـرع الحديـد علـى الحديـد
وتـــرجـــو أن تـحـيره بشـك وترجـــو أن يهابـــك بالوعيـــد
وقـــد كشـف القناع وجر حربا يشـــيب لهولهـــا رأس الوليـــد
لــــه جــأواء مظلمـة طحون فوارســـــها تَلَهَّـــبُ كالأســـود
يقـول لـهـا إذا دلفـــت إليـــه وقـد ملـت طعـان القـوم عـودي
فإن وردت فــأولـهــــا ورودا وإن صـدت فلـيس بـذى صـدود
ومــــا هي مــن أبى حسن بنكر ومــا هــي مـن مسـائك بالبعيـد
وقـــلت لــــه مقــالة مستكين ضـعيف الـركن منقطـع الوريـد
دعــن(1) الشام حسبك يا ابن هند مـن السـوءات والـرأى الزهيـد
ولـــو أعـــطاكها ما ازددت عزا ولا لــك لــو أجابــك مـن مزيـد
ولـم تـكســـر بذاك الرأي عودا لـــركتـــه ولا مــــا دون عـود

فلما بلغ معاوية قول عمرو دعاه، فقال: يا عمرو، إنني قد أعلم ما أردت بهذا.

قال: ما أردت؟!

قال: أردت تفييل رأيي، وإعظام علي «عليه السلام»، وقد فضحك. [بالأمس، فرميت بنفسك عن فرسك كاشفاً عن عورتك]

---

(1) إن كان النون هي نون التوكيد الثقيلة، فالبيت صحيح. وإن كان هي الخفيفة، فلعل الصحيح: دَعَن لي الشام. وفي الفتوح: وعز الشام.

قال: أما تفييلى رأيك، فقد كان.

وأما إعظامي علياً فإنك بإعظامه أشد معرفة منى، ولكنك تطويه وأنا أنشره.

وأما فضيحتي، فلم يفتضح امرؤ لقي أبا حسن. [لا بل ذلك فخر له، فإن شئت أن تبلو ذلك، فتقدم].

وقد كان معاوية شمت بعمرو، حيث لقي من علي «عليه السلام» ما لقي، فقال عمرو في شماتة معاوية:

معــاوي لا تشمت بفارس بهمة لقي فارساً لا تعتريه الفوارس
معاوي إن أبصرت في الخيل مقبلا أبـا حسـن يهـوى دهتـك الوساوس
وأيـقنـت أن الموت حق وأنه لنفسك إن لم تمض في الركض حابس
فإنـك لـو لاقيته كنت بومة أتيح لها صقر من الجو آنس
ومـاذا بـقـاء القوم بعد اختباطه وإن امـرأ يلقـى علياً لآيـس
دعـاك فَصُمَّتْ دونه الأذن هاربا بنفسك قد ضاقت عليك الأمالس
وأيـقنت أن الموت أقرب موعد وأن التى ناداك فيها الدهارس
وتشـمت بى أن نـالنى حد رمحه وعضضـنى نـاب مـن الحـرب ناهس
أبى الله إلا أنـه ليـث غـابـة أبـو أشبل تهدى إليه الفرائس
وأنـى امـرؤ بـاق فلم يلف شلوه بمعترك تسفى عليه الروامس

فإن كنت في شك فأرهج عجاجة وإلا فتلك الترهات البسابس(1)

ونقول:

إيضاحات:

فللوا من بلادهم: أي جيء بهم فلولاً، أي جماعات. والقوم وطأوا أرضاً فلاً: أي جدبة.

نزلو ببيضتكم: نزلوا في ساحتكم.

خوار: فرس خوار: سهل المعطف، كثير الجري.

الرِّحالة: السرج من جلود لا خشب فيه، يتخذ للركض الشديد.

الأجرد: يقال: فرس أجرد، قصير الشعر رقيقه.

مُرْجَحِنَّة: يقال: ارجحن الشيء: مال واهتز. وارجحن السراب: ارتفع. وجيش مرجحن: ثقيل.

الصفيح: السيف العريض.

المهند: السيف المطبوع من حديد الهند.

نفذه: جازه.

القعدد: بضم القاف والدال، وبفتح الدال ايضاً: الجبان اللئيم،

(1) صفين للمنقري ص471 - 473 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص154 - 157.

القاعد عن الحرب والمكارم.

الفجفاج: الكثير الكلام والفخر بما ليس عنده.

الخِدّبّ: العظيم والشيخ. والضخم الطويل من الرجال.

الأكفال: جمع كفل ـ بالكسر ـ هو من الرجال يكون في مؤخر الحرب، إنما همته في الفرار والتأخر.

الحيازيم: ما يضم عليه الحزام، يقال له: حيزوم. وشد الحيازيم كناية عن الصبر.

الأسل: الرماح.

الوشيج: شجر الرماح.

الناقلة: الذي يحول الشيء من موضع إلى آخر. والناسخ الكتاب. وراوي الكلام عن قائله.

الجأواء: الكتيبة يعلوها لون السواد لكثرة الدروع.

دلف إليه: مشى إليه.

تفييل الرأي: تضعيفه وتقبيحه وتخطئته.

البهمة: الشجاع الذي يستبهم على أقرانه.

آنس: الأسد الآنس، الذي احس بفريسته من بُعدٍ.

الأمالس: جمع إمليس وإمليسة، وهي الفلاة ليس بها نبات.

الدهارس: الدواهي.

الناهس: الذي يأخذ اللحم بمقدم أسنانه، وينتفه.

الفرائس: جمع فريسة.

الروامس: الرياح الدوافن للآثار.

الشلو: العضو من أعضاء اللحم. وكل مسلوخ أكل منه شيء، وبقيت منه بقية. وأعضاء الإنسان بعد البلى والتفرق.

الترهات البسابس: الأباطيل.

الحرب النفسية:

تقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» أظهر أنه مصبِّح غداً معاوية ومناجزه، فبلغ ذلك معاوية، ففزع أهل الشام تلك الليلة لذلك، وانكسروا لقوله..

وقد يبدو هذا الفزع والخوف غريباً، وبلا مبرِّر، لا سيما، وأنه قد مضى على الحرب بين الفريقين مدة طويلة تعدّ بالأشهر، وكانت بينهم أكثر من ثمانين وقعة، فهم يتحاربون طوال النهار، ثم يفترقون، ليعودوا للحرب في اليوم الذي بعده.. وكان علي «عليه السلام» حاضراً بين أهل العراق، وفي ساحات القتال طيلة أيام الحرب.

فلماذا الفزع إلى هذا الحد في هذه المرة بالذات؟!

وما الذي استجد على الساحة، وأوجب هذا الخوف من أهل الشام؟!

ألم يكن علي «عليه السلام» موجوداً في تلك الأيام؟!

وألم يكن في كل يوم عازماً على مناجزتهم في اليوم الذي يليه،

فإذا طلع الفجر عبأ أصحابه بنفسه، ثم يبدأ القتال؟!

وهل مجرد تصريحه بعزمه على مناجزتهم هو الذي أخافهم؟!

ألم تكن تعبئته أصحابه عند طلوع الفجر التالي، ومباشرته للقتال بنفسه كافياً في الدلالة على عزمه على مناجزتهم، فلماذا أفزعهم هذا التصريح؟!

ويمكن أن يقال في الجواب:

1 - نعم.. إن نفس تصريح علي «عليه السلام» هو الذي أخاف معاوية وأهل الشام..

لأن هذا التصريح معناه عندهم: أنه «عليه السلام»:

أولاً: يعطي وعداً للناس بإنجاز وحسم هذا الأمر، مما يعني أن طريقة وأسلوب الحرب، سوف يختلف بعد هذا الوعد.

ثانياً: لعله «عليه السلام» قد هيأ خطة حربية، واطلع على ثغرات لدى عدوه، تمكنه من أن يأتي بالنصر من خلالهما..

ثالثاً: ربما يكون قد رأى أن عدوه فقد قسطاً كبيراً من قدراته، وفقد ميله للحرب. وتلمَّس لدى العراقيين رغبة في حسمها، مهما كلفهم ذلك من جهد وتضحيات..

2 - وقد ساعد على بث هذا الرعب ذلك الشعر، الذي قاله معاوية بن الضحاك بن سفيان، الذي ذعر به أهل الشام بالفعل، فإنه شِعر الهزيمة لمن يبحث عن ثقب يمكنه من الإفلات من المأزق الذي هو فيه، ويودّ لو أنه يصعد في الهواء، أو يغوص في الماء، أو يهيم على

وجهه في البراري والقفار، أو أن يصبح الليل عليه سرمداً، ولا يأتيه الصباح، لأنه سيلاقي فوارس مجرَّبين في الحروب، كانوا هم الذين نصروا النبي «صلى الله عليه وآله» في بدر، وأحد، وحنين، وخيبر، والنضير، والخندق..

وإذا كان هؤلاء هم الذين سيواجههم أهل الشام، فستذهل كل مرضعة عما أرضعت مهما كانت متعلقة برضيعها، ومهما أكثرت من تفديته بنفسها..

ولن يجد معاوية حيلة مقابل هؤلاء إلا أن يترك لهم الشام بما فيها، ويتيه مع التائهين، فلعله ينجو بجلده مع الناجين.

3 - ثم جاءت أبيات الأشتر، عظيم أهل العراق، ومسعِّر حربهم، لتزيد الطين بِلَّة، والخرق اتساعاً.

4 - إن نفس أقوال معاوية لأهل الشام، وهو يحرضهم على الحرب، قد أسهمت هي الأخرى في إثارة الفزع والخوف لديهم، لأن الخصال الثلاث التي وضعها أمامهم، قد أكدت على أنهم في مأزق، فعدوهم ـ على حد قوله ـ في عقر دارهم، وقد انتهك حريمهم، وتعمد معاوية أن يوحي لهم بأن أعراضهم في خطر، فلا خيار لهم سوى الذبّ عن حريمهم، وعن أعراضهم..

ولم يذكر لهم أية إشارة إلى أي باب رجاء يمكن أن يشمُّوا منه رائحة السلامة، ولا بشرهم بفوز، ولا حتى أشار إلى احتماله..

بل هو قد أسهم عن جهل، أو غباء في إضعاف ميلهم إلى

الحرب، حين قرَّر لهم أنهم يحاربون إخوانهم من العرب، الذي يعني أن أخوَّتهم لهم، وعصبيتهم لعربيتهم، لا بد أن تقلِّل من حماسهم لقتالهم..

مغالطات معاوية:

وقد تضمن كلام معاوية في تحريضه لأهل الشام العديد من موارد الإشكال، فلاحظ ما يلي:

أولاً: لقد جرت عادته على عدم الإكتراث بتذكير الناس بالله، ربما لكي لا يفسح المجال للإحتجاجات، ولا تنهال عليه الإشكالات، بأن حربه التي أصرَّ على إثارتها، هي ضد الأوامر الإلهية، ومن موجبات الغضب الإلهي، وهي تصديق لما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من أنه وفريقه هم القاسطون، الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن، وعهد إلى علي «عليه السلام» بمحاربتهم..

ولكنه غيّر عادته في هذا المورد.. ولعل السبب في تذكيره أصحابه بلزوم اللجوء إلى الله، وحديثه لهم عن التقوى، هو مجرد ذرّ الرماد بالعيون، مع إدراكه أن لحظات الخوف والضعف التي يواجهها هو وأصحابه تصرفهم عن الإشكال عليه بأي شيء آخر، وينصرف كل تفكيرهم إلى البحث عن طريقة للخلاص من المأزق الذي هم فيه، وخلاصهم يعني خلاصه هو بالدرجة الأولى.

ثانياً: إنه يدعي لهم أن علياً «عليه السلام» هو الذي قصدهم إلى بلادهم، ونزل في ساحتهم.. ويريد أن يتهمه «عليه السلام» بأنه هو

الباغي، والمعتدي، والمبادر للحرب..

مع أنهم يعلمون أنه هو الذي أصرَّ على الحرب، وهو الذي بدأها، ولم يرض بالتراجع عنها، بالرغم من دعوات علي «عليه السلام» المتكرِّرة والمتواصلة له بالعودة إلى حكم الله تعالى، وإلى ما يقتضيه الشرع الشريف..

ثالثاً: إنه يدعي لهم أن هذه الحرب هي للطلب بدم خليفتهم عثمان.. مع أنه:

ألف: لم يزل يقترح هو وكبار قادته وأعوانه على أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن يعطيه الشام، ويرجع إلى بلده.. فلو كان الهدف هو الطلب بدم عثمان، فلماذا يطلب الشام ثمناً للكف عن الحرب؟!

ب: إن علياً «عليه السلام» هو الإمام والحاكم، وقد قال له باستمرار: أدخل فيما دخل فيه المسلمون، وارفع أمر قتلة عثمان وحاكمهم إليّ، لكي ينظر «عليه السلام» في أمرهم من موقعه كحاكم وقاض، ويجري فيهم حكم الله..

ج: إنه «عليه السلام» لم يقتل عثمان، لكي يطلب أهل الشام بدم عثمان منه.. وإنما هو أمر ادعاه معاوية لهم، ولم يقم لهم عليه أي شاهد، أو دليل.

د: إنه «عليه السلام» لم يزل هو وأصحابه يذكرون معاوية بأنه ليس هو ولي دم عثمان، بل ولي دمه هم أبناؤه، فلماذا لا يتصدى أبناؤه للمطالبة بدم أبيهم؟! وما شأنه هو بهذا الأمر؟!

رابعاً: إن علياً «عليه السلام» لم يهتك حرمة أهل الشام، ولا اعتدى على أعراضهم، ليطلب معاوية من أهل الشام، أن يذبوا عن حريمهم، وعن حرمهم، بل كان أهل الشام هم الباغون والمعتدون على إمامهم، كما أشرنا إليه كرَّات ومرَّات..

هل كان ابن الضحاك عيناً؟!:

1 - لم يتضح لنا إن كان اتصال معاوية بن الضحاك بعلي «عليه السلام» بواسطة عامر بن الطفيل، قد كان بتدبير سابق من الإمام «عليه السلام»، أم أنه قد جاء بمبادرة من ابن الضحاك؟!

كما أننا لم نستطع أن نعرف إن كان ابن الطفيل هو الذي اتخذ قرار إيصال كتب معاوية بن الضحاك إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» من دون علم ابن الضحاك؟!

أم أن معاوية بن الضحاك هو الذي طلب من ابن الطفيل أن يوصلها إلى الإمام «عليه السلام» بدافع من حبه له، ورغبته في خدمته؟!

وفي كلتا الحالتين، فإن ما جرى كان خدمة جليلة، وعملاً نبيلاً..

2 - إن الأخبار التي كان يرسلها هذا الرجل، كانت ذات قيمة كبيرة، لأنها تأتي من مصدر يمكن الإعتماد عليه، لأنه كان قائداً مطلعاً على حقائق الأمور، ويعرف ويرى الكثير من الخفايا والخبايا التي في الزوايا.

ولم تكن مجرد شائعات، أو حدسيات، أو تحليلات، أو مشاهدات بعيدة وغائمة، أو معلومات سطحية قد تكون من الإلقاءات، التي تهدف للتضليل الإعلامي، وما إلى ذلك..

قصيدة تهزم جيشاً:

وقد لاحظنا: أن قصيدتين من الشعر، قد هزَّا معاوية وأهل الشام من الأعماق، وكاد معاوية أن يبطش بقائل إحدى القصيدتين، بالرغم من أنه سيد قبيلة بني سليم.. ولكنه راعى خواطر قومه، فطرده عن الشام، فلحق بمصر.. كما يقول المنقري.

ولكن ابن أعثم، يقول:

إنه هرب في جوف الليل إلى علي «عليه السلام».

فقد يرجح قول ابن أعثم هذا، باعتبار أنه لم يستطع البقاء في محيط معاوية، لأن حياته أصبحت في خطر، فقد أصبح يخشى من قيام معاوية بتدبير محاولات اغتيال له، كما هي عادته ممن يتوجس خيفة منهم؟!

غير أننا نقول:

1 - لعل الجمع بين القولين أولى وأصوب، فإن من الجائز أن يكون معاوية قد سيَّره إلى مصر، ثم لما ساروا، أو أرادوا أن يسيروا هرب في جوف الليل إلى علي «عليه السلام»، ولا سيما بملاحظة قول المنقري: «وندم معاوية على تسييره إياه..». فإنه لا مبرر لندمه،

إلا أنه رأى هربه هذا إلى علي «عليه السلام»، ولولا ذلك، لكان يمكنه أن يرسل من يعيده إليه..

وتسييره إلى مصر يدل على مدى استياء معاوية من الشعر الذي قاله، فإنه إنما هو يستاء منه بقدر ما يترك من أثر على معنويات أهل الشام.. فلو لم يكن تأثيره عظيماً لما استحق منه العقوبة بالقتل، ولكنه لما لم يجد سبيلاً إليه، سيره إلى مصر..

بل لقد صرح معاوية بهذا التأثير العظيم، فقال: «والله، لَقَوْلُ السلمي أشد على أهل الشام من لقاء علي «عليه السلام». ما له قاتله الله، لو أصاب خلف جابلق مصعداً نفذه». أي جازه.

2 ـ ثم جاء شعر الأشتر ليزيد الطين بَلَّة، والخرق اتساعاً على معاوية.. فإن أهل الشام يأخذون شعر الأشتر على محمل الجد، لأنه كما يقول معاوية: «رأس أهل العراق وعظيمهم، ومسعر حربهم، وأول الفتنة وآخرها»، وهو يد علي «عليه السلام» الشديدة البطش بأعدائه.

3 ـ إن هاتين القصيدتين كلٌ مترابط، تكمل إحداهما الأخرى، فقصيدة الأشتر تُصوِّر لأهل الشام طبيعة ومستوى شدة وحدة الهجوم الذي يعد له العدة..

أما شعر معاوية بن الضحاك، فهو يصور حال أهل الشام، وهم يهربون من وجه المهاجمين، وما يحل بهم إن هم لم يتدبروا أمر هربهم هذا..

4 - والأهم من ذلك كله، ما دلت عليه هذه الواقعة من تأثير هائل للإعلام الحربي القوي والمركز، وأنه قد يوفر على الأمة الكثير من الجهد والتعب، ويصونها من كثير من المصائب والبلايا، والكوارث..

ولعل من أهم ميزات شعر معاوية بن الضحاك، أنه التزم فيه الصدق والواقعية، وإيراد الشواهد والدلالات على صحة أقواله..

فلاحظ على سبيل المثال:

ألف: إنه يذكِّر الناس بصدق علي «عليه السلام» فيما يقول ويفعل، فهو لا يخلف وعده، كما تدل عليه سيرته وطريقته.

ب: إنه يصور لهم حالة علي «عليه السلام» في ساحات القتال، وأنه كاشف رأسه، راكب فرساً سريع الحركة سهل القياد.. خائض غمار الموت، ولا يهاب شيئاً..

ج: إنه يواجههم بالفوارس، الذين حفل تاريخهم بالإنتصارات الساحقة والماحقة، وغير العادية، التي منها أُحد، وخيبر، وحنين، وبدر والخندق، والنضير..

ابن العاص وكتاب معاوية:

1 - لقد صرح معاوية لعمرو بن العاص بأنه يريد بكتابه إلى علي «عليه السلام» أن يلقي في نفس أمير المؤمنين «عليه السلام» الشك والريبة.. ولم يصرح له بالشيء الذي يريد لعلي «عليه السلام» أن يشك ويرتاب فيه..

فإن كان يريد أن يشكك علياً «عليه السلام» في قدرته على تحقيق النصر، فإن بشائر نصره العسكري عليه قد أصبحت واضحة، وأعلامه لائحة..

وإن كان يريد أن يشككه في الحق الذي هو عليه من حق وصدق.. فإن الحق هو الذي يدفع الباطل ويزهقه بالحجة وبالدليل، وليس العكس، وعلي «عليه السلام» على بينة من ربه، ويقين من أمره..

وأما دعوته لكي يندم علي «عليه السلام» على ما مضى، فإنما يندم أهل الباطل. وأما أهل الحق، فما يفرحهم هو قيامهم بما يجب عليهم..

2 - ولذلك بادر عمرو بن العاص إلى نصيحة معاوية بعدم الكتابة، لأنه كان يعرف مدى ضعف حجة معاوية، وأن علياً «عليه السلام» لا يخدع بمثل هذه الترَّهات.. ولذلك قال له:

«أين أنت يا معاوية من خدعة علي»!!

3 - والغريب في الأمر جواب معاوية لعمرو: «ألسنا بني عبد مناف»؟!

وسبب غرابة هذا الجواب:

أولاً: إن التساوي في النسب لا يعني التساوي في العلم، والدين، والإستقامة، والذكاء، والفهم، والعقل، وما إلى ذلك.. فقد كان أبناء

يعقوب مختلفين في ذلك، فأين يوسف النبي من سائر إخوته الذين عصوا الله تعالى فيه، وكان منهم في حقه ما كان..

ولذلك قال له عمرو بن العاص: «بلى، ولكن لهم النبوة دونك»..

ثانياً: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» أيضاً أجابه بقوله: «ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا المحق كالمبطل..».

علي × لا يعطي معاوية الشام:

وقد تعجب أمير المؤمنين «عليه السلام» من كتاب معاوية إليه، كما تقدم.. ومما يزيد في العجب هنا أن يعود معاوية ليطلب من علي «عليه السلام» أن يعطيه الشام، مع أنه منعه إياها أول الأمر.

ونحن وإن كنا قد تحدثنا عن هذا الموضوع مرات عديدة.

ولكننا نعود لتوضيح هذا الأمر باختصار، فنقول:

أولاً: لماذا يعطيه الشام، ومعاوية في حال الضعف.. مع أنه لم يعطه إياها حين كان أقوى مما هو عليه الآن..

ثانياً: كيف يعطيه علي «عليه السلام» الشام الآن، وقد قتل عمار بن ياسر، وهاشم المرقال، وابن بديل، وذا الشهادتين، والعشرات والمئات، بل الآلاف من الصالحين والمؤمنين إن لم نقل عشرات الآلاف من المسلمين؟!

ثالثاً: إذا كان «عليه السلام» لم يرض في البداية بأن يعطي

معاوية شيئاً، بل لم يرض بإمارة معاوية يوماً واحداً، بل ساعة واحدة، فما الذي تغير حتى يرضى بأن يعطيه الشام، وسائر ما تحت يده الآن.. هل تاب معاوية وأناب إلى الحق، وأصبح من المتقين الصالحين والزاهدين؟!

وما المبرر الذي سمح بمحاربة معاوية، وتقديم كل هؤلاء الشهداء. ومكابدة هذا الجهد؟! وهل كف معاوية عن اتهام علي «عليه السلام» بقتل عثمان؟!! وعن إتهامه بخذلانه والممالأة عليه؟!

رابعاً: إن علياً «عليه السلام» لم يرض بتفضيل رؤساء القبائل في العطاء، وساواهم بسائر الناس، ولم يرض إلا بالمساواة بين العربي والمولى فيه، مع أنه لو فعل ذلك، لانصرفوا عن حرب الجمل، وكان حجته «عليه السلام» على ذلك، أنه لم يكن ليطلب النصر بالجور.

فلماذا يطلب النصر بالجور هنا بعد أن رفض ذلك هناك؟!

وألا يعد إعطاء بلاد الشام جوراً لا يدانيه، ولا يقاس به إعطاء بضعة زعماء، أو رؤساء حفنة من المال، ليكفوا عن حرب الجمل التي قتل فيها عشرات الألوف أيضاً؟!

فإذا أعطى الشام لمعاوية، فلماذا لم يعط الكوفة والبصرة لطلحة والزبير، وما الذي ميَّز معاوية عنهما؟!

خامساً: إن نفس كتاب معاوية لعلي «عليه السلام»: «كنت سألتك الشام على ألا يلزمني لك طاعة، ولا بيعة، فأبيت» مما لا

يمكن صدوره من عاقل إذ لا بد من الإجابة على الأسئلة التالية:

إن طلب معاوية الشام من علي «عليه السلام» يدين معاوية من جهتين:

الأولى: أن سؤاله أن يعطيه الشام اعتراف بأن الحق لعلي «عليه السلام» في الإعطاء والمنع.

الثانية: إن اشتراط عدم مطالبته بالطاعة والبيعة، ما هو إلا تمرد وعصيان، وبغي..

فكيف يعطي علي «عليه السلام» من يكون باغياً عليه من أول يوم ملكاً بحجم بلاد الشام؟!

وكيف يشترط على الإمام أن ينصبه على الشام شرط أن يعزل نفسه عن صلاحية الإعطاء، أو عن الخلافة، أو الإمامة؟!

وما الذي رجح معاوية على غيره من الناس، إذ لماذا يعطي معاوية الشام، ولا يعطي مصر لسعد بن أبي وقاص، والحجاز للوليد بن عقبة، وفلسطين لمروان، واليمن لعبد الله بن الزبير، والكوفة لأبان بن عثمان، والبصرة لعتبة بن أبي سفيان.. ومكة لابن عمر، والمدينة لعمرو بن العاص إلخ..؟!

ولماذا لا يكتفي هو «عليه السلام» بالربذة، أو شبهها مثلاً؟!

معاوية يخلط بين الأمور:

وقد أشار «عليه السلام» في جوابه على كتاب معاوية إلى أن معاوية قد خلط الحابل بالنابل، ولم تكن قياساته سليمة، ولا منطقه قويماً، وقد ذكرنا آنفاً لمحات من ذلك.

ونشير هنا أيضاً إلى ما يلي:

1 - إن معاوية قد قاس علياً «عليه السلام» على نفسه، والحال أن علياً «عليه السلام» هو نفس الرسول «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة. وقد خلق هو ورسول الله «صلى الله عليه وآله» من شجرة واحدة، وسائر الناس من شجر شتى..

وقد صرح له «عليه السلام» بهذا الفارق الشاسع حين قال له: إن كونهم من بني عبد مناف لا يقتضي التساوي بينهما، إذ «ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب إلخ..».

بل إن عمرو بن العاص أيضاً يقول لمعاوية جواباً على قوله: ألسنا بني عبد مناف: «بلى، ولكن لهم النبوة دونك».

وهل نسي معاوية ابن نوح؟! وابني آدم قابيل وهابيل؟!

أو نسي أبا لهب، وأبا جهل في موقفهما من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

2 - ثم ذكر «عليه السلام»: أن معاوية قد ذكر أموراً:

أولها: أن الحرب قد جناها معاوية وعلي «عليه السلام» على بعضهما البعض.

ثانيها: تساويهما في أنهما قد غُلبا على عقولهما، وأقدما على الحرب من دون وعي وإدراك لعواقبها، وما تؤول إليه.

ثالثها: إنه قد آن الأوان ليندما على ما مضى.

رابعها: إن ما فعلاه كان خطأ، ويحتاج إلى إصلاح، وقد آن الأوان لهذا الإصلاح.

فرد «عليه السلام» هذه الدعاوى:

أولاً: إن ما زعمه معاوية من أنهما قد ندما بعد أن بلغت الأمور إلى هذا الحد غير صحيح، لأن الأمور لم تبلغ نهاياتها بعد، فلا معنى للندم.

ولذلك قال له «عليه السلام»: «فإنا وإياك في غاية لم تبلغها الحرب بعد..».

وكأن معاوية يريد بذلك أن يصرف عزم علي «عليه السلام» عن الهجوم الحاسم، الذي توعدهم به، وأكده الأشتر، ومعاوية بن الضحاك في شعرهما..

ثانياً: إنه «عليه السلام» في حربه هذه إنما يعمل بأحكام الشرع، ويجاهد في سبيل الله..

ومعنى هذا:

ألف: أنه لم يرتكب جناية. وإنما الجاني هو معاوية دونه.

ب: إن المجاهد لا يمكن أن يندم على ما مضى..

ج: إن العمل بأمر الله لا يكون خطأً في الماضي، ولا يحتاج إلى

إصلاح في المستقبل..

د: إنه لم يغلبه هواه على عقله.

ونحن نكتفي بما ذكرنا، وبقية كتابه «عليه السلام» تحتاج إلى شروح وتفصيل في فرصة أخرى..

الأخلاَّء.. الأعداء:

وقد ذكر النص المتقدم: أنه لما أتى معاوية كتاب علي «عليه السلام» كتمه عن عمرو بن العاص أياماً، ثم دعاه بعد ذلك، فأقرأه إياه، فشمت به عمرو..

وقد تقدمت موارد أخرى كان عمرو بن العاص شامتاً فيها بمعاوية، أو غاشاً له..

وهذا الأمر ليس غريباً، بل هو حال أهل الدنيا مع بعضهم، فقد قال تعالى مشيراً إلى حال المنافقين في الدنيا: (**..تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**)(1).

أما في الآخرة، فقد قال تعالى: (**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**)(2).

---

(1) الآية 14 من سورة الحشر.

(2) الآية 67 من سورة الزخرف.

تعظيم عمرو لعلي ×:

وتقول الرواية المتقدمة، التي تحدثت عن شماتة عمرو بمعاوية: «ولم يكن أحد من قريش أشد تعظيماً لعلي «عليه السلام» من عمرو، منذ يوم لقيه وصفح عنه..».

ونرى أن الأقرب إلى عقلية وطبائع عمرو بن العاص، أنه كان يهاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويخشاه، ويتحاشى الدخول معه في أي سجال، لعدم وجدانه السبيل إليه.

والشاهد على ذلك: أن عمرواً لم يكن ممن يقيم للقيم وزناً، ولا يتعامل مع الناس بها، وهو لم يخجل من المساومة مع معاوية على دينه بصورة صريحة وواضحة، وكان يُعَيَّرُ بذلك.. وقد عرف بالمكر والغدر، والجرأة على أقدس الناس، حتى على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى نزل في ذمه سورة قرآنية هي سورة الكوثر..

وقد فسر عمرو نفسه معنى إعظامه علياً «عليه السلام» بما يتلاءم مع ما قلناه.. فإنه في نفس النص المتقدم، يقول لمعاوية: «وأما إعظامي علياً، فإنك بإعظامه أشد معرفة مني، ولكنك تطويه، وأنا أنشر».فإن المقصود بإعظامه، أنه يعرف موقع ومقام أمير المؤمنين «عليه السلام» في العلم، والزهد، والشجاعة، والأخلاق، والدين.. ويعرف فضائله العظمى، ومزاياه الفريدة، حتى إنه لا يجد فيه مغمزاً.. ولكنه كان يحسده، ويبغضه، ويحاربه، ويسعى في قتله..

ثم هو يرسل إليه بالإهانات والإفتراءات، والتجنيات عليه،

وبالسباب والشتائم، وهو يلعنه، وينكر فضائله..

فظهر أن المراد بالإعظام هو المعرفة به، فربما صرَّح أحياناً بما يعرف، وربما أنكر ذلك..

وقد صرح عمرو بن العاص في شعره المتقدم، الذي خاطب به معاوية بهذه المعاني أيضاً..

الأشتر يسوِّي الصفوف:

قال المنقري:

حدثنا عمرو بن شمر، قال: حدثنا أبو ضرار، قال: حدثني عمار بن ربيعة، قال: غلس علي «عليه السلام» بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء، عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، وقيل عاشر شهر صفر. ثم زحف إلى أهل الشام بعسكر العراق، والناس على راياتهم. وزحف إليهم أهل الشام، وقد كانت الحرب أكلت الفريقين، ولكنها في أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعاً، فقد ملُّوا الحرب، وكرهوا القتال، وتضعضعت أركانهم.

قال: فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميت ذنوب، عليه السلاح، لا يرى منه إلا عيناه، وبيده الرمح، فجعل يضرب رؤوس أصحاب علي بالقناة، ويقول: سوُّوا صفوفكم [رحمكم الله] [والناس لا يعرفونه].

حتى إذا عدل الصفوف والرايات استقبلهم بوجهه، وولى أهل الشام ظهره، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

الحمد لله الذى جعل فينا ابن عم نبيه [محمد «صلى الله عليه وآله» ووصيه، وأحب الخلق إليه] أقدمهم هجرة، وأولهم إسلاماً [إيماناً]، سيف من سيوف الله صبه على أعدائه.

فانظروا.

إذا حمى الوطيس، وثار القتام، [وتكسرت الرماح، وتثلمت الصفاحٍ]، وتكسر المران، وجالت الخيل بالأبطال، فلا أسمع إلا غمغمة أو همهمة، [فاتبعوني وكونوا في إثرى].

قال: ثم حمل على أهل الشام، وكسر فيهم رمحه ثم رجع، فإذا هو الأشتر.

إيضاحات:

صلاة الغداة هي: صلاة الصبح.

غلس بصلاته: صلاها في وقت الغلس، وهو ظلمة آخر الليل.

فرس كميت: خالطه سواد غير خالص.

ذَنوب: طويل الذنب.

الوطيس: التنور. أو حجارة مدورة إذا حميت لم يستطع أحد أن يطأ عليها.

القتام: الغبار الأسود.

المران: شجر الرماح. وهو باسق. ورقه كأوراق التوت.

القتال أو الكفر:

ويتابع المنقري كلامه، فيقول:

قال وخرج رجل من أهل الشام ينادى بين الصفين: يا أبا الحسن، يا علي «عليه السلام»، ابرز إلي.

قال: فخرج إليه علي «عليه السلام» حتى إذا اختلف أعناق دابتيهما بين الصفين، فقال: يا علي! إن لك قدماً في الإسلام، وهجرة، [وسابقة، وأخوة، وقرابة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا يساميك أحد، ولا يدانيك]، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء، وتأخير هذه الحروب، حتى ترى من رأيك؟!

فقال له علي «عليه السلام»: وما ذاك؟!

قال: ترجع إلى عراقك، فنخلي بينك وبين العراق، ونرجع إلى شامنا فتخلي بيننا وبين شامنا.

فقال له علي «عليه السلام»: لقد عرفت، إنما عرضت هذا نصيحة وشفقة.

ولقد أهمني هذا الأمر وأسهرني، وضربت أنفه وعينيه، فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد «صلى الله عليه وآله».

إن الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون علي من معالجة الأغلال في جهنم).

فرجع الشامي، وهو يسترجع(1).

ونقول:

1 - لا نرى حاجة إلى شرح هذه النصوص، فقد تقدم كثير مما يرتبط بها..

غير أننا لا نملك إلا أن نسترجع ونأسف كثيراً على حال هذا الناصح الشفيق، الذي يعرف كل هذه المآثر لعلي «عليه السلام»، حتى إنه لا يساميه أحد، ولا يدانيه، ثم يعرض عليه أمراً لا يرضاه الله ورسوله، بل هو يكرس الظلم والتعدي، والبغي..

ثم هو يسمع من علي «عليه السلام» هذا البيان الكافي والشافي، الذي أخذه من بين يديه ومن خلفه، وحمَّله مسؤولية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن ترك ذلك معناه معالجة الأغلال في جهنم، ثم يرجع ليأخذ مكانه الأول في مناصرة البغاة والقاسطين.

2 - أما كلام الأشتر، فهو يدخل في دائرة تثبيت الناس على الحق، وحفظ يقينهم به من خلال تذكيرهم بأنهم إنما يقاتلون تحت راية وصي النبي «صلى الله عليه وآله»، وابن عمه، وأحب الخلق

(1) صفين للمنقري ص473 و 474 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص157 و 158 والأخبار الطوال ص187 و 488 وبحار الأنوار ج32 ص526 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص720 و 721 ونهج السعادة ج2 ص226 و 227 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص207 و 208 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص420.

إليه، وأقدمهم هجرة، وأولهم إسلاماً.. وهو أيضاً سيف من سيوف الله على أعدائه..

الفصل الثاني:

يوم الهرير.. وليلة الهرير..

بداية:

وقد انتهينا الآن إلى اليوم الأخير، والليلة الأخيرة التي حسمت أمر القتال في صفين، واتضح منهما لمعاوية وأهل الشام المصير الذي ينتظرهم، وأنهم أمام خيارين لا ثالث لهما.. فإما الموت والفناء، وإما الفرار إلى حيث لا ملجأ، ولا منجاة. الأمر الذي وعدهم به معاوية بن الضحاك في قصيدته المتقدمة..

فجاءت خدعة التحكيم التي رفضها أمير المؤمنين «عليه السلام».. واستجاب لها السذج والذين في قلوبهم مرض من أهل العراق.. كما سترى.

فما الذي جرى يوم الهرير، وليلة الهرير؟!

هذا ما نقرؤه في هذا الفصل، في النصوص التالية..

الوقعة الخميسية، وليلة الهرير:

قال ابن أعثم:

وأصبح الناس، وطلعت الشمس، وذلك في يوم الخميس، ودعا

علي «رضي الله عنه» بدرع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلبسه، وبسيف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتقلده، وبعمامة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاعتجر بها.

ثم دعا بفرس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاستوى عليه، وجعل يقول:

أيها الناس! من يبع نفسه يربح هذا اليوم، فإنه يوم له ما بعده من الأيام.

أما والله، أن لولا أن تعطل الحدود، وتبطل الحقوق، ويظهر الظالمون، وتفوز كلمة الشيطان، ما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه.

ألا! إن خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير عواقب الأمور.

ألا! أنها إحن بدرية، وضغائن أُحدية، وأحقاد جاهلية، وثب بها معاوية حين الغفلة، ليذكر بها ثارات بني عبد شمس: **(فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)**[1].

قال: فقالت المهاجرون والأنصار: يا أمير المؤمنين! إننا كنا نقاتل معك إلى الساعة على بصيرة ويقين أنك على الحق الواضح، والآن فقد ازددنا بصيرة ويقيناً بعد إذ قتل بين يديك مثل عمار بن

(1) الآية 12 من سورة التوبة.

ياسر، فتقدم أمامنا وها نحن من ورائك.

قال: فتقدم علي «عليه السلام»، ومعه نيف على عشرة آلاف من بني مذحج ممن يريد الموت، قد وضعوا أسيافهم على عواتقهم، ما يبين منهم إلا الحدق، وعلي «رضي الله عنه» يقدمهم، وهو يقول:

دبـــوا دبيـــب النمل، لا تفوتوا ..إلـــــــــــــخ(1)

لكن ابن شهرآشوب يقول: «فحمل في سبعة عشر ألف رجل فكسروا الصفوف، فقال معاوية لعمرو: اليوم صبر وغداً فخر.

فقال عمرو: صدقت يا معاوية، ولكن الموت حق والحياة باطل، ولو حمل علي في أصحابه حملة أخرى فهو البوار»(2).

وقامت الفرسان في الركب، فاصطفقوا بالسيوف، وارتفع الرهج، وثار القتام، وتضعضعت الرايات، وحطت الألوية، وغابت الشمس، وذهبت مواقيت الصلاة، حتى ما كان في الفريقين أحد يصلي ذلك اليوم، ولا سجد لله سجدة، ولا كانت الصلاة إلا بالتكبير والإيماء نحو

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص174 و 175 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص180 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص362 وصفين للمنقري ص402 و 403 وبحار الأنوار ج32 ص510 و 535 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص222 و 223 وج8 ص57 و 58 والمناقب للخوارزمي ص243 .

(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص180 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص362 وبحار الأنوار ج32 ص587.

القبلة(1).

وهنا دعا «عليه السلام» بدعاء يوم الهرير..

دعاء يوم الهرير:

قال ابن طاووس «رضوان الله تعالى عليه»:

روينا باسنادنا إلى سعد بن عبد الله في كتاب الدعاء، قال: حدثني محمد بن عبد الله المسمعي، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، وحدثني موسى بن جعفر بن وهب البغدادي، عن محمد بن الحسن بن شمون، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبي جعفر محمد بن النعمان الأحول، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال:

دعا أمير المؤمنين عليه السلام يوم الهرير حين اشتد على أوليائه الأمر دعاء الكرب، من دعا به وهو في أمر قد كربه وغمه نجاه الله منه، وهو:

«اللهم لا تحبب إلي ما أبغضت، ولا تبغض إلي ما أحببت، اللهم إني أعوذ بك أن أَرضَى سخطك، أو أسخط رضاك، أو أرد قضاءك، أو أعدو قولك، أو أناصح أعداءك، أو أعدو أمرك فيهم.

اللهم ما كان من عمل، أو قول يقربني من رضوانك، ويباعدني من سخطك، فصيرني له، واحملني عليه، يا أرحم الراحمين.

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص180.

اللهم إني أسئلك لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، ويقينا صادقاً، وإيماناً خالصاً، وجسداً متواضعاً، وارزقني منك حباً، وأدخل قلبي منك رعباً.

اللهم فإن ترحمني، فقد حسن ظني بك، وإن تعذبني، فبظلمي وجوري، وجرمي، وإسرافي على نفسي، فلا عذر لي إن اعتذرت، ولا مكافأة أحتسب بها.

اللهم إذا حضرت الآجال، ونفدت الأيام، وكان لابد من لقائك، فأوجب لي من الجنة منزلاً يغبطني به الأولون والآخرون، لا حسرة بعدها، ولا رفيق بعد رفيقها، في أكرمها منزلا.

اللهم ألبسني خشوع الإيمان بالعز، قبل خشوع الذل في النار.

أثني عليك ربِّ أحسن الثناء، لأن بلاءك عندي أحسن البلاء.

اللهم فأذقني من عونك وتأييدك، وتوفيقك ورفدك، وارزقني شوقاً إلى لقائك، ونصراً في نصرك، حتى أجد حلاوة ذلك في قلبي، وأعزم لي على أرشد أموري، فقد ترى موقفي وموقف أصحابي، ولا يخفى عليك شيء من أمري.

اللهم إني أسئلك النصر الذي نصرت به رسولك، وفرقت به بين الحق والباطل، حتى أقمت به دينك، وأفلجت به حجتك، يا من هو لي في كل مقام»**(1)**.

---

(1) بحار الأنوار ج91 ص237 و 238 ومهج الدعوات ص132 ـ 134 ونهج

أما المنقري فيروي عن عمرو بن شمر، عن جابر بن عمير الأنصاري، قال:

والله لكأني أسمع علياً يوم الهرير حين سار أهل الشام، وذلك بعد ما طحنت رحى مذحج فيما بينها وبين عك ولخم، وجذام والأشعريين، بأمر عظيم تشيب منه النواصي من حين استقلت الشمس، حتى قام قائم الظهيرة.

ثم إن علياً، قال: حتى متى نخلى بين هذين الحيين؟! قد فنيا، وأنتم وقوف تنظرون إليهم.

أما تخافون مقت الله.

ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله ثم نادى:

يا الله! يا رحمن! [يا رحيم!] يا واحد! [يا أحد!]، يا صمد! يا الله! يا إله محمد!.

اللهم إليك نقلت الأقدام، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدى، وامتدت الأعناق، وشخصت الأبصار، وطلبت الحوائج.

[اللهم] إنا نشكو إليك غيبة نبينا «صلى الله عليه وآله»، وكثرة عدونا وتشتت أهوائنا.

(..رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)(1).

السعادة ج6 ص321 - 323.

(1) الآية 89 من سورة الأعراف.

سيروا على بركة الله.

ثم نادى: لا إله إلا الله، والله أكبر، كلمة التقوى(1).

قتال علي × :

ثم نقل المنقري عن جابر بن عمير الأنصاري أنه قال:

لا والله الذى بعث محمداً «صلى الله عليه وآله» بالحق نبياً، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السموات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب.

إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنياً، فيقول: معذرة إلى الله عزوجل، وإليكم من هذا، لقد هممت أن أصقله، ولكن حجزنى عنه أنى سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول كثيرا: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.

وأنا أقاتل به دونه.

(1) راجع: صفين للمنقري ص477 وبحار الأنوار ج32 ص528 وج41 ص100 و 101 عنه، وج91 ص235 و 236 عن كتاب صفين لعبد العزيز الجلودي، ولكنه قال: إنه دعا بالدعاء المذكور عنه ابتداء القتال في صفين. وراجع: مستدرك الوسائل ج11 ص107 ونهج السعادة ج2 ص242 و 243 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص210 وينابيع المودة ج2 ص11.

قال: فكنا نأخذه، فنقومه، ثم يتناوله من أيدينا، فيتقحم به في عرض الصف، فلا والله ما ليث بأشد نكاية في عدوه منه(1).

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كنا مع علي بصفين، فكنا قد وكلنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل، فكان إذا حانت منهما غفلة يحمل، فلا يرجع حتى يخضب سيفه، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه، فألقاه إليهم وقال: لولا أنه انثنى ما رجعت(2).

وسأل رجل ابن عباس: أكان علي يباشر القتال يوم صفين؟!

فقال: والله، ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلف من علي، ولقد كنت أراه يخرج حاسر الرأس، بيده السيف إلى الرجل الدارع

---

(1) صفين للمنقري ص477 و 478 ونهج السعادة ج2 ص243 و 244 وبحار الأنوار ج32 ص529 و ج41 ص101 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص721 و 722 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص211 وراجع: البداية والنهاية ج7 ص264.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص40 و (ط الأعلمي) ج4 ص28 والبداية والنهاية ج7 ص270 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص299 والكامل في التاريخ ج2 ص383 و (ط دار صادر) ج3 ص312 والإصابة ج6 ص405 ومجمع الزوائد ج7 ص240 وشرح الأخبار ج2 ص3.

فيقتله[1].

وبعد أن ذكر الدينوري كيف كانوا يسوون السيف لأمير المؤمنين «عليه السلام»، قال:

ثم يرجع فينغمس فيهم. وربيعة لا تترك جهداً في القتال معه والصبر.

وغابت الشمس، وقربوا من معاوية، فقال لعمرو: ما ترى؟!

قال: أن تخلي سرادقك.

فنزل معاوية عن المنبر الذي كان يكون عليه، وأخلى السرادق.

وأقبلت ربيعة، وأمامها علي حتى غشوا السرادق، فقطعوه، ثم انصرفوا. وبات علي تلك الليلة في ربيعة[2].

أبو جعفر يصف يوم الهرير:

قال المنقري:

وفي حديث عمرو بن شمر بإسناده قال: فلما أن كان اليوم

---

(1) ذخائر العقبى ص 176 و (نشر مكتبة القدسي سنة 1356هـ) ص99 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص266 وحياة الحيوان الكبرى ج1 ص53 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص324 وج18 ص80 عن الرياض النضرة (ط الخانجي بمصر) ص225 وعن المناقب لابن المغازلي (مخطوط) ص32.

(2) الأخبار الطوال ص183.

الأعظم قال أصحاب معاوية، والله ما نحن لنبرح اليوم العرصة حتى يفتح الله لنا أو نموت.

فبادروا القتال غدوة في يوم من أيام الشعرى طويل شديد الحر فتراموا حتى فنيت النبل، ثم تطاعنوا حتى تقصفت رماحهم، ثم نزل القوم عن خيولهم، فمشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتى كسرت جفونها وقامت الفرسان في الركب، ثم اضطربوا بالسيوف وبعمد الحديد، فلم يسمع السامع إلا تغمغم القوم، وصليل الحديد في الهام، وتكادم الأفواه، وكسفت الشمس، وثار القتام، وضلت الألوية والرايات، ومرت مواقيت أربع صلوات لم يسجد لله فيهن إلا تكبيراً.

ونادت المشيخة في تلك الغمرات: يا معشر العرب، الله الله في الحرمات، من النساء والبنات.

قال جابر: فبكى أبو جعفر وهو يحدثنا بهذا الحديث.

قال: وأقبل الأشتر على فرس كميت محذوف، قد وضع مغفره على قربوس السرج، وهو يقول: «اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حمى الوطيس».

ورجعت الشمس من الكسوف، واشتد القتال، وأخذت السباع بعضها بعضا، فهم كما قال الشاعر:

مضت واستأخر القرعاء عنها وخلى بينهم إلا الوريع

قال المنقري:

يقول واحد [لصاحبه] (عن الأشتر) في تلك الحال: أي رجل هذا

لو كانت له نية.

فيقول له صاحبه: وأي نية أعظم من هذه، ثكلتك أمك وهبلتك. إن رجلاً فيما قد ترى قد سبح في الدماء وما أضجرته الحرب، وقد غلت هام الكماة[1] الحر، وبلغت القلوب الحناجر، وهو كما تراه جذعاً يقول هذه المقالة! اللهم لا تبقنا بعد هذا[2].

وصرح الطبري أنهما: منقذ وحمير ابنا قيس الناعطيان.

وفيه أنه قال: إني أخاف أن يكون يحاول ملكاً[3].

ليلة الهرير:

وفي ليلة الهرير قال علي «عليه السلام»: «لأقتلن معاوية وأصحابه»..

وسيأتي الكلام حول هذه الكلمة، ونذكر قبل ذلك النصوص التالية:

قال ابن أعثم:

«وهجم عليهم الليل، واشتدت الحرب، وهذه ليلة الهرير، فجعل

(1) لعل الصحيح: غلت هام الكماة من الحر.

(2) صفين للمنقري ص479 و 480 وراجع: ص369 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص213 وبحار الأنوار ج32 ص531 .

(3) صفين للمنقري ص255 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص22 و (ط الأعلمي) ج4 ص15.

بعضهم يهر على بعض، ويعتنق بعضهم بعضاً، ويكدم بعضهم بعضاً.

قال: وجعل علي «رضي الله عنه» يقف ساعة بعد ساعة، ويرفع رأسه إلى السماء، وهو يقول: اللهم! إليك نقلت الأقدام، وإليك أفضت القلوب، ورفعت الأيدي، ومدت الأعناق، وطلبت الحوائج، وشخصت الأبصار.

اللهم (..**افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**)[1]»[2].

[زاد ابن شهرآشوب قوله: وينشد:

الليـل داج والكبـاش تـنـتطح نطـاح أسـد مـا أراهـا تصـطلح

أسـد عـرين في اللقاء قد مرح منـهـا قيـام وفريـق منبطح

فمـن نـجـا بـرأسـه فقد ربح

وكان يحمل عليهم مرة بعد مرة، ويدخل في غمارهم ويقول: الله الله في الحرم والذرية، فكانوا يقاتلون أصحابهم بالجهل[3].

---

(1) الآية 89 من سورة الأعراف.

(2) راجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص180 و 181 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص181 (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص363.

(3) مناقب آل أبي طالب ج3 ص181 (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص363 وبحار الأنوار ج32 ص588.

وقال: وكان أصحاب علي «عليه السلام» يضربون الطبول من أربع جوانب عسكر معاوية ويقولون: علي المنصور][1].

ثم إنه حمل في سواد الليل، وحملت الناس معه، فكلما قتل بيده رجلاً من أهل الشام كبر تكبيرة، حتى أحصى له كذا كذا تكبيره.

قال أبو محمد: أحصي له خمسمائة تكبيرة، وثلاث وعشرون تكبيرة، في كل تكبيرة له قتيل[2].

قال: وكان إذا علا قد، وإذا وسط قط.

قال: وجعلت المشايخ من أهل الشام ينادون في تلك الغمرات:

يا قوم!

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص181 (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص363 وبحار الأنوار ج32 ص588 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص515.

(2) راجع في هذا العدد أيضاً: مروج الذهب ج2 ص399 وصفين للمنقري ص477 والبداية والنهاية ج7 ص264 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص304 والمعيار والموازنة ص150 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص181 وشجرة طوبى ج2 ص339 وكشف اليقين ص158 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص371 وج10 ص523 والمناقب للخوارزمي ص249 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص355 وبحار الأنوار ج32 ص600 وج41 ص67 وكشف الغمة ج1 ص255 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص472 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص415.

الله الله في البقية!

الله الله في الحرم والذرية!

والناس يقتتلون ليلتهم تلك حتى أصبحوا، وقد قتل من القوم تلك الليلة ستة وثلاثون ألفاً من جحاجحة العرب، وليس فيهم أحد يكيع عن صاحبه.

قال: فطلعت الشمس، وتعالى النهار، وذلك في يوم الجمعة، والسيوف تأخذ هام الرجال(1).

ويقول ابن شهرآشوب: فلما أصبح كان قتلى عسكره أربعة آلاف رجل، وقتلى عسكر معاوية اثنين وثلاثين ألف رجل.

فصاحوا: يا معاوية هلكت العرب.

فاستغاث هو بعمرو، فأمره برفع المصاحف.

قال قتادة: قتلى يوم صفين ستون ألفاً.

وقال ابن سيرين: سبعون ألفاً.

وهو المذكور في أنساب الأشراف، وصنعوا على كل قتيل قصبة، ثم عدوا القصب(2).

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص180 و 181 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص213.

(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص181 (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص363 وبحار الأنوار ج32 ص588 و 589.

جهاد الأشتر:

قال المنقري:

وزحف الناس بعضهم إلى بعض، [تلك الليلة كلها]، فارتموا بالنبل [والحجارة]، حتى فنيت، ثم تطاعنوا بالرماح، حتى تكسرت واندقت، ثم مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيف وعمد الحديد، فلم يسمع السامع إلا وقع الحديد بعضه على بعض، لهو أشد هولاً في صدور الرجال من الصواعق، ومن جبال تهامة يدك بعضها بعضاً.

قال: وانكسفت الشمس [بالنقع]، وثار القتام، وضلت الألوية والرايات.

قال: و [أخذ] الأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة، فيأمر كل قبيلة، أو كتيبة من القراء بالإقدام على التى تليها.

قال: فاجتلدوا بالسيوف، وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل، لم يصلوا لله صلاة.

فلم يزل يفعل ذلك الأشتر بالناس، حتى أصبح والمعركة خلف ظهره، وافترقوا عن سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة، وهى: ليلة الهرير.

و [كان] الأشتر في ميمنة الناس، وابن عباس في الميسرة، وعلي في القلب، والناس يقتتلون.

ثم استمر القتال من نصف الليل الثاني إلى ارتفاع الضحى،

والأشتر يقول لأصحابه وهو يزحف بهم نحو أهل الشام: ازحفوا قيد رمحي هذا.

وإذا فعلوا، قال: ازحفوا قاب هذا القوس.

فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك، حتى مل أكثر الناس الإقدام.

فلما رأى ذلك، قال: أعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم. ثم دعا بفرسه، وركز رايته، وكانت مع حيان بن هوذة النخعي، وخرج يسير في الكتائب، ويقول: ألا من يشرى نفسه لله، ويقاتل مع الأشتر، حتى يظهر أو يلحق بالله.

فلا يزال الرجل من الناس يخرج إليه، ويقاتل معه(1).

وروى المنقري أيضاً:

عن عمر بن سعد، قال: حدثنى أبو ضرار، عن عمار بن ربيعة قال: مر بى والله الأشتر، وأقبلت معه، حتى رجع إلى المكان الذى كان به، فقام في أصحابه، فقال: شدوا، فدى لكم عمي وخالي، شدة ترضون بها الله، وتعزون بها الدين، فإذا شددت فشدوا.

---

(1) صفين للمنقري ص475 ـ 476 وبحار الأنوار ج32 ص526 و 527 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص208 و 209 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص47 و (ط الأعلمي) ج4 ص33 والكامل في التاريخ ج2 ص385 و (ط دار صادر) ج3 ص315 وينابيع المودة ج2 ص9 والبداية والنهاية ج7 ص272.

قال: ثم نزل، وضرب وجه دابته، ثم قال لصاحب رايته: أقدم.

فأقدم بها ثم شد على القوم، وشد معه أصحابه يضرب أهل الشام، حتى انتهى بهم إلى عسكرهم.

ثم إنهم قاتلوا عند العسكر قتالاً شديداً، فقتل صاحب رايته. وأخذ علي ـ لما رأى الظفر قد جاء من قبله ـ يمده بالرجال[1].

خطبة علي × ومكيدة عمرو:

ويتابع المنقري، فيقول:

وإن علياً قام خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، قد بلغ بكم الأمر بعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلا آخر نفس، وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها، وقد صبر لكم القوم على غير دين، حتى بلغنا منهم ما بلغنا، وأنا غاد عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله عز وجل.

فبلغ ذلك معاوية، فدعا عمرو بن العاص، فقال: يا عمرو، إنما هي الليلة، حتى يغدو علي علينا بالفيصل، فما ترى؟!

---

(1) صفين للمنقري ص476 وبحار الأنوار ج32 ص527 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص522 ونهج السعادة ج2 ص240 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص209 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص47 و (ط الأعلمي) ج4 ص33 والكامل في التاريخ ج2 ص385 و (ط دار صادر) ج3 ص315 وينابيع المودة ج2 ص10.

قال: إن رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله.

هو يقاتلك على أمر، وأنت تقاتله على غيره.

أنت تريد البقاء، وهو يريد الفناء.

وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم.

ولكن ألق إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردوه اختلفوا. ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم، فإنك بالغ به حاجتك في القوم، فإني لم أزل أؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه.

فعرف ذلك معاوية، فقال: صدقت(1).

ونقول:

إيضاحات:

جحاجحة: جمع جحجاح، وهو السيد المسارع في المكارم.

---

(1) صفين للمنقري ص476 و 477 وبحار الأنوار ج32 ص528 وراجع ص610 و 611 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص721 ونهج السعادة ج2 ص241 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص209 و 210 وينابيع المودة ج2 ص10 و 11 وكتاب سليم بن قيس (مجلد واحد) ص335 و 336 وراجع: كتاب الفتوح لابن أعثم ج3 ص171 والإمامة والسياسة (تحقيقي الشيري) ج1 ص143 و (تحقيق الزيني) ج1 ص108 والأخبار الطوال ص188.

الهرير: صوت الكلب دون النباح.

إليك أفضت القلوب: باحت بأسرارها.

أيام الشعرى: الشعرى كوكب يطلع في شدة الحر.

جفون السيوف: أغمادها. ويكسر المقاتل جفن سيفه، ليدل على أنه سيواصل القتال، حتى يبلغ ما يريد.

قامت الفرسان في الرُّكُب: اعتدلوا. والركب بضمتين: جمع ركاب. وهو من السرج، كالغرز من الرحل، فإذا كان من خشب، أو من حديد، فهو ركاب.

التغمغم: صوت الأبطال عند القتال. وتغمغم الرجل: لم يبين كلامه.

كميت محذوف: الكميت: الذي خالط حمرته سواد غير خالص. المحذوف: هو الفرس المقطوع طرف ذنبه.

الوطيس: التنور. وقيل: حجارة مدورة إذا حميت لم يمكن الوطء عليها.

هبلته أمه: ثكلته.

القرعاء: جمع قريع، وهو المغلوب المهزوم.

الوريع: الكافّ، والضعيف الذي لا غناء عنده.

جذعاً: الجذع: الشاب، الحدث. ومن البهائم ما قبل الثني.

استقلت الشمس: ارتفعت في السماء.

الفصل الثالث:

التوضيحات رقم 1
التوطئة لقرع الطبول..

حضور رسول الله ′ في صفين:

1 - قد يحدث أن يحصل أحد من الناس على شيء من مختصات شخص آخر يعرفه، فيحتفظ بذلك الشيء إلى سنوات طويلة، وقد يكون سبب حصوله عليه، أنه أهداه إياه، أو استوهبه منه، أو يكون حصوله عليه بواسطة آخرين.. وقد.. وقد..

فيكون تباهيه به، أو ادعاء أن حيازته له تدل على خصوصية له عنده غير سديد، إن لم نقل: إنه قد يكون من مفردات ادعاء الباطل والتضليل للآخرين..

ولكن الحديث عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وما كان عنده من آثار ومختصات لرسول الله «صلى الله عليه وآله» له منحى آخر..

فنحن نعلم: أن السلطة السياسية التي فرضت نفسها على الواقع العام فور وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما عرف ببيعة السقيفة، وما تبعها من تداول للسلطة، لم تقتصر على مجرّد مصادرة العلاقة بين النبوة والإمامة على صعيد الإمتداد الفعلي، والتصدي

الفعلي للأمور في المجال العام، ومتابعة المسيرة السياسية، بل تعدى ذلك إلى السعي الحثيث لقطع كل علاقة بين علي «عليه السلام»، وبين النبي «صلى الله عليه وآله»، فصادرت إرث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومنعت من وصوله إليه «عليه السلام»، ولو بواسطة السيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام».

وقد فعلت السلطة ذلك، مستفيدة من شعار: «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث».

ثم استمرت محاولاتها لتعميق هذا الفصل، وتكريس سياسة الإقصاء والتعتيم، والعمل على أن ينسى الناس أية صلة، أو رابطة، أو حتى وجود أي شبه، أو أي تأثر، أو تأثير مهما كان نوعه، أو مستواه..

فكان من نتيجة ذلك ما أشار إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فيما رواه عنه ابن أبي الحديد المعتزلي، حيث قال «عليه السلام» عن نتائج هذه السياسات:

«فتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب»**(1)**.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص298 و 299 والدرجات الرفيعة ص37 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص728 وموسوعة الإمام

2 - ولذلك نلاحظ: أنه «عليه السلام» كان يتعمد في المواقف الحساسة والمصيرية إظهار هذه الصلة، التي كان يراد طمسها، ويسعى لتذكير الناس بها، ويقدم لهم عليها الشواهد التي كانوا يعرفونها، كما يعرفون أبناءهم، وهذا ما فعله «عليه السلام» هنا، فقد تعمد لفت نظر الناس إلى هذه العلاقة، وذلك بأمور أربعة، هي:

ألف: لبسه درع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ب: تقلده سيف الرسول «صلى الله عليه وآله».

ج: اعتجاره بعمامة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

والإعتجار هو: لف العمامة دون التلحِّي. وقيل: هو لف العمامة على الرأس.

د: ثم دعا بفرس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاستوى عليه.

3 - وإنما فعل ذلك في خصوص يوم الهرير.. وليلة الهرير لعدة أسباب:

فأولاً: لأنه «عليه السلام» كان يعلم: أن طائفة من الناس: كانت تعرف صفة درع الرسول «صلى الله عليه وآله»، فإذا رأته «عليه السلام» يلبس درعه، فسوف يثير ذلك اهتمامها، وتدل الناس على ذلك الدرع، وتشير إليه بأصابعها.

علي بن أبي طالب ج11 ص244 و 245.

وطائفة أخرى: كانت تعرف سيف الرسول «صلى الله عليه وآله»، فإذا رأته مع علي «عليه السلام»، فسوف تقف لتنظر إليه، وتدل الناس عليه أيضاً.

وطائفة ثالثة: تعرف عمامة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإذا رأتها على رأس أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنها ستقف للنظر إليها، ودلالة الناس عليها..

والأهم من ذلك:

أن الكثيرين من الناس يعرفون فرس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإذا ركبه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإن العسكر سيدل بعضه بعضاً على ذلك الفرس، وسيقف الجميع لينظروا إليه. وبذلك يعرف الناس من يقاتلون، وعلى من يعتدون، وسيتضح لهم: أنهم في الموقع الخاطئ، والمعادي لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد يتمنى بعضهم، أو كثير منهم: أن لا يكون في الموقع الذي هو فيه، وقد يخطر في بالهم أنهم بعملهم هذا إنما يبيعون دنياهم بآخرتهم، بل بدنيا غيرهم.

وقد رأينا: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد ناشد أعداءه، واستشهدهم، وقررهم حول ما كان عليه من لأمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيفه، وعمامته، فأقروا له وصدقوه بما قال(1).

(1) راجع: الأمالي للصدوق ص222 و 223 وروضة الواعظين ص185 و

وإنما قررهم الإمام الحسين «عليه السلام» بذلك، لأنهم كانوا عازمين على قتله، ويريد أن يقيم الحجة عليهم، ليبقى ذلك عبر الأحقاب والأزمان، ليدل الناس على الحقيقة، وأن هؤلاء الناس قد أقدموا على هذه الجريمة عن سابق معرفة وإدراك لكل الخصوصيات.

أما أمير المؤمنين «عليه السلام» فكان يريد من الناس أن يعلم بعضهم بعضاً بالأمر بصورة عفوية.

ولعله لو قررهم بذلك، لحملهم العناد، ومكر معاوية وابن العاص، وسواهما على إنكار ذلك.

ثانياً: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان عارفاً بأن الحرب في هذا اليوم وليلته، سوف تحصد عشرات الألوف، كما أشير إليه في النصوص السابقة، وربما يتخِذُ ذلك بعض أهل الأهواء، وبعض قاصري النظر، ذريعة لاتهامه بالإسراف في قتل أهل القبلة، وادعاء أن ما يطلبه لا يستحق هذا القدر الهائل من الخسائر.. فضلاً عما يتبع ذلك من أحقاد، وما يتركه من آثار على علاقات القبائل ببعضها، بالإضافة إلى المآسي الإجتماعية على مستوى الأسر حين تفقد كافلها،

---

186 وبحار الأنوار ج44 ص318 وعوالم العلوم (الإمام الحسين) ص167 و 168 والمجالس الفاخرة ص240 - 241 و 270 ولواعج الأشجان ص112 واللهوف ص52 و 53 وعن نور العين في مشهد الحسين ص42.

وتتفكك عراها، أو يصاب بعض أفرادها بما يقعده، ويجعله عبئاً على أهله..

فكان لا بد من إفهامهم أن علياً «عليه السلام» لا يعمل بالهوى، ولا يطمع في دنيا. بل هو وارث علم الرسول ووصيه، وأخوه، والإمام من بعده.. بل هو نفس الرسول «صلى الله عليه وآله».

وهذا التذكير ضروري لتحصيل السكينة، وحفظ اليقين، والربط على على القلوب. وهو يدعو إلى الجد في الحرب.

ثالثاً: وقد أشار بعض الأخوة إلى أن هذا التصرف منه «عليه السلام» لا بد أن يدعو بعض المخدوعين بشعار قميص عثمان إلى المقارنة، بين من يجعل قميص عثمان ذريعة إلى أغراضه الدنيوية والشخصية، وبين من يتوسل بعمامة ودرع، وسيف رسول الله، ليذكرهم به «صلى الله عليه وآله»، ويهديهم إلى الدين القويم، والصراط المستقيم، ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله، وطاعة أخي الرسول، ونفسه، ووصيه، ووارثه، وابن عمه، وزوج ابنته، وأبي أولاده، ومن يأتمر بأوامر الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويسير على نهجه، ويقوم بتنفيذ وصيته في قتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، ويتحلى بحليته، ويعتجر بعمامته، ويرتدي درعه، ويحمل سيفه، لا لأغراض دنيوية وشخصية، فإنه الزاهد في الدنيا، الذي طلقها ثلاثاً لا رجعة له فيها أبداً.

كلام علي × في الميدان:

وتقدم: أنه «عليه السلام» بعد أن لبس درع الرسول «صلى الله عليه وآله»، وتقلد سيفه، واعتجر بعمامته، واستوى على فرسه «صلى الله عليه وآله». حرض الناس على القتال بكلمات بالغة التأثير، رائعة في مضامينها. فكان من اللمحات التي تضمنتها، ما نذكره ضمن العناوين التالية:

الحديث عن الربح والخسارة:

بدأ «عليه السلام» كلامه بالحديث عن أن بيع الإنسان نفسه في ذلك اليوم، سيكون ـ بيعه ـ رابحاً، فإنه يوم له ما بعده إلخ..

وهذا الكلام ليس من قبيل الشعارات الغائمة، كما أنه ليس تذويباً للفرد في الأتون الإجتماعي الكبير، بل هو استعادة للفرد من سياحته في أعماق الغفلة، واسترداد له من غيبوبته، ومن تيهه في المهامه المليئة بالضجيج والعجيج المفعم برهج البهرجات، وإخراج له من أجداث الإنحطاط والإنغماسات في هذه الحياة الدنيا، ليجد نفسه من جديد، وليتحسس مكوناته، ويشير بإصبعه إلى الأنا الكامنة في داخله، فيعيد لها صلتها بحركة الواقع العيني، ويجعل منه منصَّة انطلاق لها في عمق المستقبل، لتستقر ـ من ثم ـ في المساحات الأبدية اللامحدودة، وتنغرس فيها وجوداً حياً متألقاً، وخلاقاً، ومبدعاً، يصنع الحياة والبقاء، والسعادة والبهجة، والرضا والرضوان..

وهذا هو معنى الربح في هذا اليوم.. وتلك هي الأيام التي سيعيشها من بيع نفسه لله، فيربح بيعه.. على حد قول أمير المؤمنين «عليه السلام».

قاعدة الأهم والمهم:

ثم ساق «عليه السلام» الكلام مبنياً على القاعدة التي يقرها صريح العقل، وهي لزوم تقديم الأهم على المهم. فقد وازن «عليه السلام» بين أمرين:

أحدهما: مكروه للنفس. وهو ورود المنايا في سياق القيام بالواجب الإلهي والأخلاقي، على أن تكون عاقبة ذلك: هي الربح الدائم، والحياة الطيبة، والرضا والرضوان.

الثاني: محبب للنفس، وهو البقاء في الدنيا، مع خفض العيش وطيبه، ولكن ثمن ذلك:

1 ـ تعطيل الحدود.

2 ـ إبطال الحقوق.

3 ـ ظهور وانتصار الظالمين.

4 ـ فوز كلمة الشيطان..

والإنسان العاقل إذا خيِّر بين خفض العيش، ومعه هذه الأمور الأربعة، وبين ورود المنايا، وجريان الحدود، وبقاء الحقوق، وكبت الظالمين، واندحار كلمة الشيطان، وتحصيل رضا الرحمن.. فلا يمكن

إلا أن يختار هذا الثاني على الأول..

وذلك لسببين أشار إليهما «عليه السلام»، ونحن نذكرهما فيما يلي:

لماذا اختيار ورود المنايا؟!:

وعن سبب اختيار ورود المنايا، نقول:

ألف: إن ذلك من وظيفة الرجال، لأن الرجل هو الأقوى.

ولتوضيح ذلك، نقول:

1 - إن المجتمع الإنساني يضم صنفين من الناس هما: الرجال والنساء. وفي كلا الصنفين القوي والضعيف.. علماً بأن صنف الرجال ـ بصورة عامة ـ أقوى من صنف النساء.

2 - إن لدى أفراد هذا المجتمع غرائز وشهوات، وقوى وملكات، وأهواء وطموحات.. أودعها الله فيهم لحاجتهم إليها في بناء حياتهم، وفي اضطراد سيرهم التكاملي.

ولكن الكثيرين منهم قد يوظفونها في غير مواضعها الطبيعية، أو قد يسرفون في استعمالها. وربما يسيئون هذا الإستعمال عن عمد وقصد.. فبدل أن تكون أداة بناء، وسبيل تكامل، وارتقاء، تصبح سبب تراجع وهبوط، بل هدم وسقوط، وربما دمار وبوار..

فربما تدعو الحاجة إلى كوابح وروادع، تبقي الأمور تحت السيطرة، في حدودها المعقولة، والمقبولة.. وللتربية والتوعية، وتنمية

الوازع الديني والأخلاقي دور فعال وأساسي في هذا المجال.

ولكن ذلك لا يكفي، بل يحتاج إلى إجراءات عقابية، وإلى قوة وسلطة وهيبة.

3 - إن العنصر الأكثر فعالية في تكون القوة، وفي فرض السلطة هو الرجل كما قلنا. وهذا ما شهدناه في مسار الأمور منذ خلق الله تعالى البشر، ولا نتوقع إلا أن يبقى ويستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

4 - إن صنف النساء أرق وأرحم، وهنَّ أميل إلى كل اللطائف والطرائف، وأكثر اهتماماً بالزينة، والمظاهر الجمالية، والمناظر الخلابة.. وهنَّ أقرب إلى الرقة والدعة، والسلامة منهنَّ إلى ما يخالف هذه الحالات.

أما صنف الرجال، فهم أشد ميلاً إلى إظهار القوة، وطلب الهيمنة والتسلط، وأكثر اهتماماً بتحقيق الإنجازات الكبيرة، ومعاناة الصعاب، ومواجهة الأخطار.. ولذلك تراهم ينخرطون في الجيوش، ويشاركون في الحروب، ويمارسونها بقوة وحزم.. وربما يفرط بعض الناس في استعمال القوة إلى حدّ الإقدام على أمور بالغة القسوة والبشاعة. وقلما تجد لدى النساء رغبة في هذه الأمور، أو ميلاً إليها..

وهذا الذي ذكرناه، يوضح لنا السبب الأول لاختيار ورود المنايا، الذي أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «إن زينة النساء الحناء، وزينة الرجال الدماء».. فإن الرقة في النساء جعلت الحناء زينتهن..

والخشونة والميل إلى القوة لدى الرجال يدل على أن الرجال هم الذين يفترض فيهم أن يمنعوا من تعطيل الحدود، ومن إبطال الحقوق، وغير ذلك مما تقدم. ولو استلزم الأمر أن تخضب الرجال بالدماء، وأن يختاروا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه.

ب: الصبر خير العواقب:

وأما السبب الآخر لاختيار ورود المنايا، فهو ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «والصبر خير عواقب الأمور».

وتوضيح ذلك ضمن النقاط التالية:

1 - اتضح من جميع ما تقدم: أن سلوك طريق التكامل، وبلوغ الأهداف يحتم على الإنسان المتوازن: أن يقوم بمسؤولياته، لكي تستقيم الحياة في مسيرها نحو تحقيق أهداف الخلقة، وفق الهدايات المنسجمة مع المكونات الأساسية لإنسانية الإنسان، وحفظ تناغمها الطبيعي مع سائر ما يحيط بها، ويفترض فيها أن تتعامل معه، أو أن تتأثر به، أو تترك بعض آثارها عليه..

والذي يمنع من اختيار ورود المنايا: هو ميل النفس وركونها لخفض العيش وطيبه، ونفرتها وكراهيتها لكل ما يبعدها عنه، أو ينتقص منه.

2 - إن ورود المنايا، وإن كان مكروهاً للنفس الإنسانية، ولكنه ليس أمراً مرهقاً يحتاج إلى مكابدة ومعاناة طويلة ودائمة يصعب تحملها، بل هو أمر عابر تكفيه جرعة صبر يسيرة، ويتم العبور إلى

الرَّوح والريحان، والرضا والرضوان، حيث السعادة الأبدية، والنعيم المقيم.. فهذا الصبر الميسور والعابر، هو الذي يفتح باب هذا الفوز العظيم، وهو أحد أسباب اختيار ورود المنايا.

سؤال.. وجوابه:

وهنا سؤال يقول:

إنه «عليه السلام» قد جعل الصبر هو عاقبة الأمور، فقد يقال: إن المتوقع هو أن تكون العاقبة في طبيعتها وخصوصيتها مرهونة بالصبر قبل حصولها، لا أن يكون الصبر هو نفس العاقبة.. فكيف نفسر ذلك؟!

ونجيب:

إن مراده «عليه السلام»: أن العاقبة المطلوبة التي هي النعيم المقيم هي التي يأتي بها الصبر، فأطلق اسم المسبب على السبب، ربما ليدل على شدة الإرتباط بينهما، حتى لقد انتقلت المطلوبية والمحبوبية، والرغبة والتعلق من تلك العاقبة إلى الصبر نفسه، فأصبح بالرغم من مرارته وكراهة النفس له لذيذاً وطيباً، ومحبوباً ومطلوباً. وبالرغم من شدته صار هيناً وسهلاً. وبالرغم من أنه يحمل في طياته ورود المنايا، فقد أصبحت المنايا مجرد باب يتجاوزه الإنسان المؤمن بساعة صبر، وتحمل وأناة.. إلى السعادة الأبدية، والنعيم الدائم.

وهذا يدخل في نطاق الحث على الصبر، وتهوين أمره، وتشويق الناس إليه، ودفعهم إلى الرضا به..

تساؤلات لا بد من معالجتها:

وحين يشعر القائد الفذ: أن ثمة إبهامات لدى الناس الذين يتعامل معهم، أو لدى فريق منهم، قد توقعهم في حيرة، أو قد تثير الريب في نفوسهم، فعليه أن يبادر لمعالجتها.

وهذا ما حصل هنا، فإنه «عليه السلام» بعد كل ما تقدم أراد أن يجيب على تساؤل ربما يراود أذهان البعض عن سبب هذا الإصرار من معاوية وأصحابه على الحرب بالرغم من كل ما فيها من شراسة وحدَّة، وهم يوردون الناس المنايا، وعظيم الرزايا دون أن يجدوا في أنفسهم أي حرج من ذلك، فإن حب الدنيا وحده قد لا يبرر كل ذلك..

فأجاب «عليه السلام» عن هذا:

بأن الأمر لا يقتصر على مجرد طلب الدنيا، والرغبة في خفض العيش وطيبه، بل هناك إحن بدرية، وضغائن أُحدية، وأحقاد جاهلية، وثب بها معاوية حين الغفلة، ليذكر بها ثارات عبد شمس.

تساؤلات حول أئمة الكفر:

وبعد كل ما تقدم: خرج «عليه السلام» بنتيجة لخصها لنا بمضمون الآية الكريمة، التي تقول: **(وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ**

يَنْتَهُونَ)[1].

ونوضح مراده كما يلي:

لقد تضمنت الآية أموراً، وحمل الإستشهاد بها لنا عدة أسئلة، وهي:

الأول: إنها صرحت بلزوم قتال الفريق الآخر..

الثاني: قالت: إن الفريق الآخر الذي يقاتله «عليه السلام» كافر..

الثالث: إنهم أئمة كفر، لا مجرّد كفّار عاديين.

الرابع: مع أن عامة من يقاتلونهم هم أناس عاديون، كيف صح أن يقال عن كل واحد منهم أنه إمام للكفر؟!

الخامس: إن الذين يقاتلهم أمير المؤمنين «عليه السلام» يقولون عن أنفسهم إنهم مسلمون.. فكيف اعتبرهم كافرين، بل أئمة الكفر؟! وما المراد بالكفر الذي وقعوا فيه؟!

السادس: إنه تعالى قد علل وجوب قتالهم: بأنهم لا أيمان لهم.

فما هو الرابط بين الوفاء بالقسم، «الأيمان» وبين وجوب قتالهم؟!

ولماذا لم يعلل وجوب القتال بنفس كفرهم، أو بإمامتهم للكفر؟!

وهل نكث الأيمان يوجب قتال الناكث؟!

---

(1) الآية 12 من سورة التوبة.

السابع: ما هي الأيمان التي لم يلتزموا بمقتضاها، ليجب قتالهم من أجل إخلالهم بها؟!

الثامن: إن الغاية من القتال هو رجاء أن ينتهي هؤلاء عن غيهم، ويرجعوا إلى أنفسهم.

ونحن نحاول هنا توضيح ما يحتاج إلى توضيح، ونجيب على ما جاء على شكل سؤال ضمن العنوانين الآتيين:

تكفير القاسطين:

بالنسبة لاعتبار فريق القاسطين كفاراً، نقول:

1 - لقد أمر النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بقتال القاسطين. فقال تعالى: **(وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)**(1).

فمن يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بقتاله، ويكون حطباً لجهنم، لا يكون من المؤمنين.. لا سيما إذا كانوا عالمين بهذا الأمر، غير آبهين له، ولا مرتدعين عما هم فيه..

كما أن من الواضح: أن هناك روايات كثيرة تتحدث عن كفر من مات وليس في عنقه بيعة، وكفر الخارج على الإمام، وغير ذلك.. وقد ذكرناها في بعض فصول هذا الكتاب.

2 - إن الحكم عليهم بالكفر لا يعني الحكم بخروجهم من الدين،

---

(1) الآية 15 من سورة الجن.

لأن للكفر مراتب.. فهناك الكفر بمعنى الإلحاد، والكفر بمعنى الشرك، والكفر الذي يعني إنكار النبوة، والكفر بإنكار المعاد. والكفر بإنكار ضروريات الدين، والكفر بمعنى عدم الإنقياد لأوامر الله ورسوله بالرغم من اعترافه بالله وبوحدانيته، وبالنبوة وبالمعاد. ككفر من يترك الحج، وهو مستطيع، كما ورد في الآية المباركة في سورة البقرة.

3 ـ وأما اعتبار القاسطين أئمة كفر، فلأنهم بحربهم لإمام زمانهم، وتمردهم على الأوامر الإلهية الصريحة، قد دخلوا في الكفر العملي، وسيأتي من يقتدي بهم فيه، وهذا معنى أنهم أئمة كفر..

4 ـ أما القول: بأن الإستشهاد بالآية معناه: أن كل فرد فرد من المقاتلين مع معاوية كان إماماً في الكفر، وهذا غير معقول..

وجوابه:

ألف: إنه إنما ينظر إلى المجموع بما هو مجموع، وبما له من كثرة ظاهرة يرى فيها الآخرون قدوة لهم.. فكل فرد يريد أن يتبع ظالماً ويحارب تحت لوائه سوف يستحضر في ذهنه هذه الجماعة بحجمها الضخم الذي يعد بعشرات الألوف، ويقول: لي بهؤلاء أسوة، فإنهم كلهم لهم عقول وأفهام، ولم يروا حرجاً في مساعدة معاوية الذي له مواصفات معينة، فأنا اقتداءً مني بهم أحارب من يشبه الجماعة الأخرى، حتى لو كانت من أهل العدل، ولها قيادة معصومة.

ب: وقد يقال أيضاً: إن المقصود بأئمة الكفر هو قادة تلك الجماعة

بما هم مصاديق لإمامة تدعو وتمارس التمرد على الله، وتخالف أحكامه، وتعصي أنبياءه، وتحارب أوصياءهم، فتشملهم الآية المباركة، لأن قتالهم قتال لأئمة الكفر..

إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ:

أما بالنسبة لتعليل وجوب القتال لأئمة الكفر بقوله تعالى: (**..إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ..**)، فنوضحه كما يلي:

1 - إنه تعالى قال: (**لَا أَيْمَانَ لَهُمْ**)، ولم يقل: «إنهم لا يفون بأيمانهم»، ربما لأن الوفاء باليمين متفرع على وجود نفس اليمين، ومن يتبرع بيمينه بهدف خداع الطرف الآخر، فإن وجود يمينه يصير كعدمه.. لأنه متخم بالمقاصد الباطلة التي تعد استهانة بمن يقسم به، بدل أن تكون من مظاهر تقديسه وتعظيمه..

والقاسطون قد تمردوا على الله ورسوله، وتعمدوا التظاهر بهذا التمرد، فلا معنى للتعويل على الأيمان التي يعطونها.. لأن السلوك العملي أثبت أن أيمانهم كلا أيمان، وعهودهم كلا عهود..

2 - إنه بغض النظر عن موضوع إخلال زعماء القاسطين ببيعة الغدير التي كانت بأمر من الله ورسوله، فإن هؤلاء القاسطين قد أخلوا مرة أخرى بما ألزمهم الله تعالى به، فقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لمعاوية: «إن بيعتي وأنا بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، فليس للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد».

وتقدم: أن علياً «عليه السلام» قد اعتبر معاوية من الناكثين، لأن

البيعة له «عليه السلام» كانت بيعة صحيحة، وقد بيَّنّا ذلك في موضعه من هذا الكتاب.

3 ـ أما بالنسبة لقتال الناكث لأيمانه، فمن الواضح: أن المطلوب بالقتال ليس هو المجازاة على نكث الأيمان.. بل المطلوب هو تصحيح الأوضاع، وإعادة الأمور إلى نصابها، والإنتهاء عن الغي الذي هم فيه..

ولذلك قال تعالى: (**..لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**).

4 ـ إن قوله تعالى: (**..إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لهم..**) إنما يراد به النهي عن التعويل على عهود وأيمان هؤلاء الذين لا يخجلون بنقض عهودهم، ومخالفة أيمانهم مرة بعد أخرى.. وتوجيه الناس إلى أن إعادتهم إلى الصراط المستقيم، وردعهم عن بغيهم منحصر بالقتال، فلا ينبغي الإستسلام لخدعهم.. فإن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، ولا سيما بعد أن ظهر أن نكث الأيمان، ونقض العهود، كأنه من طبائعهم وحالاتهم الثابتة..

علي × في مقدمة طالبي الموت:

وقد صرح النص المتقدم: بأن علياً «عليه السلام» بعد ما أورد كلامه التوجيهي لأصحابه هاجم جيش معاوية بتلك الكتيبة، التي يقول ابن أعثم: إنها كانت أكثر من عشرة آلاف.

ويقول ابن شهرآشوب: إنها كانت سبعة عشر ألف رجل(1)، وهي الكتيبة التي بدأت هجومها، طالبة للشهادة في سبيل الله تعالى.

وكان «عليه السلام» في المقدمة..

واللافت: أنه لم يقل لهم: تقدموا أنتم، ودعوني أنا أوجهكم، وأرعاكم، وأسددكم، وأمدكم بالرجال عند الحاجة.. كما أنه لم يعتذر لهم بأن عليه أن يدبِّر سائر الكتائب، ويرعى حركتها، ويتابع شؤونها، ويلبي حاجاتها، وينسق فيما بينها.. بل كان معهم في طليعة المهاجمين الطالبين للموت في سبيل الله تعالى، لأنه يريد أن يفدي أصحابه بنفسه، وأن ينال أجر المجاهدين الصادقين.. وأن يقدِّم لهم الأمثولة والنموذج للقائد في النظام الإسلامي.

وكانت النتيجة: هي أن هجوم هذه الكتيبة قد نقض صفوف جيش معاوية.. حتى لقد صرح عمرو بن العاص: بأنه «عليه السلام» لو حمل حملة أخرى في أصحابه لكان البوار كما ذكره ابن شهرآشوب.

ضرب الطبول:

وقد تقدم: أن أصحاب علي «عليه السلام» كانوا يضربون الطبول من أربع جوانب عسكر معاوية، ويقولون: «علي

---

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص180 و (ط الحيدرية) ج2 ص362 وبحار الأنوار ج32 ص587.

المنصور»(1).

1 ـ وقد بات واضحاً: أن سبب ضرب الطبول في أربع جوانب عسكر معاوية ليس هو الإستيناس بصوتها، من حيث هو موسيقى عسكرية، كما قد يحلو للبعض أن يتصوره.. بل المقصود: هو إرباك جيش معاوية وإزعاجه، وبث الرعب في قلوب أفراده، وإيهامهم بأنهم أصبحوا محاصرين من الجهات الأربع..

وإذا كان ضرب الطبول قد حصل بالليل، فإن رعبهم سيكون مضاعفاً، وحيرتهم وضياعهم سيكون أشد.

وهذا يدلنا: أن الحرب النفسية ولو بالإستفادة من الأصوات المزعجة للعدو والموهمة له، هي من الأمور المطلوبة في الحروب.

ولا بد من الإشارة هنا: إلى الفرق بين السكوت الذي يكون قبل بدء الحرب، الذي يؤثر في روحيات العدو بصورة كبيرة، كما جرى في بدر وفي حرب الجمل قبل شروع القتال يتبدل إلى ضوضاء وهياج حين تقوم الحرب على قدم وساق.. حسبما يقتضيه التهويل الذي يحتاج إليه كل مقاتل في موقعه.

2 ـ أما قولهم: «علي المنصور»، فلا بد أن يفاقم الخوف والرعب لدى أهل الشام، لا سيما وأنه يصرح بالاسم الأكثر إثارة،

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص181 (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص363 وبحار الأنوار ج32 ص588 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص515.

والأقوى تأثيراً، والذي يحمل معه كل الإيحاءات التي تطمئنهم، من أنه لا يمكن أن يخالف حكم الشرع فيهم، كما أنهم قد عاينوا طرفاً من جهاده «عليه السلام».. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..

الفصل الرابع:

التوضيحات رقم 2
آخر المعارك..

دعاء الكرب يوم الهرير:

إن من يتابع سير المعارك في صفين يرى أنها كانت في أكثر الأحيان تنتهي لصالح أهل الحق. وإن لم تكن تصل إلى حد الحسم النهائي.

ونتائج كهذه تنعش الروح، وتقوي العزيمة لهذا الجيش الذي يكافح، ويناضل، ويحقق هذه الإنتصارات، بالرغم من تفوق جيش الطرف الآخر عدداً، ومن سهولة وصول الإمدادات إليه، وقدرته على تعويض خسائره في الأموال والرجال، كما أن مقاتليه يعيشون في محيطهم الحاضن لهم، والمتناغم معهم في عواطفه وفي مشاعره، وطموحاته.. وهم قادرون على الإستعلام عن أهلهم، وعلى الإلمام بهم، وزيارتهم، ولو لفترات قصيرة، للإطمئنان على أحوالهم عن قرب. إلى آخر ما هنالك من ميزات كان جيش القاسطين يتمتع بها دون جيش أهل الحق.

وبالرغم من كل هذه الإمتيازات الجيش العدو، فإن النتائج كانت

لصالح أهل الإيمان، وهذا ما لا يمكن أن يتوقعه معاوية وأهل الشام، فقد وجدوا في علي «عليه السلام» وجيشه ما لم يكن لهم في الحسبان. وذاقوا منهم الأمرَّين.

وفي ظل هذه الإنجازات للفريق المنتصر، وهم أهل الإيمان، فإن من الطبيعي أن تترسخ علاقة القائد بجيشه، وأن تزيد ثقته به، واعتماده عليه، وركونه إلى قدراته..

ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان يفهم الأمور بنحو آخر، ويتعامل معها بطريقة أخرى تخصه، فهو بالنسبة لأصحابه، وجيشه لم يكن تزيده إنجازاتهم محبة لهم، وعناية ومعرفة بهم، فهو لم يزل يفديهم بمهجته، ويسابقهم إلى العدو، ليكون هو المدافع عنهم، والحافظ لهم..

وهو «عليه السلام» يرى: أن من واجبه أن يخوض الغمرات، ويواجه الأخطار، ويرد المنايا من أجل حفظ الحقوق، فهل يضيع حقوق من يشاركونه التضحيات، ويخوضون الغمرات معه؟!

وهو «عليه السلام» يعرف: أن الفضل الأكبر فيما يحققه هو وجنده من نصر على الأعداء إنما هو بسبب التوفيقات والرعاية، والألطاف الإلهية بعباده، وأنهم ـ في أنفسهم ـ لا حول لهم، ولا قوة بدون عونه تعالى.. وإن كل ما حصلوا عليه إنما هو على قاعدة: **(يَا**

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[1].

ولذلك لم يكن يغفل عن هذه الحقيقة، فكان «عليه السلام» دائم الدعاء والإبتهال إلى الله تعالى في صفين، وفي كل مقام. وقد تجلى ذلك بصورة أتم في دعائيه في يوم وليلة الهرير.

والدعاء الثالث الآتي الذي دعا به في صبيحة تلك الليلة أيضاً..

قد تضمنت هذه الأدعية حقائق ودقائق، وإشارات ولطائف تبهر العقول، وتتقاصر عن نيلها الأفهام، وتنحسر عن آفاقها الأوهام.

ونحن بالرغم من اعترافنا بالعجز الأكيد، وبالعي الشديد عن بلوغ مراميها، ونيل معانيها، فإننا لا نريد أن نحرم أنفسنا من مثوبة السعي لتلمس بعض اللمحات من ظواهر كلماتها، وإن لم نستطع بلوغ شيء من غاياتها، فنقول:

لمجرد التذكير، وتقديم النموذج:

ولأننا نعرف: أن بيان ما تناله أفهامنا القاصرة من معاني هذا الدعاء، وغيره من أدعية يوم الهرير وليلته، قد يحتاج إلى ملء عشرات الصفحات، فقد رأينا أن نختار فقرتين فقط من دعاء الكرب، إحداهما من أوله، وثانيتهما من آخره، تبركاً وتيمناً، وطلباً للمثوبة، والأجر، فنقول:

ألف: الفقرة الاولى: قوله «عليه السلام»:

---

(1) الآية 7 من سورة محمد.

«اللهم لا تحبب إليَّ ما أبغضت، ولا تبغِّض إليَّ ما أحببت.

اللهم إني أعوذ بك أن أرضى سخطك، أو أسخط رضاك، أو أرد قضاءك، أو أعدو قولك، أو أناصح أعداءك، أو أعدو أمرك فيهم..».

حيث يلاحظ أمور كثيرة نقتصر منها على ما يلي:

ألف: إن اللحظات التي كان يدعو فيها «عليه السلام»، كانت متوافقة كل التوافق مع المضامين التي حملتها كلمات هذا الدعاء الرائع، فهو يواجه أعظم المكاره، وأشد الأخطار، وتهاجمه سيوف قاطعة، ورماح شارعة، وأحقاد هائجة، وقلوب قاسية، تريد أن تأكل لحمه، وتهشم عظمه، وتمحو من الوجود اسمه ورسمه..

والإنسان بطبعه يحب البقاء، ويطلب السلامة، والسعادة والهناء، ويبحث عن السعة والدعة، ويميل إلى خفض العيش وطيبه.

ولكن الله تعالى حين تعطل الحدود، وتبطل الحقوق، ويظهر الظالمون، وتفوز كلمة الشيطان.. يبغِّض للإنسان أن يركن إلى حب السلامة، وطلب الدعة، وحب البقاء، وما إلى ذلك..

ويحب له: أن يهبَّ إلى مقارعة السيوف، وورود الحتوف، وخوض الغمرات، حتى لو بلغ ذلك حدَّ ورود المنايا، وتحمل الكوارث والرزايا.

فأمير المؤمنين «عليه السلام» يطلب من الله: أن لا يحبب إليه ما يبغضه في مثل هذه الأحوال من الدعة والراحة، وحب السلامة، والإرتماء في أحضان الملذات، وما إلى ذلك..

ب: ثم تقدم «عليه السلام» خطوة أخرى، حيث استعاذ به تعالى، من أن يرضى سخطه تعالى، أو أن يسخط رضاه..

فإنه «عليه السلام» بعد أن طلب من الله تعالى أن لا يفيض الوجود على ذلك الحب، أو البغض، حتى لو وجدت أسبابهما الموجبة، لذلك عاد ليطلب من الله التدخل لمنع تلك الأسباب نفسها من أن توجد أيضاً.. ولذلك قال: «اللهم إني أعوذ بك من أن أرضى سخطك، أو أن أسخط رضاك».

ج: ثم ترقى خطوة أخرى، فطلب من الله تعالى: أن لا يسمح له برد قضائه، فقال «عليه السلام»: «أو أرد قضاءك»، لأنه يريد بذلك: أن يعالج آثار ما يأتي عليه من خارج ذاته، مما لا خيار له فيه، ولا في أسبابه..

حيث إن المطلوب منه: أن يرضى به، ولا يعترض عليه. كما قد يفعله الآخرون في مثل هذه الحالات الصعبة.

د: ثم تابع «عليه السلام» كلامه، فيطلب منه تعالى: أن يصونه من أن يتجاوز قوله، ولا يراعيه بالدقة، وبالتمام والكمال.. فإن الناس في حالات الخطر القصوى يرون أنفسهم معذورين في تجاوز الحدود المرسومة لهم، فيزيدون، أو ينقصون. ولا يدققون.

هـ: واستعاذ أيضاً به تعالى من أن يناصح أعداءه تعالى.. فإن البعض قد يحاول أن يدفع الخطر عن نفسه بتصرفات يرشو بها الأعداء، لكي يصرفوا سيوفهم عنه.

و: ثم ذكر أخيراً: استعاذته بالله تعالى من أن يتأثر بأجواء التشنج، والخوف، والإنفعال، فيجيز لنفسه أن يتعدى حدود الأوامر الصادرة إليه في التعامل مع أعدائه، فيظلمهم بذلك، وينتقص من حقوقهم..

ب: الفقرة الثانية:

قوله «عليه السلام» في آخر الدعاء: «اللهم إني أسألك النصر الذي نصرت به رسولك، وفرقت به بين الحق الباطل، وأفلجت به حجتك. يا من هو لي في كل مقام..».

وفي هذه الفقرة دلالة تكاد تكون ظاهرة على أنه «عليه السلام» يتصدى لأمر يشبه ويوازي في أهميته ما تصدى له رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهو أمر يرتبط بمهمات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وله ارتباط بدفع الشبهات التي يثيرها المبطلون، والتي تترسخ وتتجذر إلى الحد الذي تحتاج لاقتلاعها إلى حرب شعواء تنتهي بهذا النصر العظيم، الذي من شأنه أن يميز بين الحق والباطل.

ثالثاً: إن هذا النصر الذي يطلبه له تأثير في جعل الحجة قاطعة، وموجبة للفلج على الخصوم، حين يدمغهم الحق، ويفرض نفسه عليهم.

ومن الواضح: أن النصر الذي يحقق هذه الأمور الثلاثة ليس مجرد عمل عسكري ناجح يعتمد في نجاحه على صوابية ودقة الخطة، أو على كثرة العدد، وجودة العدة.. أو لأجل شجاعة الفرسان،

وإقدامهم على المهالك، أو لهذه الأمور كلها مجتمعة، أو معها غيرها أيضاً..

فإن هذه الأمور قد تتوفر حتى لجيش الظالمين، والضالين، والمعتدين أيضاً.

بل النصر الذي يحقق خصوص تلك الأمور الثلاثة التي ذكرها «عليه السلام» هو نصر مخصوص، أتحف الله به نبيه، واختصه به.

والظاهر: أن هذا النصر الذي هو كذلك، لا بد أن يحمل معه خصوصيتين:

إحداهما: أن يكون نصراً بالرعب، وليس المراد الرعب بمعناه المتعارف، بل الرعب الذي يشير إلى أن النصر قد حصل بتصرف وتدخل إلهي..

الثاني: أن تصاحبه أحوال غيبية، تشير إلى الرعاية الإلهية، كالإمداد بالملائكة، أو كحادثة إطعام النبي «صلى الله عليه وآله» الجيش بأكمله من كف من تمر.. أو أن يتجسد الغيب فيه، ولو بواسطة ظهور صدق الإخبارات الغيبية عن أمور محددة بخصوصياتها، التي لا ينال معرفتها البشر، ولا طريق لها إلا الغيب الإلهي.. كما كان الحال بالنسبة لما أخبر به علي «عليه السلام» عن أمر ذي الثدية، وعن عدد من يقتل من أصحابه، وعدد من يبقى من الخوارج، ونحو ذلك، أو ما يكون فيه من المعجزات والخوارق ما يمنع من اعتباره عملاً بشرياً، منفصلاً عن الرعاية واللطف الإلهي، كما كان الحال

بالنسبة لقلع باب خيبر، ولما جرى في حنين. بل وكذلك ما جرى في حرب أُحد والأحزاب، وسواها..

فعلي «عليه السلام» يريد نصراً يفرق بين الحق والباطل، وتفلج به الحجة، ويقوم به الدين. ويريده نصراً لا يختلف عن النصر الإلهي الذي اختص الله تعالى به رسوله «صلى الله عليه وآله»..

وهذا هو نصر الرحمة، لا النقمة..

لأن النصر على نحوين:

أحدهما: نصر النقمة، الذي يعني أن يوكل الأمر إلى القوة لكي تحسم هي الأمر، مهما كلف ذلك من خسائر في الأرواح، ليكون مصير المهزوم القتل والنكال في الدنيا، والنار في الآخرة..

الثاني: نصر الرحمة، وهو نصر هداية، وإرشاد، وإعطاء الفرصة للعمل الصالح، لتنال به النجاة والنجاح، والفلاح في الدنيا والآخرة..

وهذا النصر هو الذي يكون به فلج الحجة، وبه يفرق بين الحق والباطل، وبه يقام الدين.

ولا يتعدى اللجوء إلى القوة فيه حدود الدفاع عن النفس، واضطرار الطرف الآخر إلى الرجوع إلى رشده. والمعيار فيه هو الدعاء المعروف: «اللهم صل على محمد وآله، وأرني الحق حقاً حتى أتبعه، وأرني الباطل باطلاً حتى أجتنبه، ولا تجعله علي متشابهاً فأتبع

هواي»(1).

جهاد علي × في صفين:

تقدمت نصوص كثيرة تؤكد على أنه «عليه السلام» قد جاهد في الله حق جهاده في صفين، حتى ليقولون: إنه لم يكن رجل أَطرَح لنفسه في متلف مثل علي «عليه السلام».

وقد اعترف رؤوس القاسطين له بهذا الجهاد، وبأنه كان يفدي أصحابه بنفسه، ويهدف نحره للأعداء دونهم. ولا نريد التوسع في بيان هذا الأمر، بل نكتفي بتسجيل بضعة ملاحظات على ما جرى في يوم وليلة الهرير، وهي التالية:

يغافل أصحابه، ويحمل على العدو:

لم نجد قائداً، وخليفة، وإماماً يرضى من أصحابه بأن يوكلوا رجالاً منهم بفرسه، ليمنعوه من الحملة على عدوهم، صوناً لحياته..

واللافت في الأمر هنا: أنه عندما رآهم قد فعلوا ذلك لم يزجرهم، ولا أمرهم بالإبتعاد عنه، ولا كسر خواطرهم، بل هو يرأف بهم، ويحنو عليهم، ويجاريهم، ويداريهم، ويقدر لهم هذا الحب، وهذا

---

(1) راجع: مصباح المتهجد ص111 ومفتاح الفلاح ص204 والمصباح للكفعمي ص43 وبحار الأنوار ج83 ص119 و 120 وفلاح السائل ص254.

الحرص على حياته.. ولكنه يغافل الموكلين بفرسه، ويحمل على العدو، فلا يرجع حتى يخضب سيفه من دمائهم، أو حتى ينثني سيفه، ولا يعود صالحاً للقتال..

وبذلك يكون «عليه السلام» هو التجسيد الحي للرحمة والرفق بالأولياء، والشدة على الأعداء، كما قال تعالى: (**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**)(1).

كما أنه يجسد للأجيال كلها مضمون الفناء في حب الله، وحب الجهاد في سبيله، وفي سبيل المستضعفين. ولأجل إقامة الدين..

ولسنا بحاجة إلى التذكير بما كان يكنه له أصحابه من حب، وما يعتمر في صدورهم من إخلاص وحنان.. ولا نعرف كيف نصف المشاعر التي كانت تنتابهم وهم يتخذون قرار وضع رجال يحاولون منعه من الهجوم على الأعداء، ثم يحاولون تطبيقه بهذه الصيغة على النحو الذي ذكرته الرواية!!

لأقتلن معاوية وأصحابه:

عن عدي بن حاتم: أن علياً «عليه السلام» قال ليلة الهرير بصفين، حين التقى مع معاوية رافعاً صوته، يُسْمِعُ أصحابه: لأقتلن معاوية وأصحابه. ثم قال في آخر قوله: «إن شاء الله» يخفض بها صوته.

---

(1) الآية 29 من سورة الفتح.

وكنت قريباً منه، فقلت: يا أمير المؤمنين! إنك حلفت على ما قلت، ثم استثنيت، فما أردت بذلك؟!

فقال: إن الحرب خدعة. وأنا عند أصحابي صدوق. فأردت أن أطمع أصحابي في قولي كي لا يفشلوا، ولا يفروا. فافهم، فإنك تنتفع بها بعد، إن شاء الله تعالى(1).

ونقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات نجملها على النحو التالي:

1 - إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يمكن أن يفعل ما يوجب الطعن في صدقه، وفي واقعية أقواله، ومطابقتها للواقع. حتى لو كان ذلك في ساحة المواجهة مع العدو.

2 - إن أصحابه «عليهم السلام» قد حاربوا جيش معاوية أربعة أشهر، وقتلوا من ذلك الجيش عشرات الألوف، ولم يفشلوا، ولم يهربوا، فلماذا يهربون ويفشلون الآن بعد أن أصبحوا يشعرون بضعف عدوهم، وبرجحان كفتهم عليه.. كما دلت عليه النصوص

---

(1) تفسير القمي ج2 ص60 و 61 وتفسير نور الثقلين ج3 ص380 و 381 والكافي ج7 ص460 وتهذيب الأحكام ج6 ص163 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص133 و 134 وج23 ص273 و 274 و (الإسلامية) ج11 ص102 وج16 ص170 ومستدرك الوسائل ج11 ص103 وج16 ص75 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص195 وبحار الأنوار ج32 ص617 وج68 ص10 وج97 ص27.

التي تقدم بعضها في هذا الكتاب.

3 ـ لقد كان «عليه السلام» يثير حماس أصحابه طيلة تلك الوقعات التي ربما بلغت تسعين وقعة باساليبب صحيحة ومؤثرة، وقد آتت ثمارها باستمرار، فلماذا تركها الآن وعدل إلى هذا الأسلوب الذي لا يتوقعونه منه، ويحمل معه أخطاراً، ويترك آثاراً سلبية على نظرتهم إليه «عليه السلام»..

4 ـ قوله «عليه السلام»: «لاقتلن معاوية وأصحابه» ذو وجهين: إذ كما يمكن أن يفهم على أنه إخبار عن أمر سيقع لا محالة، فلا يصح أن يكذب فيه «عليه السلام»، فإنه يمكن أن يفهم على أنه تهديد ووعيد لمعاوية وأصحابه.

ويمكن للإنسان أن يتوعد شخصاً بالسوء، ثم يشفع به الشافعون، فيصرف النظر عن تنفيذ تهديده إكراماً لهم.. بل هو قد يعفو عنه تكرماً، ولو من دون شافع. أو يعفو عنه لمصلحة عرضت.. ولا يكون كاذباً في تهديده، لأن التهديد إنشاء، وليس إخباراً.

فالعفو الذي يأتي بعده يكون أمراً حسناً، ولذلك يقال: إن من القبيح على الله أن يخلف وعده، ولكن عدم إجراء الوعيد ليس قبيحاً، بل هو تكرم وتفضل وإحسان..

5 ـ لعلك تقول: إن هذا يصح لو كان الكلام قد جاء خالياً عن القسم، أما حين يكون مرفقاً بالقسم، فإنه لا يمكن التراجع عن تنفيذ التهديد، لأنه يكون قد حنث بيمينه، ولا يمكن أن يحنث الإمام بيمينه.

وهذا هو ما فهمه عدي بن حاتم، الذي قال له: «إنك حلفت على ما قلت ثم استثنيت»، لأن «اللام» في قوله «عليه السلام»: لأقتلن معاوية هي لام القسم، والقسم محذوف أي والله لأقتلن. ولم ينكر ذلك «عليه السلام»، بل رضيه وقبله. وأجاب عنه بما تقدم..

ويجاب:

أولاً: بأن الإستثناء المذكور معناه: تعليق القسم على المشيئة، وهو إبطال له، لأنه يشترط في القسم التنجيز، ولا يفرق بين أن يصرح بهذا التعليق بصوت خافت، أو بصوت عالٍ.

ثانياً: إن هذا ليس من الإيمان التي لا يصح الحنث بها، لأن اليمين الشرعي الذي يحرم الحنث به يحتاج إلى التصريح بلفظ الجلالة، أو بأي اسم لا يطلق على غيره تعالى، كلفظ الرحمان، أو بأوصافه وأفعاله المختصة به، كالرب والبارىء، ونحو ذلك، ولم يقع التصريح منه «عليه السلام» بأي من هذه الأسماء، أو الصفات، أو الأفعال المختصة به تعالى..

فإن قلت: لماذا لم يوضح «عليه السلام» ذلك لعدي بن حاتم؟!

فيجاب:

ألف: لعل الناقل لم ينقل لنا جميع ما جرى.

ب: لعله «عليه السلام» رأى أن مراعاته لموضوع الصدق والكذب في كلامه حاصلة.. حسبما تقدم. ومشلكة عدي سوف تنحل في الوقت المناسب، لأن حلها أمام الملأ العام يحمل معه التصريح

بسلامة معاوية. وهذا التصريح سيكون مضراً بأهل الحق.

ثالثاً: إن دعوى أنه كلما جاءت اللام في أول الفعل المضارع ومعها نون التأكيد تكون لام القسم تبقى مجرد دعوى ذوقية واستنسابية من بعض النحاة، فلماذا لا تكون لام التأكيد كنون التأكيد، فيجتمع تأكيدان إن كانت النون خفيفة، ثم تصير التأكيدات ثلاثة, إذا كانت النون ثقيلة؟!

من أجل ذلك كله نقول:

إن التهديد لمعاوية هو المناسب لمقصده «عليه السلام» هنا، وليس لأجل منع أصحابه «عليه السلام» من الفشل والفرار.. فإن صحت هذه الرواية، فلا بد أن يكون الناقل لم ينقلها على حدها. بل تصرف فيها بما أخرجها عن سياقها، وأوجب الشبهة في بعض فقراتها..

تكبيرة لكل قتيل:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قد كبر في سواد ليلة الهرير خمس مئة وثلاث وعشرين تكبيرة، في كل تكبيرة له قتيل. كما ذكرته المصادر التي تقدمت الإشارة إليها.

وقيل: ثلاث مئة، وفي رواية سبع مئة(1).

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج2 ص83 و 84 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص355 وبحار الأنوار ج41 ص67 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب

كما أن المنقري يقول في كتابه صفين:

إنه «عليه السلام» في يوم صفين: «قد قتل زيادة على خمس مئة من أعلام العرب..» كما تقدم.

فلماذا هذا التكبير عند قتل كل واحد من هؤلاء يا ترى؟!

ونقول في الجواب:

1 ـ لعل الهدف: هو إظهار أن القاسطين قد استكبروا وعلوا، واستعلوا على الله تعالى، وعتوا عن أمره.. فيريد «عليه السلام» أن يفهم الناس أنه لا شيء أكبر من الله، وأن مصير المستكبرين هو أن تمرغ آنافهم بتراب الخزي والذل في الدنيا والآخرة..

لا سيما وأن هذا الذي يحل فيهم لا ينتهي بموتهم، بل هذه هي ساعة البداية حيث سيتواصل هذا الخزي والذل، ويحملونه معهم إلى قبورهم، ثم إلى يوم نشورهم، حيث الحساب والعقاب..

وبذلك يكون هذا التكبير بمثابة تبشير لأهل الحق، بظهور كلمة الله سبحانه، وإنذار لكل قاسط وباغ بما ينتظره من مصير إن لم يكن في الدنيا، ففي يوم القيامة، وما هذا اليوم عنهم ببعيد.

2 ـ ولعل من جملة مقاصده «عليه السلام» من هذا التكبير: هو التعريف بأنه إنما يقاتلهم امتثالاً لأمر الله تعالى. فهو «عليه السلام»

ج9 ص212.

ينفذ القرار الإلهي فيهم، وينتصر له تعالى..

وإذا عاد الناس إلى أنفسهم، ووجدانهم، فإنهم سيدركون صحة هذا التوجه، لأن القاسطين إنما يقاتلون طمعاً بالدنيا، ولأجل الملك، أو استجابة لعصبية، أو طاعة لأمرائهم..

أما أهل الحق، فهم يحاربون انتصاراً للدين، وللحق وأهله، وتقرباً إلى الله تعالى، وهدفهم هو مجرد دفع بغي الباغين، وإعادة الأمور إلى نصابها وفق ما أمر به الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله».

فهذا التكبير تجسيد لهذا الفهم الصحيح للأمور هنا، وإثارة للشعور بالذنب لدى الطرف الآخر المخالف..

لا يقتل الإمام × من في صلبه مؤمن:

ومن الأمور التي سمعناها من الناس قولهم: إن الأشتر النخغي سأل أمير المؤمنين «عليه السلام» عن عدد الذين قتلهم ليلة الهرير، فلما أخبره بعددهم، حسبما ذكرناه آنفاً، قال الأشتر: إنه قتل أكثر من هذا العدد..

فيزعمون: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» أخبره: أنه «عليه السلام» إنما يقتل من لا يكون في ذريته مؤمن إلى يوم القيامة. أما الأشتر وغيره، فيقتلون كل من يقع في طريقهم..

ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نؤكد صحة هذا الكلام، ولكن تكذيبه

القطعي ليس أمراً ميسوراً لنا.. فلعله مأخوذ من مصدر لم نوفق للإطلاع عليه.

ولكننا نتذكر هنا قول نوح «عليه السلام»: **(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)**(1). مما يعني: أن الله تعالى يُعْلِمُ أنبياءه بحال الكافرين، وأحوال ذرياتهم في الإيمان والكفر، ربما لأن ذلك له مساس بطبيعة بعض المواقف منهم، أو تحديد بعض التصرفات معهم.

ولعل علياً «عليه السلام» كان يعلم ذلك أيضاً..

واللافت هنا: أن نوحاً «عليه السلام» قال: **(وَلَا يَلِدُوا)**، ولم يقل: «لن يلدوا». ربما لأجل أن لا يصادر إرادة الله تعالى ومشيئته المطلقة فيهم، فاختار التعبير بـ **(وَلَا يَلِدُوا)**، ليدل على أن طبيعتهم تقتضي بأن لا يلدوا إلا هذا النوع من الأولاد. ولكن مشيئة الله تعالى تبقى جارية فيهم.

قتل أعلام العرب:

ويقول أحد النصوص المتقدمة: إنه «عليه السلام» قد قتل زيادة على خمس مئة من أعلام العرب.

وسيأتي: أن أهل الشام صرخوا ليلة الهرير: هلكت العرب.

---

(1) الآيتان 26 و 27 من سورة نوح.

ونرى: أن هذه الكلمة ـ أعني كلمة «العرب» ـ مسمومة، وتهدف إلى تحريض العرب على أمير المؤمنين «عليه السلام».. وربما يكون الهدف منها إيجاد المبرر لقول القائل في كربلاء، وهو يحرِّض الناس على قتل الإمام الحسين «عليه السلام»: «هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتَّال العرب»(1).

وإلا، فإن الذين قتلهم «عليه السلام» من أولئك الفجرة إنما كانوا يحاربون الله، ورسوله، ويسعون لطمس دين الله، وتعطيل الحدود، وإبطال الحقوق.. فهم أعلام ضلال، ورواد اختلال، فهل يؤسف على أمثال هؤلاء؟!

كما أنهم هم الذين جاؤا لحربه، ويريدون إطفاء نور الله تعالى، فلماذا لا يدفعهم عن نفسه؟! ولماذا لا يتراجعون هم عن غيهم، وباطلهم؟!

لا سيف إلا ذو الفقار:

وقد ذكَّرهم «عليه السلام» بسيفه ذي الفقار، وأنه همَّ أن يصقله، ولكن حجزه عنه أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول كثيراً:

---

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب ج4 ص110 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص258 وبحار الأنوار ج45 ص50 وعوالم العلوم (الإمام الحسين) ص293 والمجالس الفاخرة ص311.

لا سـيف إلا ذو الفقـار ولا فـتى إلى عـلي

قال: وأنا أقاتل به دونه..

فهو يذكِّر أصحابه، وكذلك أعداءه بأنه يحارب بنفس السيف الذي شهد له رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بأنه لا سيف سواه. الأمر الذي يثير أسئلة كثيرة حول جميع السيوف التي يدعى أنه دافعت عن الإسلام، أو عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويدعو إلى الظن، أو اليقين بأنها لم تكن خالصة النية في دفاعها، بل كان للدنيا فيها نصيب، فلعلها كانت تحب الشهرة، أو كانت تدافع عن القبيلة، أو المال، أو عن الأشخاص.. أو غير ذلك من النوايا التي تقلل من درجة الخلوص والإخلاص.

ثم إنه «عليه السلام» قد صرح بأنه إنما كان يقاتل بذلك السيف دون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يكن يذب به عن نفسه، ولا عن ماله، أو عشيرته، أو ما إلى ذلك..

إقتحام سرادق معاوية:

وتقدم: أنهم اقتحموا سرادق معاوية، وقطعوه. وأن معاوية حين أحس بالخطر استشار عمرو بن العاص، فأشار عليه بإخلاء السرادق، فأخلاه..

ويلاحظ:

أن سراق معاوية قد تعرض للإقتحام في صفين مرات كثيرة.. ومن الواضح: أن هذا الإقتحام، ولا سيما مع تكرره يكسر هيبة

معاوية لدى أهل الشام، ويشجع أهل الحق، ويبعث فيهم المزيد من الرغبة في القتال، وحسم الأمور..

وقد أشرنا في موضع سابق: إلى أن علياً «عليه السلام» لم يكن له سرادق ظاهر، يستطيع العدو أن يتقصده بهجماته، أو يحيك المؤامرات للنفوذ إليه، بل كان «عليه السلام» يتقلب في مواضع تواجده، وينتقل من مكان إلى مكان. وهذا من الإجراءات الصحيحة في مثل هذه الظروف..

الله الله في الحرمات:

ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن المشايخ من أهل الشام جعلوا ينادون في تلك الغمرات: الله الله في البقية، الله الله في الحرم والذرية..

وهذا نداء عجيب! فلماذا يناشدونهم حفظ البقية، وحفظ الذرية والنساء والبنات، ولا يناشدونهم حفظ دينهم، وقبول أمر الله تعالى، وامتثال أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله» والوفاء بعهد الله..

كما أنهم يريدون حفظ الذرية، ولكن دون أن يتراجعوا هم عن غيهم قيد أنملة، فهم يريدون ملك الشام، ويقتلون خيار الأمة، ويخرجون على إمام زمانهم، ويريدون أيضاً أن لا يقاتلهم أحد.. ولا يمنعهم مانع عن غيهم، فأي مناشدة هذه!!

والأغرب والأعجب من ذلك: أن بعض المصادر قد ذكرت: أن

علياً «عليه السلام» هو الذي نادى في الغمرات: الله الله في الحرم والذرية(1).

ولا شك في أن هذا من الأكاذيب عليه، فإن إحقاق الحق عنده هو الأولى والأصوب..

أي رجل هذا لو كانت له نية!!:

وتقدم: الحوار الذي دار بين حمير ومنقذ ابني قيس حول نوايا الأشتر، حيث طعن منقذ في نية الأشتر، وقال: أي رجل هذا لو كان له نية!!

فاعترض عليه حمير: بأن من يفعل هذا الفعل لا يمكن أن لا يكون له نية.

فقال له منقذ: إني أخاف أن يكون يحاول ملكاً..

ونقول:

إن هذا الكلام غريب:

فأولاً: إن أحداً لا يستطيع أن يطلع على ما في قلوب الناس إلا علَّام الغيوب، فإذا أخبرنا من له اتصال بالله تعالى، كالنبي «صلى الله عليه وآله»، الذي يخبره الله تعالى بواسطة جبرئيل، وبغيره من

---

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص181 و (ط الحيدرية) ج2 ص363 وبحار الأنوار ج32 ص588.

طرائق الوحي، فلا بد من تصديقه، وقد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله»: أن الأشتر من المؤمنين الذين يشاركون في دفن أبي ذر(1).

ثانياً: إن الأقوال والأفعال هي الطريق إلى معرفة ما في القلوب.. وليس الإنسان مكلفاً بأكثر من ترتيب الأثر على تلك الأفعال والأقوال، وهذا بالضبط هو ما قاله حمير لمنقذ..

يقاتلون أصحابهم بالجهل:

وتقدم قول صاحب المناقب عن أهل الشام: «فكانوا يقاتلون أصحابهم بالجهل».

والمراد: أن اختلاط الأمور عليهم، وعدم قدرتهم على التمييز

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص99 و 100 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص253 - 255 وراجع: موارد الظمآن ج7 ص224 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص283 و 284 وشجرة طوبى ج1 ص77 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص369 و 370 وبحار الأنوار ج42 ص177 وج22 ص399 و 400 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص377 - 378 والمستدرك للحاكم ج3 ص345 ومجمع الزوائد ج9 ص331 والآحاد والمثاني ج2 ص229 وصحيح ابن حبان ج15 ص57 - 61 والدرجات الرفيعة ص252 وروضة الواعظين ص284 ومعجم رجال الحديث ج15 ص167 و 168 والطبقات الكبرى لابن سعد ج4 ص232 و 233 وتاريخ مدينة دمشق ج66 ص220 - 221 وسير أعلام النبلاء ج2 ص76 و 77.

بين من هم معهم، ومن هم ضدهم أوقعهم في خلاف ما يريدون، وأدى بهم جهلهم هذا إلى أن يقاتل بعضهم بعضاً، فكانوا يقتلون أصحابهم بتوهم أنهم من الأعداء..

عدد القتلى في ليلة الهرير:

اضطربت النصوص المتقدمة في عدد القتلى في خصوص ليلة الهرير.

فقيل: قتل في تلك الليلة ستة وثلاثون ألفاً من جحاجحة العرب[1].

وقال ابن شهرآشوب: أربعة آلاف رجل من عسكر علي «عليه السلام». واثنان وثلاثون ألفاً من عسكر معاوية[2].

وقيل: بل قتل في ذلك اليوم، وتلك الليلة سبعون ألف قتيل[3].

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج1 ص181 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص473 ومطالب السؤول ص226 وكشف الغمة ج1 ص255 والصراط المستقيم ج1 ص204 وكشف اليقين ص158.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج1 ص180 و 181 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص181 و (ط الحيدرية) ج2 ص363 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص213.

(3) البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص304 وينابيع المودة ج2 ص9 وشجرة طوبى ج2 ص339 والغدير ج9 ص371.

وعن عدد قتلى صفين قيل: قتل من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» ألفا رجل وسبعون رجلاً، وقتل من أصحاب معاوية سبعة آلاف رجل(1).

ويقول قتادة: «قتلى صفين ستون ألفاً»(2).

وفي دلائل النبوة عن صفوان بن عمرو: قتل من أهل العراق أربعون ألفاً، ومن أهل الشام عشرون ألفاً(3).

وقيل: قتل بصفين سبعون ألفاً، خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق(4).

---

(1) المناقب للخوارزمي ص249 وفي شجرة طوبى ج2 ص339: ألف وسبعون رجلاً.

(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص181 و (ط الحيدرية) ج2 ص363 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص304 وراجع: تاريخ خليفة بن خياط ص146 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص545 وبحار الأنوار ج32 ص589 وسير أعلام النبلاء ج3 ص142 وتاريخ بغداد ج9 ص120.

(3) البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج6 ص239 وج7 ص304 و 346 عن البيهقي في دلائل النبوة ج6 ص419 وتاريخ الإسلام للذهبي ج1 ص390 وإمتاع الأسماع ج12 ص196.

(4) صفين للمنقري 558 وشجرة طوبى ج2 ص325 وعمدة القاري ج16 ص141 والثقات لابن حبان ج2 ص291 والتنبيه والإشراف للمسعودي

وقيل: خمسون ألفاً من أهل الشام، وعشرون ألفاً من أهل العراق[1].

وقيل: سبعون ألفاً من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق[2].

وفي مروج الذهب عن يحيى بن معين: إن عدة من قتل بها من

ص256 والصراط المستقيم ج3 ص120 ومعجم البلدان ج3 ص414 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص707 وأنساب الأشراف للبلاذري (ط سنة 1416 هـ) ج2 ص230 و (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص322 والبداية والنهاية ج7 ص275 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص304 و 346 وتهذيب الكمال ج21 ص226 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص482 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص545 وسير أعلام النبلاء ج3 ص142 والوافي بالوفيات ج21 ص184 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص495. وراجع: فتح الباري ج13 ص75 والأعلام للزركلي ج4 ص295 وتاريخ خليفة بن خياط ص146 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص181 و (ط الحيدرية) ج2 ص363 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص60 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص724 والمناقب للخوارزمي ص197.

(1) النصائح الكافية ص36 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص287 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص44 عن العقد الفريد ج3 ص337 و (ط بيروت) ج5 ص86 عن ابن أبي شيبة.

(2) شجرة طوبى ج2 ص325 و 326.

الفريقين ـ في مائة يوم وعشرة أيام ـ مائة ألف وعشرة آلاف من الناس؛ من أهل الشام تسعون ألفاً، ومن أهل العراق عشرون ألفاً(1).

وقال المفيد «رحمه الله»: وانكشفت الحرب بينهم عن قتل نيف وعشرين ألف إنسان على قول المقل أيضاً، وضعف هذا العدد أو قريب من الضعف على قول آخرين بحسب اختلافهم في الروايات(2).

وقيل: إن أمير المؤمنين قال للأشعث بن قيس: وكيف رأيت ـ يا بن قيس ـ وقعتنا بصفين، وما قتل الله منهم بأيدينا خمسين ألفاً في صعيد واحد إلى النار؟!

وفي رواية أخرى: زيادة على سبعين ألفاً(3).

الصلاة يوم وليلة الهرير:

وقد ورد في كتاب صفين للمنقري قوله: «فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد، من صلاة الغداة إلى نصف الليل، لم يصلوا لله

---

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص288 عن مروج الذهب ج2 ص404 و (ط أخرى) ج2 ص462 والدر النظيم ص368.
(2) الإفصاح للشيخ المفيد ص116 و 117.
(3) بحار الأنوار ج29 ص470 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص10 وكتاب سليم بن قيس ج2 ص668 و (مجلد واحد) ص217.

صلاة»[1].

والصحيح: أن صلاة أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» كانت بالتكبير والإيماء، كما دلت عليه نصوص أخرى ذكرها المنقري نفسه، وغيره[2].

ولعله أراد: أنهم لم يصلوا الصلاة المعهودة، التي فيها ركوع وسجود، وما إلى ذلك.

الأشتر: فدى لكم عمي وخالي:

وتقدم: أن الأشتر كان يحرض أصحابه، ويقول: فدى لكم عمي وخالي.. فقد يتساءل البعض عن سبب تفديتهم بالعم والخال، لا بالأب والأم.. كما هي العادة؟!

وربما يجاب:

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص475 وبحار الأنوار ج32 ص527 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص522 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص208.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص180 وصفين للمنقري ص497 و 480 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص45 والكافي ج3 ص457 و 458 وتهذيب الأحكام ج3 ص173 و 174 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج8 ص445 و (الإسلامية) ج5 ص486 و 487 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص20 وبحار الأنوار ج33 ص444 وج86 ص109 و 115 وتفسير العياشي ج1 ص272 ومنتقى الجمان ج2 ص206.

أولاً: لعل عمه وخاله كانا على قيد الحياء، فأراد أن يكون صادقاً في تفديتهم بهما، لا سيما إذا كان عمه وخاله لم يقوما بواجب الجهاد ضد القاسطين، مع الإمام المفترض الطاعة من قبل رب العالمين.

ثانياً: لعله «رحمه الله» أراد أن يكون باراً بوالديه، فلم يشأ أن يستحضرهما في هذا المورد، ولو بهذا المقدار.

ولعل الأشتر لم يكن يراهم مستحقين للتفدية بالأب والأم والأبناء إلا بعد أن يحصلوا على رضا الله بتضحياتهم في سبيل إعزاز دينهم، كما يدل عليه قوله: «شدوا فدى لكم عمي وخالي شدة ترضون بها الله، وتعزون بها الدين».

فلعلهم إذا فعلوا ذلك يفديهم حتى بالآباء والأبناء، ويكون صادقاً في ذلك..

الخطبة التي أخافت معاوية:

والخطبة المتقدمة التي ذكرناها في آخر قسم النصوص، والتي خطب بها «عليه السلام»، وقد أرعبت معاوية، فاستشار ابن العاص، فأشار عليه برفع المصاحف، مع أن هذه الخطبة لا تزيد على ثلاثة أسطر.

ولكنها تضمنت الإلماح إلى الأمور التالية:

1 - إنه وضع الواقع الراهن في تلك اللحظة أمام أعين الناس، ووصف لهم حال القاسطين، بأنه لم يبق منهم إلا آخر نفس، ولولا أن القاسطين كانوا يعرفون صدق هذا الكلام لما رفعوا المصاحف بعده

بساعات قليلة.

2 - إنه «عليه السلام» بيَّن لهم: أنه إذا كانت هذه هي البداية، فإن النهاية تصبح معروفة، إذ يستدل على الأمور بنظائرها، وأشباهها..

3 - وذلك يدل على أن الحسم لم يعد بعيداً، ولم يعد بحاجة إلى كبير عناء، فقد انقضى الكثير، وبقي أقل القليل الذي يحتاجون فيه إلى بعض الصبر.

4 - إن أهل الحق لا يعذرون في تضييعهم لهذه الفرصة، فإنه إذا كان القاسطون قد صبروا على الشدائد من أجل دنيا زائلة، وليس لديهم أي مشاعر دينية تدفعهم، أو تمنعهم، فأهل الحق الذين لديهم الدافع والوازع الديني أحرى بأن يصبروا على ما هو أشد وأعظم. فكيف، وقد سهل الأمر، وظهرت بشائر النصر؟!

وكيف لا يتحملون بعضاً من تلك الشدائد، وهم يعلمون أن العاقبة هي الروح والريحان، ونيل رضى الرحمان، والخلود في الجنان؟!

هذا.. وقد بلغ خبر هذه الخطبة لمعاوية، فطلب من عمرو بن العاص أن يشير عليه فيما يفعل. فأشار عليه باستعمال المكر والحيلة من خلال رفع المصاحف، لكي يوقع الخلاف بين أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»..

اعترافات ابن العاص:

وقد استند عمرو بن العاص في مشورته تلك على الأمور التالية:

أولاً: إن معاوية ليس مثل علي «عليه السلام».

فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي

ثانياً: إن رجال معاوية لا يقومون لرجال أمير المؤمنين «عليه السلام».

ثالثاً: إن الحرب ستكون على خلاف مراد معاوية، لأن معاوية ومن معه يريدون البقاء، فلا يخاطرون بأنفسهم، ولا يحاربون بجدية، ولا يثبتون حين تحق الحقائق.

أما علي «عليه السلام» وكثير من أصحابه، فهم يقدمون على الموت والقتل، لأنه بالنسبة إليهم فوز وفلاح، ونصر ونجاح.

رابعاً: لو سلمنا: أن بامكان معاوية أن يخوض حرباً، فإنه سيكون في مأزق، سواء انتصر، أو انكسر، إذ:

ألف: في صورة انتصار معاوية، فإن أهل العراق يخافون من ظلم معاوية لهم، وانتقامه منهم.

ب: في صورة انكسار معاوية وظفر علي «عليه السلام» بأهل الشام، فإن أهل الشام لا يخافون من علي «عليه السلام» أن ينتقم منهم، أو أن يظلمهم.

فرهان معاوية على الحرب ونتائجها سيكون خاسراً حتماً.

الفصل الخامس:

أمطرت السماء دماً..

السماء تمطر دماً ليلة الهرير:

وروى إبراهيم [بن ديزيل]، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ربيعة بن لقيط، قال: شهدنا صفين، فمطرت السماء علينا دماً عبيطاً.

قال: وفي حديث الليث بن سعد: إن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآنية.

وفي حديث ابن لهيعة: حتى أن الصحاف والآنية، لتمتلئ، ونهريقها.

[قال إبراهيم: وروى عبد الرحمان بن زياد، عن الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عمن حدثه ممن حضر صفين: أنهم مطروا دماً عبيطاً، فتلقاه الناس بالقصاع والآنية].

وذلك في يوم الهرير.

وفزع أهل الشام، وهموا أن يتفرقوا،

فقام عمرو بن العاص فيهم، فقال: أيها الناس إنما هذه آية من

آيات الله، فأصلح أمرؤ ما بينه وبين الله، ثم لا عليه أن ينتطح هذا الجبلان، فأخذوا في القتال.

وعن ابن عباس، قال: حدثني معاوية: أنه كان يومئذ قد قُرِّب إليه فرس له أنثى، بعيدة البطن من الأرض، ليهرب عليها، حتى أتاه آت من أهل العراق، فقال له: إني قد تركت أصحاب علي «عليه السلام» في مثل ليلة الصَّدَرِ من منى، فأقمت.

قال: فقلنا له: فأخبرنا من هو ذلك الرجل؟!

فأبى، وقال: لا أخبركم من هو[1].

ونقول:

لماذا فرس أنثى؟!

أما بالنسبة لحديث ابن عباس عن أن معاوية كان قد جعل بالقرب منه فرساً أنثى بعيدة البطن من الأرض، ليهرب عليها. فلأن هذا النوع من الخيل، هو الأسرع، وهو الذي يتوقع الهارب النجاة عليه من عدوه..

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج32 ص535 - 537 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي (شرح الخطبة رقم 35) ج2 ص224 و 225. وراجع: شرح الأخبار ج2 ص58 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص727.

هل هو الأشعث؟!:

وذكر أيضاً: أن الذي حجزه عن الهرب هو أن أحد أهل العراق جاءه، وأخبره أن أصحاب علي «عليه السلام»، هم الذين شرعوا بالفرار.

وهذا كذب ظاهر، وهو يدل على أن بين أهل العراق من يرى أن من مصلحته عدم فرار معاوية، فأراد أن يمنعه من الفرار بهذه الكذبة الظاهرة.

ويحق لنا أن نظن: أن ثمة من احتال على معاوية ليمنعه من الفرار.. وأن معاوية كان يتستر على ذلك الرجل، ويمتنع عن التصريح باسمه.

ويبدو لنا: أنه من المعروفين، وأن معاوية كان مهتماً بحفظ سره، وصيانة موقعه ومقامه.. وربما جاز لأحد أن يظن: أن ذلك الرجل هو الأشعث، مثلاً.. أو أنه شخص غيره ممن هم على شاكلته، فإن الأشعث من بين أصحاب علي «عليه السلام» الأكثر اهتماماً بحفظ موقع معاوية، وإيصاله إلى أهدافه. وقد رأينا طرفاً من جهوده التي أظهرت أنه مستميت في هذا السبيل..

ابن العاص يخدع نفسه وأصحابه:

ويلاحظ هنا أيضاً ما يلي:

1 - أن حديث أن السماء مطرت في صفين دماً سنده معتبر عند

أهل السنة.

2 ـ لا شك في أن عمرو بن العاص حين رأى أن السماء تمطر دماً، قد عرف أنها آية لهم، تنذرهم عذاباً أليماً ينتظر الباغي والعاصي لله من الفريقين.

وكان عمرو يعرف من هو العاصي والظالم، ومن هو المظلوم، وهو يصرح بأنه قد باع دينه لمعاوية. وقد مر معنا: أنه قد أقر على نفسه وعلى معاوية بأنهم ظالمون ومبطلون، وأن علياً «عليه السلام» هو المحق.

3 ـ لقد صدق عمرو حين قال لأهل الشام: إن هذه آية من آيات الله جاءت لتذكرهم به تعالى، وتدعوهم إلى مراقبته، والإلتزام بأوامره، وعدم مخالفته فيما نهى عنه..

وصدق أيضاً في قوله لهم: إن المهم هو أن يصلح المرء ما بينه وبين الله تعالى، ثم لا يبالي ماذا يحصل بعد ذلك..

ولكنه غش نفسه وغشهم حين أوحى لهم بأنه هو وإياهم على حق. وقد أصلحوا ما بينهم وبين الله، بل كان هذا أعظم غش، وأكبر الإثم، لأنهم إنما يحاربون الله ورسوله، بحربهم لإمامهم، الذي أمرهم الله ورسوله بطاعته، ونصرته، وأمرهم بحفظ الدين والحق والإيمان، بدلاً من تضييع ذلك. وأمرهم بالكف عن دماء المسلمين والمؤمنين بدلاً من سفكها.

أفعجبتم أن مطرت السماء دماً؟!:

ثم إن إمطار السماء دماً، وكذلك بكاءها على الحسين «عليه السلام» ليس أمراً غريباً، ولا عجيباً.. ولكن العجيب هو أن لا تردع هذه الآية المتمردين على الله، والعاصين لأوامره عما هم فيه.. فهم متفردون في إصرارهم على باطلهم حتى مع رؤية أمثال هذه الآيات، إذ إن التاريخ لم ير نظيراً لهم في الجبارية والتمرد على الله تعالى. والتحدي لإرادته..

وقد يجوز لنا أن نظن: أنهم أعظم ذنباً، وأكثر جرأة على الله من النمرود وفرعون، وسائر الجبابرة، فلعل أمثال فرعون لا يصرون على هذا التحدي. بل نتوقع منهم التراجع، ولو لفترة وجيزة .. إلى أن ترتفع الآية التي رأوها، ويتباعد زمانها عنهم، وتغيب عن حسهم القريب.. ثم يعودون للتحدي والعناد، وممارسة الظلم للعباد، والفساد في البلاد..

ولكن هؤلاء واصلوا بغيهم تحت وابل المطر الأحمر، وهم يدعون أنهم يوحدون الله، ويقولون: لا إله ألا الله، والله أكبر..

ونظن أن سبب ذلك هو ما طرق سمعهم من أن هذه الأمة في مأمن من نزول عذاب الاستئصال عليها، وأن هذه الآية ونظائرها تهدف إلى مجرد التخويف على قاعدة: (**وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآَيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا**

نُرْسِلُ بِالْآَيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا)(1).

ولكن هذه الأمة ليست في مأمن من سائر أنواع العذاب الأخرى. كإلقاء بأسهم بينهم، والإبتلاء بالفتن، وبغير ذلك من آفات اجتماعية وأخلافية.. وابتلاءات بالظالمين والمفسدين، وغير ذلك..

شواهد ونظائر:

وليس هذا الحدث، وهو أن تمطر السماء دماً بالحدث اليتيم في التاريخ، فله نظائر وشواهد ومؤيدات في التاريخ البشري..

ومن هذه الشواهد، نذكر ما يلي:

ألف: إننا قبل كل شيء نشير إلى أن الله تعالى يقول: **(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)**(2).

وهذا يفسر لنا الأحاديث التي ذكرت أن السماء قد بكت على الإمام الحسين «عليه السلام» حين استشهد، وهي كثيرة جداً، ويمكن مراجعتها في مصادرها.

ب: لقد أمطرت السماء ثلاثة أيام دماً حين قتل أمير المؤمنين

---

(1) الآية 59 من سورة الإسراء.

(2) الآية 29 من سورة الدخان.

«عليه السلام»[1].

ج: ما جرى حين استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنه ما رفع حجر في بيت المقدس، وفي إيليا.. إلا وجد تحته دم عبيط[2] حتى طلع الفجر.

وكذلك الليلة التي فقد فيها هارون أخو موسى صلوات الله عليهما..

---

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص170 وبحار الأنوار ج42 ص308 ومدينة المعاجز ج3 ص68 و 69.

(2) راجع على سبيل المثال: المستدرك للحاكم، وتلخيصه للذهبي (مطبوع معه) ج3 ص113 و 144 والمناقب للخوارزمي ص270 وذخائر العقبى ص115 ونظم درر السمطين ص118 و 149 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص637 و (ط النجف ص122) والخصائص الكبرى للسيوطي ج2 ص124 (ط حيدر آباد الدكن) والأنس الجليل، وينابيع المودة (ط اسلامبول) ص220 و (ط دار الأسوة) ج3 ص43 ونور الأبصار ص100 وأرجح المطالب (ط لاهور) ص656 وفرائد السمطين، وكامل الزيارات ص159 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص170 ومدينة المعاجز ج3 ص69 وبحار الأنوار ج42 ص308 و 309 وج45 ص203 و 204 وج46 ص306 عن المناقب، وعن أربعين الخطيب، وتاريخ الفسوي، والعوالم، الإمام الحسين ص473 وشجرة طوبى ج2 ص391 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص345 وقصص الأنبياء للراوندي ص146 وقصص الأنبياء للجزائري ص473.

وكذلك الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون.

وكذلك كانت الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم «عليه السلام».

وكذلك الليلة التي قتل فيها الحسين «عليه السلام»[1].

وقد روي: أن الإمام الباقر «عليه السلام» قد قال هذا.

وأضاف في نص آخر: الليلة التي قتل فيها شمعون بن حمون الصفا، وهي الرواية التي تقول: إن هذا السؤال والجواب جرى بين الإمام الباقر «عليه السلام» وهشام بن عبد الملك[2].

د: وقد روي أن عبد الملك بن مروان سأل الإمام الباقر «عليه السلام»، وكان الإمام الصادق «عليه السلام» معه: عن أن الأمة إذا قتلت إمامها أي عبرة يريهم الله في ذلك اليوم؟!

فقال «عليه السلام»: إن كان كذلك لا يرفعون حجراً إلا ويرون تحته دماً عبيطاً.

فقال له عبد الملك: صدقت، إن في اليوم الذي قتل فيه أبوك علي

---

(1) بحار الأنوار ج42 ص302 وج46 ص316 وج13 ص368 وج14 ص336 وج45 ص203 و 204 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص345.

(2) بحار الأنوار ج45 ص203 و 204 وج46 ص316 والعوالم، الإمام الحسين ج17 ص473 وكامل الزيارات ص75 و 76 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1417هـ) ص158 و 159 ومدينة المعاجز ج4 ص184 و 185.

بن أبي طالب «عليه السلام» كان على باب أبي مروان حجر عظيم، فأمر أن يرفعوه، فراينا تحته دماً عبيطاً يغلي.

وكان لي أيضاً حوض كبير في بستاني، وكان حافتاه حجارة سوداء، فأمرت أن ترفع ويوضع مكانها حجارة بيض، وكان ذلك اليوم قتل الحسين «عليه السلام»، فرأيت دماً عبيطاً يغلي تحتها(1).

هـ: وقد روي: أنه لم تبك السماء إلا على اثنين: يحيى بن زكريا، والحسين «عليه السلام». وبكاء السماء أن تحمر وتصير وردة كالدهان(2).

---

(1) الخرائج والجرائح ج1 ص292 و 293 وبحار الأنوار ج10 ص153 ومدينة المعاجز (ط حجرية) ص351 و (ط سنة 1415 هـ) ج5 ص183 و 184 وأشار إليه في إثبات الهداة ج5 ص292.

(2) راجع: ينابيع المودة ص322 وسير أعلام النبلاء (ط مصر) ج3 ص210 وكفاية الطالب ص289 والصواعق المحرقة ص192 وعن منتخب تاريخ دمشق (ط روضة الشام) ج4 ص339 وتذكرة الخواص (ط النجف) ص283 وتفسير القرآن العظيم (ط بولاق مصر) ج9 ص162 والعوالم، الإمام الحسين ج17 ص460 و 464 و 465 ونظم درر السمطين ص220 ونور الأبصار ص123 وتفسير القمي ج2 ص291 وقرب الإسناد ص66 و 48 وبحار الأنوار ج45 ص201 - 219 وعلل الشرائع ج1 ص217 والأمالي للصدوق ص189 المجلس27 الحديث رقم 1 وكامل الزيارات ص88 والباب 28 ص89 و 91 و 93 و 89 و 90 و 92 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص181 و 184 و 186 والدر

و: وقد مطرت السماء دماً يوم قتل الحسين «عليه السلام»، فأصبحنا وكل شيء لنا ملء دماً (وكان ذلك) (بخراسان، والشام) والكوفة والبصرة(1).

المنثور ج6 ص31.

(1) ينابيع المودة (ط إسلامبول) ص356 و 220 ومقتل الحسين «عليه السلام» ص89 وذخائر العقبى ص144 و 145 و 150 وعن ابن بنت منيع وفي منتخب تاريخ دمشق (ط روضة الشام) ج4 ص339 والصواعق المحرقة ص192 و 116 والخصائص الكبرى ص126 وتاريخ الإسلام للذهبي (ط مصر) ج2 ص349 ونور الأبصار ص123 والإتحاف بحب الأشراق ص12 ونظم درر السمطين ص220 و 222 وتذكرة الخواص (ط النجف) ص284 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص212 وج4 ص54 وكامل الزيارات ص76 و 77 و 90 وبحار الأنوار ج45 ص204 و 206 و 202 و 211 و 215 و 216 و 315 و 218 و 217 وعن الطرائف ص203 عن الثعلبي، وعن الأمالي للطوسي، والأمالي للصدوق المجلس 24 حديث رقم 3 ص178 و 192 (ط مؤسسة البعثة) وشرح الأخبار ج3 ص166 والثقات ج5 ص487 وإعلام الورى ج1 ص431 والطبقات الكبرى لابن سعد ترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» (المطبوع على حدة) ص90 و 91 ومجلة تراثنا عدد 10 ص199 ودلائل النبوة للبيهقي ج6 ص471 وسير أعلام النبلاء ج3 ص312 وتاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» (بتحقيق المحمودي) ص244 و (ط أخرى) ص356 و 357 ومثير الأحزان لابن نما ص82 عن البلاذري، والعوالم ج17 ص456 و 466 و

ز: وقد صرحت زينب «عليها السلام» بذلك أمام يزيد فقالت: «أفعجبتم أن مطرت السماء دماً»؟![1].

ح: وما كشف أو رفع حجر يوم قتل الحسين «عليه السلام» لا بـ: (بيت المقدس)، ولا بـ: (الشام) إلا ووجد تحته دم عبيط[2].

---

467 و 468 و 469 و 499 وعلل الشرائع ج1 ص227 وتاريخ مدينة دمشق ج14 ص227 و 229 وتهذيب الكمال ج6 ص433 - 435.

(1) راجع: العوالم (الإمام الحسين «عليه السلام») ج17 ص378 وج16 ص372 واللهوف ص86 والأمالي للمفيد ص323 والأمالي للطوسي ص93 وبلاغات النساء ص24 وبحار الأنوار ج45 ص109 و 165 وتاريخ الكوفة للبراقي ص294 وأعيان الشيعة ج3 ص485 ومطالب السؤول لابن طلحة ص221 وينابيع المودة ج3 ص102 وغاية المرام ج4 ص375 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص461 وقاموس الرجال ج12 ص269 ومواقف الشيعة ج2 ص97 ولواعج الأشجان للأمين ص201.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي ص16 حوادث سنة 61 هـ. و (ط مصر) ج2 ص349 و 348 وينابيع المودة ص356 و (ط إسلامبول) ص320 و 321 و (ط دار الأسوة) ج3 ص20 وكفاية الطالب ص295 و 294 والصواعق المحرقة ص116 و 192 والإتحاف ص12 وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص215 وتفسير ابن كثير (مطبوع بهامش فتح البيان) ج9 ص162 وذخائر العقبى ص145 والأنس الجليل (ط القاهرة) ص252 وتهذيب التهذيب ج2 ص353 وسير أعلام النبلاء

وأما خصوصية بيت المقدس، حيث إنه لم يرفع حجر فيه إلا وكان تحته دم عبيط، لأن بيت المقدس هو مركز الديانات الكبرى في العالم، فهو قبلة المسلمين الأولى، وفيه قبلة اليهود القديمة، وهي الصخرة، وفيه كنيسة القيامة.

البريطانيون يثبتون هذه الحادثة:

ومن الأمور التي لم تكن لتخطر لنا على بال: أن يكون لهذه الحادثة ما يثبتها، ويؤكد حصولها في التاريخ المدون لدى الأمم الأخرى، فقد أمر الملك «ألفرد الكبير» بكتابة الأحداث التاريخية، وقد

ج3 ص314 والعقد الفريد (ط الشرقية) ج2 ص220 والخصائص الكبرى ج2 ص126 ومجمع الزوائد ج9 ص196 وتاريخ الخلفاء (ط الميمنية) ص80 ونور الأبصار ص123 ومقتل الحسين للخوارزمي ج2 ص89 و 90 وتذكرة الخواص (ط النجف) ص284 ونظم درر السمطين ص220 و 221 وبحار الأنوار ج45 ص204 و 205 و 216 و 215 وكامل الزيارات ص75 و 76 و 77 و 92 و 93 وإعلام الورى ج1 ص430 ودلائل النبوة للبيهقي ج6 ص471 والمعجم الكبير ج3 ص127 والطبقات الكبرى لابن سعد (ترجمة الإمام الحسين«عليه السلام») ص90 و 91 ومثير الأحزان لابن نما ص82 عن البلاذري وغيره، والعوالم ج17 ص456 و 466 و 472 و 473 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص212 وتاريخ مدينة دمشق ج14 ص226 و 229 و 230 وبغية الطلب ج6 ص2636 وتهذيب الكمال ج6 ص433 - 435.

جمعت هذه الأحداث في كتاب باسم: «إنكلو ساكسون كرونيكال».

وقد نشرت جامعة فيينا ـ النمسا ـ دراسة حول الكتاب المذكور للدكتورة مانويلا ماير (دكتوراه في الفلسفة) بإشراف: الدكتور أنطون شيرر.

أشارت فيه إلى أن هذا الكتاب قد تم بحثه وتمحيضه من قبل عدد كبير من العلماء والمؤرخين، وقالت: إنه قد تم اعتماد هذا الكتاب كمرجع تاريخي لكثير من الكتب التي تتناول تلك الحقبة من تاريخ بريطانيا، ولا يوجد أدنى شك بصحته، ولم يقل أحد بوجود دس أو اختلاق في هذا التاريخ.

ولكن أكثر ما عاب هذا الكتاب من قبل بعض الباحثين هو تركيزه على بعض الأحداث والإضاءة عليها، وإخفاؤه للبعض الآخر، والتعمية عليها، وكأنها لم تكن.

وقد أرجع الباحثون هذه الظاهرة إلى أن الكتاب إنما أُلِّف بأمر مباشر من الملك «ألفرد الكبير» الذي عاش بين سنة 849 ـ 899 م.

وقد تناول الكتاب الأحداث التي مرت على بريطانيا من ولادة المسيح إلى سنة 1154 م.

ومما عابه الباحثون عليه أيضاً: أن الكتاب لم يتطرق إلى الأحداث خارج بريطانيا.

أما الكتَّاب فهم مجموعة من الكهنة الذين تعاقبوا على كتابته، باعتبار أن التعلم والقراءة والكتابة كانت ممنوعة، بل ومحرمة على

العامة في ذلك الوقت. لذلك لا نجد اسماً لمؤلف الكتاب، باعتبار أن كتابته استمرت زهاء 300 سنة، وقد تعاقب عليه أكثر من مؤلف.

ومن الباحثين الذين تناولوا الكتاب على سبيل المثال لا الحصر:

ـ دافيد دوغلاس، وجورج غرين واي. وقد ألفا كتاباً اسمه: الوثائق التاريخية لبريطانيا. طبعة لندن 1968م ـ الطبعة السابعة.

ـ أ. لوتس: معجم القرون الوسطى ـ مدينة ميونخ 2003م

ـ ستين كورنر: المعارك بين أوربا وبريطانيا ـ دار غليروب 1964م مدينة لوند.

إجمالاً لقد بقي 8 مخطوطات أصلية من هذا الكتاب، وقد سماها العلماء بالأحرف الأبجدية من A إلى H لكي يتم التمييز بينها.

في النسخة A أو نسخة «باركر» كما يسميها البعض أيضاً، فإن مؤرخ الحقبة من ميلاد المسيح وحتى سنة 900م هو شخص واحد. بينما تعاقب على تاريخ الحقبة من 900 إلى 1000 حوالي 5 كهنة.

وهنا لمحة عن النسخ وأماكن حفظها:

1 ـ نسخة «باركر» جامعة كمبريدج.

2 ـ نسخة «آبينغدون» الأولى في المتحف الإنكليزي.

3 ـ نسخة «آبينغدون» الثانية في المتحف الإنكليزي.

4 ـ نسخة «وينشستر».

5 ـ نسخة «بيتربورغ» جامعة أكسفورد.

وقد ورد في هذا الكتاب «أنكلو ساكسون» ما يلي:

«في سنة 685 ميلادية أمطرت السماء دماً في بريطانيا، وعاد الحليب والزبد دماً..».

نصوص أخرى تدل وتؤيد:

وعند التدقيق في حساب السنين ننتهي إلى أن تاريخ هذا الحدث يتوافق مع يوم استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» في العاشر من محرم سنة 61 للهجرة النبوية الشريفة.

وما يعتبرونه مانعاً من صحة هذا القول لا يصلح للمانعية.

وتوضيح ذلك: أن خلاصة الإشكال هنا هي كما يلي: أننا نعيش الآن في سنة 2012 لميلاد المسيح «عليه السلام» حسب التاريخ المتداول، وهم يدعون: أن عام الفيل الذي ولد فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصادف سنة 571 للميلاد.

وادعى بعض هؤلاء: أنه «صلى الله عليه وآله» ولد سنة 569 للميلاد. وادعاؤه هذا لا مبرر له بحسب ما عند هؤلاء. ولذا فلا حاجة إلى التوقف عنده.

ثم يدَّعون: أن استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» في يوم عاشوراء يصادف سنة 680 أو 681 ميلادية[1]، وليس سنة 685.

---

(1) تاريخ دول الإسلام تأليف رزق الله منقريوس الصرفي ج1 ص9 والوفيات لابن الخطيب ص74.

فكيف يصح القول: بأن حادثة إمطار الدم في بريطانيا التي كانت سنة 685 قد كانت في نفس يوم استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام»؟!

ونجيب:

إن هذا التطابق بين ما جرى يوم عاشوراء، من إمطار السماء دماً، وبين إمطارها دماً في بريطانيا سنة 685 ميلادية، مما لا شك فيه، ونوضحه كما يلي:

صرح الأب القديس غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري المتوفى سنة 685 هجرية، وهو عند المسيحيين من العلماء المرموقين: بأن ولادة عيسى «عليه السلام» كانت سنة 309 من تاريخ وفاة الإسكندر أيضاً(1).

ثم جرت محاولة صلبه «عليه السلام»، فرفعه الله تعالى إليه في 23 آذار في يوم الجمعة سنة 342 من تاريخ الإسكندر(2).

ومن المعلوم: أن ولادة النبي الأعظم محمد «صلى الله عليه وآله» قد كانت سنة 882 من تاريخ الإسكندر أيضاً(3).

---

(1) تاريخ مختصر الدول ص 65.

(2) تاريخ مختصر الدول ص66 و 67.

(3) تاريخ الخميس ج1 ص198 وراجع: البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج2 ص320 والسيرة النبوية لابن كثير ج1 ص201 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص4 وجامع الأصول لابن الأثير 12 /89 ومروج الذهب.

وأما قول الملطي: إنها كانت سنة 892 من تاريخ الإسكندر(1)، فالظاهر: أنه وقع منه سهواً، أو من نُسَّاخ كتابه.

ولكن المتأخرين من المسيحيين يخالفون المتقدمين منهم في تاريخ ولادة المسيح «عليه السلام» ويقولون: إن ولادته كانت في سنة 311 من تاريخ الإسكندر، لا في سنة 309.

فقول المتأخرين: بأن ولادة النبي كانت سنة 571 أو 570 أو 569 قد جرى فيه هؤلاء على حسب رأيهم في تاريخ ولادة المسيح..

والذي ورد في موسوعة «الإنكلوساكسون»، عن أن السماء قد مطرت دماً سنة 685 قد جاء وفق رأي المتقدمين في أن ميلاد المسيح «عليه السلام» كان سنة 309.

فالنبي «صلى الله عليه وآله» قد ولد على قول المتقدمين في سنة 573 فإذا أضيفت السنوات إلى حين استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» سنة 61 في يوم عاشوراء، وهي مئة وأربع عشرة سنة قمرية تعادل مئة وأحد عشر سنة شمسية إلا ثلاثة أشهر تقريباً.. فإن المجموع يعادل سنة 684 ميلادية شمسية، فلا يبقى فرق سوى سنة واحدة بعد تحويل السنوات القمرية إلى شمسية.

وبعد ملاحظة وجود قول: بأنه «عليه السلام» إستشهد سنة 681 ميلادية أو ملاحظة وجود تصرفات ومسامحات وتنقيص وإضافات

---

(1) تاريخ مختصر الدول ص94.

في تاريخ ميلاد المسيح «عليه السلام»، واختلاف بين كونه في 25 كانون الأول، أو بعده بأيام، أو بأشهر. واختلاف المتقدمين والمتأخرين في ذلك. كما أن هذه السنة تتلاشى لعدم إمكان الجزم واليقين بالتوفيق الدقيق بين التقويم القمري، وبين التقويم الشمسي، لأن من الصعب جداً تحديد توافقات الشهور القمرية مع الشمسية، وتوافق الأيام وتواريخها، فقد يكون شهر نيسان متوافقاً مع ربيع الأول، وقد يتوافق مع شهر رجب، أو محرم تارة، وتارة يوافق اليوم الأخير من هذا مع اليوم الخامس من ذلك. وقد يكون العكس. وقد يوافق أول السنة، أو آخرها، أو وسطها..

بل نحن نعلم بوجود خلل في التاريخ التطبيقي بين التاريخين.. فإننا نعلم: أن استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» قد حصل يوم عاشوراء في أيام الحر الشديد، أي في أيام الصيف، مع أن التاريخ التطبيقي المتداول يقول: إن يوم عاشوراء يقع في اليوم التاسع من الشهر العاشر من سنة 680 ميلادية.. وهذا اليوم من أيام الخريف، لا من أيام الصيف.

ونشير هنا: إلى أن التاريخ الميلادي تاريخ مستحدث، حتى أن الأب غريغوريوس الملطي، وهو الذي عاش في القرن السابع لم يؤرخ به في كتابه، بل أرَّخ بتاريخ الإسكندر.

ثم إنه حين شرعوا بالتأريخ الميلادي استبدل البعض تاريخ الإسكندر بالتاريخ الميلادي.

إمطار الدم تكرر كثيراً:

وبعد.. فإن الأمر لا ينحصر بهذا الذي ذكرناه، بل لدينا العديد من الشواهد والدلائل على تكرر حصول ذلك عبر التاريخ..

ونقدم للقارئ الكريم باقة صغيرة مما أوردته الوسائل الإعلامية العامة، كالجرائد والمجلات، ومواقع الإنترنت حول حدوث هذا الأمر في كثير من بقاع الأرض.. وقبل عرضها للقارئ الكريم نلفت نظره إلى أمور سيراها وسيلاحظها فيها، وهي التالية:

1 - إن هذه الحوادث قد تكررت في بقاع مختلفة، ومتباينة، ومتباعدة في هذا العالم.

2 - سيرى أنها كانت تثير الذعر والخوف الشديد بين الناس..

3 - سيرى أن بعضهم كان يرى أنها نذير شؤم، وبعضهم كان يرى أنها تحذير إلهي للناس بسبب ذنوبهم.. ومنهم من اعتقد أنها عقوبات إلهية على تلك الذنوب. وهناك من اعتقدوا أنها دماء أبنائهم الذين قتلوا في الحرب.

4 - إن هناك محاولات لتفسير هذه الظاهرة بتفسيرات تبعدها عن أن تكون فعلاً إلهياً تحذيرياً، ويجنح إلى تفسيرات مادية، فهناك من يدعي أن هناك طحالب ذات بويضة واحدة تتكاثر في الأمطار، فتتلون بها المياه باللون الأحمر.

وذهب آخر إلى أنها جزيئات من الحديد والنحاس المؤكسد، توجد في ذرات الرمل التي تجلبها الرياح والعواصف من الصحراء..

5 ـ قد تم أخذ عينات من هذا المطر الأحمر، وتم تحليلها في المختبرات، فتبين أنها تحتوي على دماء.

6 ـ إن هذه الحوادث قد سجلت في التواريخ والمعاجم على أنها حقائق واقعية، ولم تعد أموراً تعد في جملة التوهمات أو الخرافات..

نماذج مختارة:

ومهما يكن من أمر، فقد اخترنا للقارئ الكريم نماذج من إمطار السماء دماً، نذكرها له فيما يلي:

1 ـ ذكر راديو وتلفزيون الوسط الألماني ما يلي:

«في مدينة لايبزيغ الألمانية أمطرت السماء في 8 حزيران 1553 سائلاً أحمراً تزايد سقوطه مع الوقت.

في نهاية المطاف التصق هذا السائل الأحمر الذي تبين أنه دم على كل شيء في المحيط.

هذا الحدث يعرف في الأوساط الألمانية بحادثة مطر السماء دماً في لايبزيغ، وقد دخل التواريخ والمعاجم تحت هذا العنوان.

لكن هل كان هذا السائل النازل من السماء دماً؟!

أهل المدينة اعتقدوا في وقتها: أن هذا الدم هو عقاب إلهي على ذنوبهم، واعتقدوا: أن الدم النازل هو دماء أبنائهم الذين سقطوا في المعارك.

بعد مئة عام على هذه الحادثة، أي سنة 1653 أمطرت السماء

دماً مجدداً في المدينة، عندها قام الرهبان بتخزين كمية من المطر في كوب من الماء حتى الصباح.

وعند الصباح كان السائل قد انقسم إلى نصفين: سائل أحمر مركز في الأسفل، وماء يطفو فوقه»(1).

2 - ذكر في معجم العصور الأوروبية الوسطى: أن إمطار السماء دماً:

«ظاهرة متكررة في التاريخ كان ينظر إليها على أنها نذير شؤم، وكانت تؤدي إلى انتشار الذعر الهستيري.

إن تلون المطر باللون الأحمر يرجع إلى وجود جزيئات من الحديد والنحاس المؤكسد في ذرات الرمل، التي كانت تجلبها الرياح والعواصف من الصحراء على أوروبا الشرقية، حيث كانت تختلط بمياه الأمطار النازلة وتؤدي إلى احمرارها.

3 - في سنة 541 ميلادية أمطرت دماً في منطقة (فرنسا - بلجيكا - غرب ألمانيا - وشمال إيطاليا).

إن أول حالة سجلت في ألمانيا كانت سنة 640 ميلادية.

في شمال إيطاليا أمطرت دماً سنة 1141 ميلادية.

في بريطانيا سنة 1165 ميلادية.

في جنوب ألمانيا والنمسا سنة 1349 ميلادية.

---

(1) راديو وتلفزيون الوسط الألماني.

هذه التواريخ هي عينة فقط من الحوادث الكثيرة التي حصلت، والتي تركت آثارها في وجدان وذاكرة التاريخ»[1].

4 ـ نشرت مجلة كرونة النمساوية مقالة تحت عنوان «لقد كان الله»:

«في قرية صغيرة في كولومبيا يعتقد السكان أن الله قد أمطر السماء دماً.

هذه القرية الواقعة في الشمال العربي في كولومبيا واسمها: لا سييررا تعرضت لظاهرة غريبة، وهي إمطار السماء دماً بحسب رأي كاهن البلدة الأب جوني ميلتون كوردوبا، وقد تم تحليل المطر النازل من السماء، ويا للعجب! فإن السائل يحتوي على دماء.

الكاهن المذكور لم يكن في البلدة عند هطول هذا المطر. لكن السكان الذين جمعوا هذا السائل وأرسلوه إلى مختبر بكتيريا فوجئوا عندما أتاهم التأكيد أن السائل يحتوي على دماء»[2].

5 ـ موقع ويكيبيديا يحاول أن يفسر موضوع إمطار الدم علمياً، فيقول: «إن هناك طحالب ذات بويضة واحدة تتكاثر في مياه الأمطار النازلة، فيؤدي تكاثرها إلى تلون المياه باللون

---

(1) معجم العصور الأوروبية الوسطى.

(2) مقالة تحت عنوان: «لقد كان الله» في مجلة كرونة النمساوية سنة 2003 ميلادية.

الأحمر مما يظنه الناس دماً.

أيضاً: إن وجود رمال صحراوية في مياه الأمطار يؤدي إلى تلونها باللون الأحمر»[1].

ابن الجوزي يفسر هذه الظاهرة:

ونختم كلامنا هنا بما نقله سبط ابن الجوزي عن أبي الفرج ابن الجوزي، فقد قال: «ذكر ابن سعد في الطبقات: أن هذه الحمرة لم تر في السماء قبل أن يقتل الحسين «عليه السلام»..»[2].

---

(1) موقع ويكيبيديا.

(2) راجع: ترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» (من طبقات ابن سعد) ص91 والمعجم الكبير ج3 ص114 و 113 وتاريخ مدينة دمشق ج14 ص358 و 359 وراجع ج39 ص493 والإرشاد للمفيد ج2 ص132 وأنساب الأشراف ج3 ص209 وينابيع المودة ج3 ص21 و 102 والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص83 وعن التذكرة لابن الجوزي (ط الغري) ص283. وراجع: ترجمة الإمام الحسين من تاريخ ابن عساكر ص359 وشرح الأخبار ج3 ص166 و 167 وكشف الغمة ج2 ص218 والعمدة لابن البطريق ص405 وغاية المرام ج4 ص375 ومثير الأحزان ص62 وإعلام الورى ج1 ص429 والطرائف لابن طاووس ص203 والدر النظيم ص567 ومدينة المعاجز ج4 ص154 وبحار الأنوار ج45 ص217 و 219 والعوالم، الإمام الحسين ص468 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص673 وتفسير الثعلبي ج8 ص353 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص472

قال جدي أبو الفرج في كتاب التبصرة:

«لما كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب، فيستدل بذلك على غضبه، وأنه أمارة السخط، والحق سبحانه وتعالى، ليس بجسم، فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين «عليه السلام» بحمرة الأفق. وذلك دليل على عظم الجناية.

وذكر جدي أيضاً في هذا الكتاب، وقال: لما أسر العباس يوم بدر سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنينه، فما نام تلك الليلة، فكيف لو سمع أنين الحسين «عليه السلام»؟!

قال: ولما أسلم وحشي قاتل حمزة، قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: غيب وجهك عني. فإني لا أحب من قتل الأحبة.

قال: هذا والإسلام يجب ما قبله، فكيف يقدر الرسول «صلى الله عليه وآله» أن يرى من ذبح الحسين «عليه السلام» وأمر بقتله، وحمل أهله على أقتاب الجمال»؟![1].

ثم ذكر أحاديث عديدة حول الكرامات التي أظهرها الله تعالى في السماء، وفي غيرها حين استشهد الإمام الحسين «عليه السلام»،

وج19 ص404 وج27 ص377 و 378 و 379 و 380.

(1) تذكرة الخواص ج2 ص229 - 231 ونظم درر السمطين ص222 وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج27 ص441 عن التبر المذاب ص95.

فراجع..

لماذا أمطرت دما؟!:

ولا شك في أن ما كان يجري في صفين من سعي لطمس دين الله، من قتل لخيار أصحب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومحاولات لقتل إمام المتقين وسيد الوصيين، ونفس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعه سبطاه وسيدا شباب أهل الجنة، كان جريمة هائلة تكاد السماوات والأرض يتفطرن لها، فلا غرو أن تمطر السماء دماً للدلالة على غضب الرحمن، فلعل أحداً يتذكر أو يخشى..

كما أن ذلك يعرِّف الأجيال القادمة بعظيم البلايا والمصائب، والرزايا والنوائب، التي تعرض لها أهل الحق، فيعرفون لهم حقهم، ولا يستهان بالجرائم التي ارتكبها أهل الباطل في حق الدين وأهله.. ويكون الناس على حذر من توليهم، ولا يأخذون دينهم منهم وعنهم.

الفصل السادس:

رفع المصاحف..

كتاب معاوية أثناء حرب صفين:

كتب معاوية في أثناء حرب صفين إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»:

من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب..

أما بعد.. فإن الله تعالى يقول في محكم كتابه: **(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)**[1].

وإني أحذرك الله أن تحبط عملك، وسابقتك بشق عصا هذه الأمة، وتفريق جماعتها، فاتق الله واذكر موقف القيامة، وأقلع عما أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين.

وإني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: لو تمالأ أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين، لأكبهم الله على مناخرهم في النار، فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين، وسادات المهاجرين؟!

---

(1) الآية 56 من سورة الزمر.

بله ما طحنت رحا حربه من أهل القرآن، وذوي العبادة والإيمان، من شيخ كبير، وشاب غرير، كلهم بالله تعالى مؤمن، وله مخلص، وبرسوله مقر عارف؟!

فإن كنت ـ أبا حسن ـ إنما تحارب على الإمرة والخلافة، فلعمري لو صحَّت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين، ولكنها لم تصح لك، وأنى بصحتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها، ولم يرتضوا بها.

فخف الله وسطواته، واتق بأس الله ونكاله، واغمد سيفك عن الناس، فقد والله أكلتهم الحرب، فلم يبق منهم إلا كالثمد في قرارة الغدير، والله المستعان.

جواب أمير المؤمنين ×:

فكتب علي «عليه السلام» إليه جواباً عن كتابه:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد.. فقد أتتني منك موعظة موصلة، ورسالة محبرة، نمقتها بضلالك، وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتبعه، فهجر لاغطاً، وضل خابطاً.

فأما أمرك لي بالتقوى، فأرجو أن أكون من أهلها، وأستعيذ بالله من أن أكون من الذين إذا أمروا بها أخذتهم العزة بالاثم.

وأما تحذيرك إياي أن يحبط عملي، وسابقتي في الاسلام، فلعمري لو كنت الباغي عليك، لكان لك أن تحذرني ذلك، ولكني وجدت الله تعالى يقول: **(فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ)**(1).

فنظرنا إلى الفئتين، [فأما الفئة] الباغية، فوجدناها الفئة التي أنت فيها، لأن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام، وكما لزمت يزيد أخاك بيعة عمر بالمدينة، وهو أمير لأبي بكر على الشام.

وأما شق عصا هذه الأمة، فأنا أحق أن أنهاك عنه.

فأما تخويفك لي من قتل أهل البغي، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمرني بقتالهم وقتلهم، وقال لأصحابه: إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، وأشار إلي، وأنا أولى من اتبع أمره.

وأما قولك: إن بيعتي لم تصح لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها، فإنما هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب، لا يستثنى فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار، [و] الخارج منها طاعن، والمروِّي فيها مداهن.

فأربع على ظلعك، وانزع سربال غيك، واترك ما لا جدوى له عليك، فإنه ليس لك عندي إلا السيف، حتى تفئ إلى أمر الله صاغراً،

(1) الآية 9 من سورة الحجرات.

وتدخل في البيعة راغماً، والسلام(1).

ونقول:

إن هذه الرسائل لا تحتاج إلى بيان، ولا إلى إقامة برهان. ونكتفي بالإشارة العابرة إلى ما يلي:

رمتني بدائها وانسلت:

إن من يقرأ رسالة معاوية إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» إن لم يكن يعرف مسار الأحداث، ولا يعرف أمير المؤمنين «عليه السلام» ولا معاوية، فسيظن أن معاوية هو الذي ينصح أمير المؤمنين «عليه السلام» ليرجع عن غيه، ويثوب إلى رشده، فإنه قلب الأمور، ونسب أعماله وأفعاله إلى من هو بريء منها، وصار البريء هو المذنب، والمذنب هو البريء.. وصدق رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين أخبر عن الزمان الذي سيأتي، ويصير فيه المنكر معروفاً، والمعروف منكراً..

والأغرب من ذلك:

أن يصير معاوية واعظاً لعلي بن أبي طالب.. بعد أن قلب الحقائق، ونسب إليه جرائمه التي ارتكبها هو، طالباً منه أن يتراجع

---

(1) بحار الأنوار ج33 ص80 - 82 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص42 - 43 ونهج السعادة ج4 ص260 - 264 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص162 - 165.

عنها!!

فهو ينسب إلى علي «عليه السلام»:

شق عصا المسلمين، وتفريق جماعتهم.

وينسب إليه الخوض في دماء المسلمين، وإسرافه في ذلك..

وينسب إليه قتل أعلام المسلمين، وسادات المهاجرين، وما طحنته رحا الحرب من أهل القرآن، وذوي العبادة والإيمان.. ومن شيخ كبير، وشاب غرير، مؤمن بالله، مخلص له، مؤمن برسوله، ومقر وعارف..

وينسب إليه أنه إنما يحارب على الإمرة والخلافة..

ثم هو يخوفه من الله، وسطوته ونكاله، ويأمره بتقوى الله، وأن يذكر موقف يوم القيامة، ويحذره من أن يحبط عمله وسابقته.

ويطلب منه أن يقلع عما أسرف فيه من سفك دماء المسلمين، وأن يغمد سيفه عن الناس..

ولسنا بحاجة إلى التأكيد على أن كل ما نسبه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» إنما كان من صنع يد معاوية نفسه، ومن تدبيره، وبغيه على أمير المؤمنين.

ونسبة ذلك إليه «عليه السلام» بغي آخر، وجرم جديد يثقل ميزان من ارتكب، ومن نسب ما ارتكبه إلى المظلوم الأكبر في هذه الأمة على قاعدة: رمتني بدائها وانسلت.

وأما نصائحه لأمير المؤمنين «عليه السلام»، فهي مبنية على هذه النسب الباطلة، فما أحراه، وهو المبتلي بهذه الأدواء أن يكون هو الذي يتجرع الدواء..

أهل الشام وعقد الخلافة:

وفي ظني أن سبب هذا الكتاب الذي كتبه معاوية إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» هو أنه توهم أنه اكتشف الإكسير الأكبر، الذي يحول المعادن الخسيسة إلى معادن شريفة. وهو عدم بيعة أهل الشام لعلي «عليه السلام» توجب الطعن في صحة خلافته «عليه السلام»..

وإذ به يسمع الأجوبة القاطعة، ومعها البراهين الساطعة، التي استخرجها «عليه السلام» من داخل بطن معاوية، وكانت جزءاً مما يتشبث به، ويعتمد عليه..

فإن بيعة عثمان في المدينة لزمت معاوية وهو بالشام حين كان أميراً عليها من قبل عمر، كما أن بيعة عمر وهو بالمدينة لزمت أخاه يزيد بن أبي سفيان، حين كان أميراً على الشام من قبل أبي بكر.

فكيف، وبماذا يجيب معاوية بعد هذا؟!

إلا إن كان يريد إنكار صحة خلافة عثمان الذي كان معاوية يحارب علياً «عليه السلام» بحجة الطلب بدمه، متهماً إيَّاه بالقعود عن نصرته، أو أن يدعي بطلان خلافة عمر الذي يتبجح هو ويفتخر على

الناس بأنه كان والياً له على الشام، ويتخذ من ذلك مدخلاً لإثبات أهليته، مع أن عمال عمر على البلاد كانوا كثيرين..

ومع أنه لو صح الإستدلال بالعمل لعمر، لكان الإستدلال بالعمل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أولى. كما أنه حسب منطق معاوية وحزبه يكون الإستدلال بالعمل لأبي بكر أولى أيضاً، لأن أبا بكر هو الذي أسس لعمر وعثمان..

وحسبنا ما ذكرناه، فإن رسالة أمير المؤمنين «عليه السلام»، قد أخذت معاوية من بين يديه ومن خلفه، وحاصرته بالحقائق الناصعة، والأدلة الدامغة، والبراهين الساطعة.. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

إرهاصات رفع المصاحف:

قال نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن الشعبى، عن صعصعة قال: قام الأشعث بن قيس الكندى ليلة الهرير في أصحابه من كندة فقال:

الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأستنصره وأستغفره، وأستخيره وأستهديه، [وأستشيره وأستشهد به]، فإنه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، «صلى الله عليه وآله».

ثم قال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا

الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط.

ألا فليبلغ الشاهد الغائب، أنا إن نحن تواقفنا غدا إنه لفناء العرب وضيعة الحرمات.

أما والله ما أقول هذه المقالة جزعا من الحتف، ولكني رجل مسن أخاف على [النساء و] الذرارى غدا إذا فنينا.

اللهم إنك تعلم أنى قد نظرت لقومي ولأهل دينى فلم آل، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والرأي يخطئ ويصيب، وإذا قضى الله أمرا أمضاه على ما أحب العباد أو كرهوا.

أقول قولى هذا وأستغفر الله [العظيم] لى ولكم.

قال صعصعة: فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم.

وإنما يبصر هذا ذووا الأحلام والنهى.

اربطوا المصاحف على أطراف القنا.

قال صعصعة: فثار أهل الشام فنادوا في سواد الليل: يا أهل العراق،

من لذرارينا إن قتلتمونا، ومن لذراريكم إن قتلناكم؟! الله الله في

البقية(1).

رفع المصاحف:

ويتابع ابن أعثم، فيقول:

قال: فقال معاوية لعمرو بن العاص: الله، ويحك أبا عبد الله! أين حيلك التي كنت أعرفها منك؟!

فقال عمرو: تريد ماذا؟!

قال: أريد أن تسكن هذه الحروب، فقد أبيد أهل الشام، وإني لأعلم إن دام هذا الحرب يومنا هذا لم يبق بأرض الشام أحد يحمل سلاحنا.

فقال عمرو: إن أحببت ذلك، فأمُر بالمصاحف أن ترفع على رؤوس الرماح، ثم ادعهم إليها، فإنك إن فعلت ذلك لم يقاتل أحد أحداً، فهذه حيلتي ومكيدتي، التي لم أزل أدخرها لك، فعجل برفع المصاحف.

قال: فلما سمعت أهل الشام ذلك قال بعضهم لبعض: صدق عمرو. وهذه حيلة ما سبقه إليها أحد.

قال: فأمر معاوية بالمصاحف، فرفعت على رؤوس الرماح.

(1) صفين للمنقري ص480 و 481 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص214 و 215 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص184 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص531.

وصاح أهل الشام: يا علي، يا علي! اتق الله، اتق الله! أنت وأصحابك في هذه البقية، هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

قال: ثم أتوا بالمصاحف، وبالمصحف الأعظم، وهو مصحف عثمان بن عفان، فربطوه على أربعة أرماح.

ثم رفعوه ونادوا: يا أهل العراق! هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فالله الله في البقية، والحرم، والذرية الصغار![1].

ويقول المنقري:

عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: سمعت تميم بن حِذْيَمٍ يقول: لما أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا، فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف معاوية، فلما أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح، وهي عظام مصاحف العسكر، وقد شدوا ثلاثة أرماح جميعاً، وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط.

وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبلوا علياً «عليه السلام» بمائة مصحف، ووضعوا في كل مجنبة مائتي مصحف، وكان جميعها خمسمائة مصحف.

قال أبو جعفر: ثم قام الطفيل بن أدهم حيال علي «عليه السلام»، وقام أبو شريح الجذامي حيال الميمنة، وقام ورقاء بن المعمر حيال

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص181 و 182.

الميسرة، ثم نادوا: يا معشر العرب! الله الله في نسائكم وبناتكم، فمن للروم والأتراك، وأهل فارس غداً إذا فنيتم.

الله الله! في دينكم.

هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فقال علي «عليه السلام»: اللهم! إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم، إنك أنت الحكم الحق المبين.

فاختلف أصحاب علي «عليه السلام» في الرأي، فطائفة قالت القتال، وطائفة قالت المحاكمة إلى الكتاب، ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب.

فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها.

فقال محمد بن علي: فعند ذلك حكم الحكمان(1).

مكر تزول منه الجبال:

ونقول:

وبعد.. فقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أن الشياطين قد يكونون من الإنس، وقد يكونون من الجن، فقال تعالى: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ**

---

(1) صفين للمنقري ص478 و 479 وبحار الأنوار ج32 ص529 و 530 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص523 والإمام علي بن أبي طالب ص722 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص188.

غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)(1).

أما إبليس نفسه، فكان من الجن، قال تعالى: (**..فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)**(2).

وكلمة الشيطان اسم جنس يشمل إبليس، وسواه من ذريته، وله جنود من الإنس والجن على حد سواء..

وبعض الشياطين أقوى واعظم مكراً من بعض، وربما تفوَّق بعض الناس على جميع الشياطين في بعض الأمور..

فقد روى ذلك الشيخ الطوسي عن الإمام الصادق «عليه السلام»، فقال: المفيد عن ابن قولويه، عن محمد بن همام، عن أحمد بن إدريس، عن ابن عيسى، عن الحسن بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال:

«إن في من ينتحل هذا الأمر لَمَن يكذب، حتى يحتاج الشيطان إلى كذبه»(3).

ومعاوية وابن العاص هما ممن ينتحل هذا الأمر، وكانا من أمكر

---

(1) الآية 112 من سورة الأنعام.

(2) الآية 50 من سورة الكهف.

(3) الأمالي للطوسي ج2 ص29 و (ط دار الثقافة سنة 1414هـ) ص414 و 415 وبحار الأنوار ج69 ص260 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج9 ص312 وميزان الحكمة ج3 ص2673.

الناس.

وهذا المكر الذي جاء به معاوية وعمرو بن العاص برفعهم المصاحف، وتضليل أمة كبيرة من الناس عن هذا الطريق، قد يكون هو الآخر مما يحتاج إليه الشيطان فيما يمارسه من مكر وحيل، وحبائل لتضليل البشر، وإثارة الفتن، والقلاقل، وإيجاد الشبهات، والعمل على هدم الدين..

قيمة أقوال الأشعث؟!:

إننا لا نقيم وزناً لأقوال الأشعث بن قيس، المعروف بانحرافه عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، لولا أنها كانت تؤثر في كثير من الناس، لأنها تستجيب لأهواء أهل الأهواء، والميالين إلى الراحة والسلامة، والدعة في الدنيا. وكانت تتسبب بالكثير من المشكلات، وتثير الكثير من المتاعب لأمير المؤمنين «عليه السلام».

كما أننا حين نقرأ خطبة الأشعث ليلة الهرير نشعر بأن هذا الرجل كان بصدد التخذيل عن الحرب، وإبطال مفاعيل وآثار وعيد أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي أخاف معاوية، وأهل الشام.. كما تقدم.

وحجة الأشعث ووسيلته في تخذيله هذا هي نفس حجة ووسيلة معاوية وأصحابه، وهي خوفه من فناء العرب، وضيعة الحرمات..

مع أنه كان عليه أن يطالب القاسطين والظالمين بالرجوع إلى الحق، والقبول به، ومراعاة ما أمرهم الله تعالى بقبوله ومراعاته.. لا

أن يطلب من المظلوم أن يستسلم لظالمه، ويسمح بمحق الدين، وسحق أهله.

وإذا كانت الدائرة في هذه الحرب سوف تدور على العرب، فليتراجع العرب عن غيهم، وليحفظوا أنفسهم، وليكفّوا عن نصرة الباطل، وليرجعوا عن بغيهم على إمامهم. فإنهم هم الذين يهلكون أنفسهم بأيديهم.

وهل يجب علينا أن نتخلى عن قيمنا، وأن نمزق قرآننا، ونقتل نبينا، ونهدم كعبتنا، ونرضى بمحق ديننا، حتى لا يقتل العرب، أو غير العرب أنفسهم؟!

وهل يمكن الرضا بتضييع كل جهود الأنبياء، وكل دماء الشهداء، لكي يبقى الأشعث مطمئناً على بناته وحرمه، مع أن لا شيء يشير إلى وجود خطر من هذا القبيل، سوى أن هناك أوهاماً تثار، ويعمل على تضخيمها من دون أي مبرر..

ولو كان هناك خطر من هذا القبيل، فلماذا رضي الأشعث بأن تتعرض له عوائل سبعين ألف قتيل، ثم استفاق الآن، ولم يتذكره إلا حين بلغ الحق مقطعه، وقربت ساعة الحسم!!

أليس عجيباً أن نرى الأشعث يخاف على النساء والذراري بزعمه، في نفس اللحظة التي اقترب فيها من النصر الذي سيكون حليفه بعد ساعة، أي بمقدار حلب ناقة، وليس حليف معاوية؟!

ولا ندري، لو استجيب لمنطق الأشعث وسواه، ماذا سيكون

موقفه وموقفهم لو تمكن إبليس وسائر الشياطين من الظهور للملأ، وقالوا: إننا سوف نقتل أنفسنا، أو تتركون دينكم، وتقتلون الأنبياء والأوصياء بأيديكم ـ من يدري ـ فقد نجد من يطالبنا بالرفق وبالإستجابة لمطالبهم، لكي لا يقتل إبليس وجنوده من الشياطين أنفسهم.

وعلى كل حال.. فقد كنا نتوقع من الأشعث أن يكون رحيماً ورفيقاً، وشفيقاً على عشرات الألوف الذين هم من الأخيار الأبرار من أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله»، وقتلهم معاوية وأهل الشام.

ويا ليته طلب من أولئك العرب الذين خرجوا على إمامهم، ويخاف الأشعث عليهم ـ يا ليته طلب منهم ـ أن يتراجعوا عن موقفهم، الطاغي والباغي، حتى لا يعرضوا أنفسهم وغيرهم للفناء.

ولنفترض: أن للأشعث بعض الكلام حول هذا الموضوع، فلماذا يقوله للعوام, ولا يعرضه على أمير المؤمنين «عليه السلام» قبل ذلك؟! ولماذا؟! ولماذا؟!

غير أننا نود أن نختم كلامنا هنا بكلمة واحدة، وهي: أننا نشتَمُّ رائحة كريهة، من موقف الأشعث هذا، ومن كلماته التي يتفوه بها، وهي رائحة التوافق والإتفاق، مع معاوية وأصحابه الذي ربما تكون أيد خفية، واتصالات ومراسلات سرية قد صنعته ونسجت خيوطه، وخاطت بروده، فتغشى بها الأشعث في أشد اللحظات خطورة وحساسية.. والله هو العالم بالحقائق..

هكذا تلقفها معاوية وأهل الشام:

والأهم من ذلك: أن النص المنقول عن صعصعة آنفاً يقول: إن معاوية قد تلقف كلام الأشعث كالماء البارد، الزلال للعطشان، وكأنه كان نائماً، وأيقظه الأشعث من سباته.

فبادر معاوية إلى تقريض الأشعث، وأثنى علي هذا الموقف الباهر له، وقال: «إنما يبصر هذا ذووا الأحلام والنهى». وأمر بربط المصاحف على أطراف القنا!!

وسارت كلمة الأشعث في أهل الشام، كالنار في الهشيم. ونادوا في سواد الليل:

«يا أهل العراق، من لذرارينا إن قتلتمونا؟! ومن لذراريكم إن قتلناكم»؟!

مع أن نفس هذا السؤال كان قائماً قبل أن تبدأ الحرب، وحين بدأت، وحين تواصلت، وحين قتل عمار، والمرقال، وابن التيهان، وذو الشهادتين، وأويس القرني.. وأضرابهم كثير؟!

الفصل السابع:

حتمية وقف القتال..

اللحظات الأولى لرفع المصاحف:

قال المنقري:

فأصبح أهل الشام، وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح، وقلَّدوها الخيل، والناس على الرايات قد اشتهوا ما دُعُوا إليه. ورفع مصحف دمشق الأعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح، ونادوا: يا أهل العراق! كتاب الله بيننا وبينكم.

وأقبل أبو الأعور السلمى على برذون أبيض، وقد وضع المصحف على رأسه ينادى: يا أهل العراق! كتاب الله بيننا وبينكم.

وأقبل عدى بن حاتم، فقال: يا أمير المؤمنين! إن كان أهل الباطل لا يقوَّمون بأهل الحق، فإنه لم يُصَب عصبة منا إلا وقد أصيب مثلها منهم، وكلٌّ مقروح، ولكنا أمثل بقيةً منهم.

وقد جزع القوم، وليس بعد الجزع إلا ما تحب، فناجز القوم.

فقام الأشتر النخعي، فقال: يا أمير المؤمنين! إن معاوية لا خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك، ولا بصرك، فاقرع الحديد بالحديد، واستعن بالله الحميد.

ثم قام عمرو بن الحمق، فقال: يا أمير المؤمنين! إنَّا والله ما أجبناك ولا نصرناك عصبية على الباطل، ولا أجبنا إلَّا الله عز وجل، ولا طلبنا إلَّا الحق، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوت إليه لاستشرى فيه اللجاج، وطالت فيه النجوى، وقد بلغ الحق مقطعه، وليس لنا معك رأي.

فقام الأشعث بن قيس مغضباً، فقال: يا أمير المؤمنين! إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس، وليس آخر أمرنا كأوله، وما من القوم أحد أحنى على أهل العراق، ولا أوتر لأهل الشام مني، فأجب القوم إلى كتاب الله؛ فإنك أحق به منهم.

وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال.

فقال علي «عليه السلام»: إن هذا أمر يُنظر فيه(1).

إرغام الأشتر على وقف القتال:

قال المنقري وغيره:

---

(1) صفين للمنقري ص481 و 482 وبحار الأنوار ج32 ص531 و 532 ونهج السعادة ج2 ص252 و 253 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص215 و 216 وراجع: الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص108 و 109 و (تحقيق الشيري) ج1 ص144 وراجع: المعيار والموازنة ص173 ومروج الذهب ج2 ص401 والأخبار الطوال ص190.

وفي حديث عمر بن سعد، قال: لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن، قال علي «عليه السلام»:

عباد الله، إنى أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبى معيط، وحبيب بن مسلمة، [والضحاك بن قيس] وابن أبى سرح ليسوا بأصحاب دين، ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً، وصحبتهم رجالاً، فكانوا شر أطفال، وشر رجال.

إنها كلمة حق يراد بها باطل.

إنهم والله ما رفعوها إنهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة.

أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق، مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

وقال ابن أعثم:

[وليس يحل لي، ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله، فآبى أن أقبله، لأني إنما قاتلتهم ليدينونا بحكم القرآن، لأنهم قد كانوا عصوا الله فيما أمرهم به، ونهاهم عنه، فلم ينتهوا، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، غير أني أراكم قد اجتمعتم على أمر لا أرى فيه مخالفتكم].

ويتابع المنقري، فيقول:

فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد، شاكِّي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودت جباههم من السجود، يتقدمهم

مسعر بن فدكى، وزيد بن حصين، وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا علي! أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم.

وعند ابن أعثم:

[يا علي! أنت تعلم أننا إنما قتلنا عثمان بن عفان حين غلبنا وأبي علينا أن يعمل بما في كتاب الله، أو نجيب إليه، وأجب القوم إلى ما دعوك إليه من كتاب الله فقد أنصفوك، وإلا ـ والله ـ دفعناك إليهم برغمك، أو قتلناك..].

ويتابع المنقري:

فقال لهم: ويحكم، أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه. [غير أني كنت أمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً فأصبحت منهياً، وأراكم قد أحببتم البقاء، وكرهتم الحرب، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون].

وليس يحل لى، ولا يسعنى في دينى أن أدعى إلى كتاب الله، فلا أقبله، إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون.

قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك، [فإنه ما يفتر عن الحرب].

وقد كان الأشتر صبيحة ليل الهرير قد أشرف على عسكر معاوية

ليدخله.

قال نصر: فحدثني فضيل بن خديج، عن رجل من النخع قال: رأيت إبراهيم بن الأشتر دخل على مصعب بن الزبير، فسأله عن الحال كيف كانت.

فقال: كنت عند علي «عليه السلام» حين بعث إلى الأشتر أن يأتيه، وقد [كان الأشتر] أشرف على معسكر معاوية ليدخله.

فأرسل [إليه] علي يزيد بن هانئ: أن ائتنى، فأتاه، فبلغه.

فقال الأشتر: ائته، فقل له: ليس هذه بالساعة [التى] ينبغى لك أن تزيلني فيها عن موقفي.

إنى قد رجوت الله أن يفتح لي، فلا تعجلني.

فرجع يزيد بن هانئ إلى علي «عليه السلام»، فأخبره، فما هو إلا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرهج، وعلت الأصوات من قبل الأشتر، وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق، ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام.

فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته بقتال القوم.

قال: أرأيتموني ساررت رسولي [إليه]؟! أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟!

قالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلا فوالله اعتزلناك.

قال «عليه السلام»: ويحك يا يزيد، قل له: أقبل إلي، فإن الفتنة قد

وقعت.

فأتاه، فأخبره، فقال له الأشتر: ألرفع هذه المصاحف؟!

قال: نعم.

قال: أما والله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة، إنها من مشورة ابن النابغة ـ يعنى عمرو بن العاص.

قال: ثم قال ليزيد: [ويحك] ألا ترى إلى ما يلقون، ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا، أينبغى أن ندع هذا، وننصرف عنه؟!

فقال له يزيد: أتحب أنك ظفرت هاهنا، وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه، ويسلم إلى عدوه؟!

قال: سبحان الله، [لا] والله ما أحب ذلك.

قال: فإنهم قالوا: لترسلن إلى الأشتر، فليأتينك، أو لنقتلنك [بأسيافنا] كما قتلنا عثمان، أو لنسلمنك إلى عدوك.

قال: فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم، فصاح، فقال: يا أهل الذل والوهن! أحين علوتم القوم، فظنوا أنكم لهم قاهرون، ورفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها! [خديعة ومكراً]، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها، وسنة من أنزلت عليه؟! فلا تجيبوهم. أمهلوني فواقاً، فإنى قد أحسست بالفتح [وأيقنت بالظفر].

قالوا: لا.

[فقال الأشعث: يا هذا! إنما قاتلناهم لله عز وجل، وندع قتالهم لله

عز وجل].

قال: فأمهلوني عدوة الفرس، فإني قد طمعت في النصر.

قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك.

قال: فحدثوني عنكم ـ وقد قتل أماثلكم، وبقي أراذلكم ـ متى كنتم محقين؟! أحين كنتم تقتلون أهل الشام، فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلون!! أم [أنتم] الآن [في إمساككم عن القتال] محقون؟! فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم، في النار!!

[فصاحت به القراء وغيرهم من الناس].

قالوا: دعنا منك يا أشتر! قاتلناهم في الله، وندع قتالهم في الله. إنا لسنا نطيعك، فاجتنبنا. [ولن نطيع صاحبك، ونحن نرى المصاحف على رؤوس الرماح، ندعى إليها].

قال: خُدعتم والله، فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب، فأجبتم. يا أصحاب الجباه السود! كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا، وشوق إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت.

ألا، فقبحاً يا أشباه النيب الجلالة، ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون.

فسبُّوه وسبَّهم، وضربوا بسياطهم وجه دابته، وضرب بسوطه وجوه دوابهم، [وهموا به، وهم بهم، وأعانه بنو عمه، وكادت الفتنة أن تقع بين القوم، حتى سكَّنهم علي «عليه السلام»، وقال: كفُّوا عنه، ما لكم وله]، فصاح بهم علي «عليه السلام» فكفُّوا.

وقال الأشتر: يا أمير المؤمنين! احمل الصف على الصف يصرع القوم.

فتصايحوا: إن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قبل الحكومة، ورضي بحكم القرآن، ولم يسعه إلا ذلك.

قال الأشتر: إن كان أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قبل ورضي بحكم القرآن، فقد رضيت بما رضى أمير المؤمنين.

فأقبل الناس يقولون: قد رضى أمير المؤمنين، قد قبل أمير المؤمنين.

وهو ساكت لا يبض بكلمة، مطرق إلى الأرض.

وقال أبو محمد نافع بن الأسود التميمي:

ألا أبلغا عنى علياً تحية فقد قبل الصماء لما استقلت
بنى قبة الإسلام بعد انهدامها وقامت عليه قصرة فاستقرت
كأن نبيا جاءنا حين هدمها بما سن فيها بعد ما قد أبرت

قال: ولما صدر علي «عليه السلام» من صفين أنشأ يقول:

وكم قد تركنا في دمشق وأرضها من اشمط موتور وشمطاء ثاكل
وعانية صاد الرماح حليلها فأضحت تعد اليوم إحدى الأرامل
تبكّي على بعل لها راح غاديا فليس إلى يوم الحساب بقافل
وإنا أناس ما تصيب رماحنا إذا ما طعنا القوم غير

المقاتل

قال: وقال الناس: قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً(1).

وقال ابن إعثم:

فكان معاوية بعد ذلك يقول: والله لقد رجع عني الأشتر يوم رفع المصاحف، وأنا أريد أن أسأله أن يأخذ لي الأمان من علي «عليه السلام»، وقد هممت ذلك اليوم بالهرب، ولكن ذكرت قول عمرو بن الأطنابة، حيث يقول:

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإعطائي على المكروه مالي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص489 ـ 493 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص185 ـ 188 و 189 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص49 و (ط الأعلمي) ج4 ص35 و 36 والكامل في التاريخ ج2 ص386 و (ط دار صادر) ج3 ص317 و 318 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص303 و 304 وبحار الأنوار ج32 ص534 ـ 535 وشجرة طوبى ج2 ص341 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص724 و 725 ونهج السعادة ج2 ص251 و 252 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص219 و 220 وكشف الغمة ج1 ص255 و 256 والمعيار والموازنة ص164 و 165 والأخبار الطوال ص190 و 191 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص477.

لأدفــع عـــن مـآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح
بذي شـــطب كلون الملح صاف ونــفـــس مـــا تقــر علـــى القبيح[1]

بل ذكر اليعقوبي: أن معاوية دعا بفرسه لينجو عليه، فمنعه عمرو بن العاص بوعده له بتدبير مكيدة رفع المصاحف، فتراجع[2].

وهذا يدل: على أن تراجعه عن الهرب ليس لأجل أبيات عمرو بن الأطنابة، بل لأجل ما أمله من نجاح مكيدة عمرو بن العاص.

ونقول:

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص188 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص536 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص223 و 224 وج8 ص59 وتاريخ مدينة دمشق ج37 ص437 و 438 وج59 ص137 و 138 وسير أعلام النبلاء ج3 ص142 وأنساب الأشراف للبلاذري (ط الأعلمي) ص306 ووفيات الأعيان ج5 ص241 وتاريخ الإسلام للذهبي ج5 ص176 و 177 والوافي بالوفيات ج19 ص245 وصفين للمنقري ص394 و 404. وقال في موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»: راجع: عيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص126 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص24 و (ط الأعلمي) ج4 ص17 والكامل في التاريخ ج2 ص376 و (ط دار صادر) ج3 ص303 والبداية والنهاية ج7 ص266 وج8 ص283 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص294 وج8 ص138 و 312.

(2) تاريخ اليعقوبي ج2 ص188.

إيضاحات:

البرذون: دابة دون الخيل، وأقدر من الحمر، وهي نوع من الخيل الخشن التي ليست عراباً، وقيل: كان يؤتى بها من بلاد الروم. ولا يكون البرذون إلا من الخيل.

المناجزة: المقاتلة، والمبارزة.

لا خلف له: لا عوض، ولا بديل له.

بلغ الحق مقطعه: ما يقطع به الباطل. ومحل التقاء الحكم فيه، وموضع الفصل فيه.

فُواقاً ـ بالضم والفتح ـ: ما بين الحلبتين. يقال: انظره فُواق ناقة.

الأماثل: الأفاضل.

النيب: جمع ناب. وهي الناقة المسنة.

الجلالة: التي تتبع القاذورات.

يبض بكلمة: أي ما يتكلم.

الصماء: الداهية الشديدة.

قصرة: أي دون غيره من الناس.

أَبِرَّت: غلبت. ولعل الصحيح: أبيرت، أي أهلكت وذهبت.

العاني: المتعب. والحامل لما يشق عليه.

المشيح: المانع لما وراء ظهره.

جشأت من الفزع. نهضت نفسه وثارت للقيء.

جاشت: هاجت واضطربت. والقدر غلت. ونفس الجبان همت بالفرار.

ذو شطب: الشطبة: السيف، جمعه شطب، والشطب: الخطوط التي في نصل السيف.

قافل: راجع.

هل أخطأ الأشتر، وعدي بن حاتم؟!:

تقدم: أنه في اللحظة التي رفعت فيها المصاحف، ونادى أهل الشام، وأبو الأعور: كتاب الله تعالى بيننا وبينكم، ظهرت في أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» ثلاثة آراء:

الأول: ترجيح مناجزة القوم.. وهو قول الأشتر، وعدي بن حاتم.

الثاني: إنه هو صاحب الرأي والقرار، وليس لأحد معه رأي. وهذا ما قاله عمرو بن الحمق.

الثالث: لزوم إجابة طلب أهل الشام. وهذا ما أصر عليه الأشعث بن قيس..

فأجاب أمير المؤمنين «عليه السلام» الأشعث: بأن هذا أمر ينظر فيه ولم يعترض «عليه السلام» على القولين الأولين..

وقد استند عدي بن حاتم في رأيه: على أن ثمة قدرة على مناجزة القوم، لأن حال أهل الحق أمثل من حال القاسطين. لأن أهل الشام قد أصيبوا بنكسة كبيرة، وفشل ظاهر، كما يدل عليه ما ظهر من جزعهم

من الحرب.

أما الأشتر، فقارن بين حال الفريقين، فرأى أن فريق معاوية قد تكبد خسائر كبيرة في الأرواح، وليس لديه من يقوم مقامهم..

أما أمير المؤمنين، فقد استشهد من رجاله الكثير، ولكن من بقي له، قادر عل تعويض النقص، وسد الثغرات التي حصلت بفقد من فقد..

يضاف إلى ذلك: أن التعويض لا ينحصر بالرجال، بل إن صبر الباقين أيضاً من شأنه أن يعوض قسطاً من نقص العدد..

فإذا انضم هذا وذاك إلى حسن التدبير، والخطة الحكيمة، والتوكل على الله، فإن الأمور تصبح متسقة، ولا يبقى ما يوجب القلق.

وكلام كلا الرجلين صحيح في نفسه، ويكمل كل منهما الآخر، وإن كان كلام الأشتر أكثر دقة، وألطف مأخذاً، وأوسع أفقاً، وهو يعبر عن بصيرة وخبرة أكبر، وعن تجارب أغنى وأكثر. وقد عبَّرا عن نظرتهما في أمور القتال، ومآل الأمور بملاحظة القدرات القتالية المتوافرة لدى الفريقين.. بعد كل تلك المعارك.

أما كلام الأشتر وعدي، فهو الكلام الذي يحتاج إليه القادة العسكريون، ليكون مرتكزاً لهم في قرار الإقدام والإحجام، فيما يرتبط بأمور القتال..

أما ما قاله عمرو بن الحمق، فهو من منطلق التسليم المطلق لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وهو الموقف الذي لا بد من تداوله

بين الناس، وإقناعهم به، لاحتياجهم إليه في مجال تنفيذ القرار، والإنضباط، وإجراء الأوامر.

الأشعث متآمر:

أما ما قاله الأشعث، فلا يعدو كونه أسلوب ابتزازٍ يهدف إلى التوصل به إلى فرض رأيه على أمير المؤمنين «عليه السلام»..

وهو بذلك يقدم خدمة جليلة لمعاوية، لأنه يمهد له السبيل إلى المناورة، لاستثمار الحيلة إلى أقصى مدى ممكن..

وأما ادعاء الأشعث بأنه لا يزال كما كان ناصحاً لأمير المؤمنين «عليه السلام»، فهو صادق في أنه ما زال كما كان، ولكنه كاذب في ادعائه أنه صادق الولاء له «عليه السلام» سابقاً ولاحقاً..

وقد قال اليعقوبي: «فاعترض الأشعث بن قيس الكندي، وقد كان معاوية استماله، وكتب إليه، ودعاه إلى نفسه، فقال: قد دعا القوم إلى الحق!

فقال علي «عليه السلام»: إنهم إنما كادوكم، وأرادوا صرفكم عنهم.

فقال الأشعث: والله لئن لم تجبهم انصرفت عنك.

ومالت اليمانية مع الأشعث، فقال الأشعث: والله لتجيبنهم إلى ما

أدعوا إليه، أو لندفعنك إليهم برمتك»(1).

وعند ابن أعثم:

أن الأشعث هدد علياً «عليه السلام» بأنه إن لم يجب معاوية لم يرم معه اليمانية بسهم، ولم يضربوا معه بسيف، ولم يطعنوا معه برمح إلخ..(2).

وأما أنه لا أحد أوتر لأهل الشام من الأشعث، فربما كان قد وترهم، ولكن العبرة في صحة نواياه، وأنها هل كانت لأجل حفظ زعامته، أو طاعة لإمامه، وإرضاء لخالقه!!

فقد تقدم: أن قومه هم الذين فرضوا عليه أن يكون مع أمير المؤمنين «عليه السلام»، بعد أن كان بصدد الإنحياز إلى معاوية، ولكنهم تصدوا له، وصدوه عن ذلك..

أما ما ذكره من أنه لا يوجد أحنى منه على أهل العراق.. فلم نجد ما يوجب تصديقه في زعمه هذا، فإن موقفه هذا غير مفهوم، لأن فيه تضييعاً لدماء عشرات ألوف الشهداء من أهل العراق، وغيرهم من خيار المهاجرين والأنصار، ومن علماء وعبَّاد الأمة.. وفيه تمكين

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص188 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص187 وقال راجع: أنساب الأشراف ج3 ص98 والعقد الفريد ج3 ص34.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص182 وراجع: علل الشرائع ج1 ص220 وبحار الأنوار ج44 ص15 والمعيار والموازنة ص173.

لأهل الباطل من إمرار كيدهم، وترسيخ أقدامهم، وإشاعة وترويج أباطيلهم، ومن بسط نفوذهم، وتأكيد هيمنتهم على الناس.

كما أن موقفه هذا ربما يكون لأسباب تعود إليه هو كشخص، وللحصول على فوائد وعوائد وأطماع التمعت أمام عينيه، أو أنه نتيجة تفاهمات مستورة كانت بينه وبين من كان يطمع في دنياهم، ويحاول الإنضمام إليهم.

ولعل نفس هذا الجهد الذي يبذله لإبعاد الشبهة عن نفسه يؤكد الشبهة عليه، ويشير بأصابع الإتهام إليه.

والأعجب من ذلك: احتجاجه بأن الناس أحبوا البقاء، وكرهوا القتال مع أن الناس كانوا من أول يوم يحبون البقاء ويكرهون القتال، ولم يتغير حالهم ولم يتبدل. فلماذا يريد أن يستجيب لرغبتهم في خصوص هذه اللحظة الحاسمة التي ظهرت فيها بشائر النصر، ولم يعد يفصلهم عنه إلا مقدار حلب ناقة، أو عدوة الفرس..

على أن الإمام والحاكم هو الذي يقرر، ويتصرف وفق ما يراه مصلحة للأمة، وموافقاً للشرع، وما فيه حفظ الدين وأهله، ولا يكون تابعاً لأهواء الناس، وما يحبون، وما يكرهون، لأن هذه التبعية معناها: أن الناس هم الحكام عليه، وهم الآمرون الناهون، وهو المأمور والمحكوم، والضعيف والمهزوم..

كلمة حق يراد بها باطل:

ولعل هناك من يقول: إن الناس إذا كانو سواسية أمام حكم

الشريعة، ويجب على الجميع أن يجيبوا إلى أحكامها.. فلا معنى للقول بأن بعضهم أحق بالإجابة من بعض.. فكيف نفسر قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «إني أحق من أجاب إلى كتاب الله»؟!

وقول الأشعث: «فأجب القوم إلى كتاب، فإنك أحق به منهم»..

ويبدو لنا من قول الأشعث هذا، ومن تقرير أمير المؤمنين «عليه السلام» لهذه الحقيقة: أن الأحقية بالإجابة كانت من المسلمات.. وأن الأشعث حاول أن يصنع منها شبهته التي أراد أن تكون هي السوط اللاذع الذي يجلد به الحق والدين وأهله، ويروضهم، ليجبرهم على التخلي عن النصر الأعظم، والفتح الأفخم، بعد أن أصبح في متناول أيديهم.. وقد حصل له ما أراد.

وقد ردّ أمير المؤمنين «عليه السلام» هذه الشبهة بكلمة موجزة ذهبت في الناس مثلاً.

فقال «عليه السلام»: «كلمة حق يراد بها باطل..».

ونوضح ونلخص ما ألمح «عليه السلام» إليه كما يلي:

ألف: صحيح أن البشر كلهم سواسية أمام أحكام الله، وأوامره ونواهيه، وكلهم ملزمون بالعمل بها.. ولكن ربما تنضم خصوصيات وعناوين، وحيثيات واعتبارات توجب تأكيد هذا الإلزام على فئات بعينها، أو على أفراد من الناس بأشخاصهم وأعيانهم.

فمثلاً: قد تتأكد بعض الأحكام على بعض الناس، لأجل علمهم الواسع بأسرارها وبأهميتها، وعظيم فوائدها، أو بعواقب مخالفتها،

وبغير ذلك من أمور. ويزداد هذا الأمر ضرورة، وتشتد مطلوبيته إذا كان هذا العالم معلماً وداعية، وأسوة وقدوة، وأمثولة للناس، ويكون التزامه بالأحكام من أسباب رغبة الناس بها، وإقبالهم عليها، ويكون تهاونه بها موجب لتهاون الناس بها، وصدوفهم عنها..

وربما كان لبعضهم موقع في النفوس، يجعل الكثيرين من الناس يحبُّون إرضاءه وإدخال السرور على قلبه.. وربما.. وربما..

وربما كان أحق بها لخصوصية كونه إماماً، أو كونه حاكماً أيضاً، فإن كل ذلك يقوي، أو يضاعف من درجة الإلزام لذلك الشخص، أو لتلك الفئة..

ب: إن هذه الأولوية والأحقية بالتزام أحكام الله، والقيام بالمسؤوليات، إنما تلاحظ في سياق حفظ الواجبات والمسؤوليات، لا في سياق التفريط بها وتضييعها، لأن الله لا يكلف بما يلزم من وجوده عدمه..

وتوضيح ذلك: أن بعض الأمور قد يكون وجوبها مرتهناً بشرط، أو بشروط لا بد من توفرها، لتصبح واجبة.

والمورد الذي واجهه أمير المؤمنين «عليه السلام» في صفين من هذا القبيل، فإن الإستجابة لطلب معاوية وأهل الشام مرهون بشرط أساس، أخل به معاوية.. الأمر الذي جعل من إجابة طلب هؤلاء القوم جريمة كبرى، توجب تضييع الأمة، والتفريط بدينها، وبقرآنها، وبجهود الأنبياء، ودماء الشهداء، وهو:

أن يعلم المدعو بصدق الداعي في دعوته إلى كتاب الله تعالى، وأن لا تكون على سبيل المكر والخديعة.

أما إذا علم بأن الهدف هو الخداع والمكر بأهل الحق، فلا يجوز إجابة طلب الماكرين، لأنه تفريط بالحق وبالدين وأهله.

وتقدير هذا الأمر يرجع إلى الحاكم والإمام نفسه، دون سواه لأنه أبصر من غيره بالأمور، ولأنه هو المسؤول والمكلف بالإجابة، وهو الذي فرضت خصوصياته، وعلمه، وإمامته وحاكميته، أن يكون الأحق بالإجابة.. فتشخيص الأمور في هذا الأمر المتعلق به وبتكليفه ـ كحاكم وإمام وعالم ـ يعود إليه.. وليس للرعية أن تفرض عليه أمراً يرى هو أنه لو فعله لفرَّط بدينه، وبمسؤولياته..

وقد بين «عليه السلام» هذه الأمور كلها بدقة وصراحة، فقال «عليه السلام»: إنه أعرف الناس بحال القاسطين، فإن معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، وسعد بن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دين، ولا قرآن..

وقال «عليه السلام»: إنه يقول ذلك عن علم وبصيرة، ومعرفة واختبار متواصل ومن دون انقطاع، لا عن سماع ورواية، فهو قد صحبهم أطفالاً، وصحبهم رجالاً، ولم ينقطع عنهم، لكي يدَّعي أن أحوالهم قد تغيرت، فكانوا شر أطفال، ولعلهم صاروا خير رجال.

ولا يستطيع أحد لا الأشعث، ولا غيره أن يدعي أنه أعرف بهم منه «عليه السلام»، فكيف يجوز لهم أن يقرِّروا أمراً لا يعود القرار

فيه إليهم، ولا ربط ولا خيرة لهم فيه.. حسبما بيناه؟!

ثم إنه «عليه السلام» قد امتحن هؤلاء القوم وجربهم، ولا يزال يجربهم، وعرض عليهم أن يدينوا بحكم القرآن، وأن يجعلوه حكماً بينه وبينهم، فرفضوا ونقضوا عهد الله، ونبذوا كتابه، ودخلوا في حرب قتل فيها عشرات الألوف..

ونظن: أن الأشعث، وكذا معاوية وأهل الشام، كانوا يعرفون: أن حكم القرآن فيهم لم يكن لصالحهم.. وهذا قرينة أخرى على أن هدفهم من رفع المصاحف ليس إلا الخديعة. لأنهم يعلمون أنهم أصبحوا مطالبين بهذه الدماء، فلا بد من قتل القاتل منهم، وتجريم أصحاب الجرائم كل بحسبه، وهذا ما لا يمكن أن يرضوا به، لأنهم إنما فرُّوا من النصر الذي رأوا طلائعه تسير نحو علي «عليه السلام»، والذي لو تحقق له، لم يزد على إجراء أحكام الله فيهم، لأنهم إنما دخلوا في الحرب بعد أن دعاهم مرات وكرات إلى حكم الكتاب، ورفضوه، وبعد إيضاح أحكام الله لهم..

فمطالبتهم بالعودة إلى حكم القرآن لا يعدو كونه مطالبة بقتل القتلة وتجريم الظلمة منهم، أو من غيرهم، والذين أتوا ما أتوا بعد إقامة الحجة عليهم، فهل يرضون بذلك؟! وهل يفرون من القتل إلى القتل؟!

وقد قال الله تعالى: **(فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ**

الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)(1).

والخلاصة: إنهم لا يرضون بحكم القرآن، ولو في حزّ أعناقهم، وأمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي يرضى بحكم القرآن مهما كانت الظروف.

وقد قال «عليه السلام» للأشعري: يا [أ] با موسى أحكم [بالقرآن] ولو في حز عنقي(2).

أعيروني سواعدكم:

وفي رواية المنقري: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد عقَّب بياناته التي شرحناها آنفاً بقوله: أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا..

ومعنى هذا: أنه «عليه السلام» يرى أن إجابة معاوية إلى طلبه لم تكن سائغة له «عليه السلام» ما دام يجد من يناصره ويؤازره، لأن إجابته معناها إعانته على خديعته وإتمام مكيدته بالحق وأهله. وفق البيان الذي ذكرناه، واستفدناه من سياق كلمات أمير المؤمنين «عليه

---

(1) الآيتان 84 و 85 من سورة غافر.

(2) راجع: أنساب الأشراف (ط الأعلمي) ص333 وتاريخ مدينة دمشق ج32 ص95 وج42 ص474 وسير أعلام النبلاء ج2 ص395 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص548 وج4 ص145 وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج8 ص724 والتاريخ الصغير للبخاري ج1 ص125.

السلام.

ولأجل ذلك: طلب «عليه السلام» منهم أن يعيروه سواعدهم وجماجمهم ساعة ـ كما يقول المنقري ـ ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل ذهبوا باتجاه آخر لا يرضاه الله تعالى، حيث اعتزل منهم عشرون ألفاً، وتهدَّدوه «عليه السلام» بالقتل إن لم يجب طلب معاوية، وأهل الشام، ولم ينتفعوا ببيانات علي «عليه السلام» لهم. وهي التي ستكون حجة له عليهم يوم القيامة.

فهنا قال «عليه السلام»: ويحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه، وليس يحل لي، ولا يسعني في ديني.. إلى آخر كلامه «عليه السلام»، الذي تضمن المعاني التي ذكرت عن قريب..

وبذلك يظهر: أن ما ذكر في كتاب الفتوح لابن أعثم، من أنه «عليه السلام» بعد قوله: إنه لا يستحل أن يُدعى إلى كتاب الله، فيأبى أن يجيب.. قال «عليه السلام»: «غير أني أراكم قد اجتمعتم على أمر، لا أرى فيه مخالفتكم».. غير دقيق.

والصحيح: أنه «عليه السلام» قد طلب منهم أن يعيروه جماجمهم ساعة، فجاءه عشرون ألفاً منهم، وتهددوه بالقتل كما تقدم، فلما يئس من إجابتهم، ووجد أن الإصرار على الحرب سينتهي إلى ما لا تحمد عقباه، ورأى أنه «عليه السلام» لا يستطيع منع الناس من التفرق عنه، لو أرادوا ذلك.. قال لهم: إنه ليس له أن يجبرهم على الحرب، كما سترى.

مضامين كلامه × للخوارج:

وقد تضمنت كلماته «عليه السلام» لهؤلاء المخالفين له ما يلي:

1 ـ إنه «عليه السلام» أول من دعا إلى كتاب الله.

2 ـ إنه «عليه السلام» أحق الناس بالإجابة لحكم الكتاب، إذ لا يسعه في دينه أن لا يجيب من يدعوه إلى كتاب الله، ولكن بشرط أن تكون دعوة حقيقية.

3 ـ إنه هو من يتخذ القرار بالإجابة إلى حكم الكتاب، لأنه إمام، ولأنه حاكم، ولأنه عالم، ولأنه ملتزم بأحكام الله، ولأنه.. ولأنه..

4 ـ إن الأمور قد انعكست، وأصبح «عليه السلام» مأموراً بعد أن كان أميراً.

5 ـ إن أصحابه «عليه السلام» لا ينطلقون من الرغبة في إحقاق الحق، والعمل بكتاب الله، بل من دوافع شخصية، ونوازع أهوائية، وهي أنهم أحبوا البقاء، وكرهوا الحرب.

6 ـ إنه ليس له أن يكرههم على الحرب، لأن الجهاد من العبادات التي تحتاج إلى قصد القربة، ولا يتحقق ذلك بالإجبار.

7 ـ إن القاسطين قد تمردوا على الله، ونقضوا عهده، ورفضوا حكم القرآن الذي دعاهم هو «عليه السلام» إليه.. وليس ثمة ما يدل على أنهم صادقون، أو جادُّون فيما يدعون إليه، بل الدلائل متوافرة على أن هذه الدعوة مكيدة وخدعة..

هل تلكأ الأشتر؟!:

وقد يظن ظان: أن الأشتر قد تلكأ عن امتثال أمر أمير المؤمنين «عليه السلام» حين طلب منه «عليه السلام» أن يأتي إليه، ولم يكن يحق له ذلك!

ويجاب:

إن الأشتر كان يعرف أن حسم القتال لصالح أهل الحق هو غاية ما يتمناه «عليه السلام»، لأن فيه قوة للدين، وحفظاً للأنفس من الأخطار، فكان بصدد تحقيق هذا الإنجاز، وهو يرى بأم عينيه: أن الأمر أصبح قاب قوسين أو أدنى، وأنه «عليه السلام» لو رأى ما يرى لم يرض بإزالته عن موضعه، لأن إزالته تكون سفهاً وتضييعاً للجهد.

ولم يكن يخطر في بال الأشتر: أن هناك ما هو أولى وأهم من إتمام ما هو بصدده، لأن الأمر لا يحتاج إلى أكثر من مقدار حلب ناقة، أو عدوة الفرس.

وبذلك يكون الأشتر قد تصرف بمسؤولية وصدق، وفي دائرة رضا أمير المؤمنين «عليه السلام»، وليس خارجها.

هل ساررت رسولي؟!:

وما أصعبها على قلب أهل الوفاء والولاء أن تبلغ الأمور حداً يهدّد فيه على رؤوس الأشهاد إمامهم، ومن يفدونه بأرواحهم،

وسيدهم، وأميرهم أمير المؤمنين «عليه السلام» بالقتل، ليس من أعدائه ومحاربيه، بل من أصحابه المتظاهرين بالدين والعبادة، وبالولاء له، وهو الذي كان، ولا يزال يفدي أصحابه بمهجته، ويحامي عنهم، بأهل بيته، وأبنائه، وأبناء إخوته، وأحبابه، وخيار أصحابه..

والأسوأ من هذا وذاك، أن يتهموه بأنه قد مارس معهم خائنة الأعين، وهو يبعث رسوله إلى الأشتر يأمره بالحضور إليه.. فزعموا أنهم ما يرونه إلا أمر رسوله بأن يأمر الأشتر بالقتال بدل الكف عنه.

فقال لهم: أرأيتموني ساررت رسولي إليه؟!

قاتلناهم لله، وندع قتالهم لله:

ولا أدري من أين عرف الأشعث بن قيس حكم الله تعالى في قتال أهل الشام!! فإنه حين قال لأمير المؤمنين «عليه السلام» هذه عليك لا لك. قال له «عليه السلام»: «وما يدريك ما علي مما لي؟! عليك اللعنة، ولعنة اللاعنين، حائك ابن حائك، منافق ابن كافر..»[(1)].

ومن أين يأتي العلم للحائك ابن الحائك، ومن لا يعرف إن كان الكلام الذي يسمعه هو لقائله أم عليه؟! ولا أدري أيضاً من أين جاءه

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص56 الخطبة 19 وبحار الأنوار ج33 ص431 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص291 وج20 ص64 والكنى والألقاب ج2 ص35.

هذا الإخلاص في العمل، وهذه التقوى، وهو لا يرى غياً ولا شراً إلا أعان عليه، فقد قالوا:

كان الأشعث قد ارتد، فأتي أبو بكر به أسيراً، فأطلقه، وزوجه أخته. ثم ندم على ذلك، وقال: «ليتني حين أتيت بالأشعث أسيراً أني قتلته، ولم أستحيه، فإني سمعت منه، وأراه لا يرى غياً ولا شراً إلا أعان عليه»(1).

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص137 وتاريخ الإسلام للذهبي ج1 ص117 و 118 وإثبات الهداة ج2 ص359 و 367 و 368 والعقد الفريد ج4 ص268 والايضاح لابن شاذان ص161 والإمامة والسياسة ج1 ص18 و (تحقيق الزيني) ج1 ص24 و (تحقيق الشيري) ج1 ص 36 وسير أعلام النبلاء (سير الخلفاء الراشدين) ص17 ومجموع الغرائب للكفعمي ص288 ومروج الذهب ج1 ص414 وج2 ص301 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص130 وج17 ص168 و 164 وج6 ص51 وج2 ص47 و 46 وج20 ص24 و 17 وميزان الإعتدال ج3 ص109 وج2 ص215 والإمامة (مخطوط ـ توجد نسخة مصورة منه في مكتبة المركز الإسلامي للدراسات في بيروت) ص82 ولسان الميزان ج4 ص189 وتاريخ الأمم والملوك (ط المعارف) ج3 ص430 و (ط الأعلمي) ج2 ص619 و 620 وكنز العمال ج3 ص125 وج5 ص631 و 632 والرسائل الإعتقادية (رسالة طريق الإرشاد) ص470 و 471 ومنتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج2 ص171 والمعجم الكبير للطبراني ج1 ص62 وضياء العالمين (مخطوط) ج2 ق3 ص90 و 108 عن العديد من المصادر. والنص

ولما علم أمير المؤمنين «عليه السلام» بما جرى في التحكيم، قال:

«والله إني لأعرف من يحملكم على خلافي والترك لأمري، ولو أشاء أخذه لفعلت، ولكن الله من ورائه. يريد بذلك الأشعث»(1).

وقد مر به وبجرير البجلي ضب، فقالا له: يا أبا حسل! هلم نبايعك(2). تعريضاً منهما بالبيعة لأمير المؤمنين «عليه السلام».

والاجتهاد ص91 والسبعة من السلف ص16 و 17 والغدير ج7 ص170 ومعالم المدرستين ج2 ص79 وتاريخ مدينة دمشق ج30 ص418 و 421 ومرآة الزمان. وراجع: زهر الربيع ج2 ص124 وأنوار الملكوت ص227 وبحار الأنوار ج30 ص123 و 136 و 138 و 141 و 352 ونفحات اللاهوت ص 79 وحديقة الشيعة ج2 ص252 وتشييد المطاعن ج1 ص340 ودلائل الصدق ج3 ق1 ص32 والخصال ج1 ص171 وحياة الصحابة ج2 ص24 والشافي للمرتضى ج4 ص137 و 138 والمغني لعبد الجبار ج20 ق1 ص340 و 341 ونهج الحق ص265 والأموال لأبي عبيد ص194 ومجمع الزوائد ج5 ص203 وتلخيص الشافي ج3 ص170 وتجريد الإعتقاد لنصير الدين الطوسي ص402 وكشف المراد ص403 ومفتاح الباب (أي الباب الحادي عشر) للعربشاهي (تحقيق مهدي محقق) ص199 وتقريب المعارف ص366 و 367 واللوامع الإلهية في المباحث الكلامية للمقداد ص302 ومختصر تاريخ دمشق ج13 ص122 ومنال الطالب ص280.

(1) مروج الذهب ج2 ص402 ونهج السعادة ج2 ص343.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص75 وبحار الأنوار ج34 ص288

فلماذ يحاول خداع الناس بإظهار الورع والتقوى يا ترى؟!

وهل من يعصي إمامه، ويصر على مخالفته، وعلى إحراجه، ويحرض الناس على عصيان أوامره ـ هل يكون ممن يريد رضا الله؟!

يضاف إلى جميع ما تقدم: أنه لما أخذ معاوية ماء الفرات، ومنع جيش علي «عليه السلام» من الوصول إليه، وشارك الأشعث في إبعاد جيش معاوية عنه. بلغ علياً «عليه السلام» ما فعله الأشعث، فقال «عليه السلام»: هذا اليوم نصرنا فيه الأشعث (نصرتم فيه) بالحمية[1].

قتل أماثلكم، وبقي أراذلكم:

وقد عرف الأشتر مكمن الداء، حين قال لأهل العراق الراغبين في وقف القتال: قتل أماثلكم، وبقي أراذلكم. إذ إن الأفاضل والأخيار إذا قتلوا، فمن الطبيعي أن تنتقل الزعامة والرياسة في القبيلة إلى آخرين، فإذا كان الزعماء الجدد من أراذل الناس، فمعنى ذلك أنهم لا

وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج12 ص55.

(1) مروج الذهب ج2 ص376 وأعيان الشيعة ج1 ص482 وج3 ص463 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص442 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص324 وتاريخ الأمم والملوك ج3 ص569 وصفين للمنقري ص162 و 167 وراجع: ص 169.

يملكون ثقافة يعتد بها، وأنهم يفقدون معاني النبل، والسؤدد والرجولة، والكياسة، والشهامة، ويتصرفون برعونة، وارتجال، ومن منطلق الأهواء والميول. ومن دون تعقل وتبصر، أو نظر في عواقب الأمور، ويكونون أيضاً بعيدين عن معاني الكرامة والشهامة، ومن دون حساب للشرع والدين، ولا يهتمون بمصالح العباد..

ثم إن الأشتر قد حاول أن يقدم للأجيال الدليل والشاهد على صحة قوله هذا، فأحرجهم بالمعادلة التي واجههم بها.. وهي أنه إن كان قتالهم لأهل الشام حقاً، فإيقاف القتال يكون باطلاً. وإن كان قتالهم لهم باطلاً، فذلك يعني الحكم على شهدائهم من أمثال عمار بن ياسر، وذي الشهادتين، وأويس القرني، والمرقال.. بدخول النار.

فلما أحرجهم بمنطقه هذا لجأوا إلى المكابرة وإظهار العصيان ليس للأشتر وحسب، وإنما للإمام أيضاً، الذي وصفوه بما يدل على أنهم أصبحوا يتبرَّأون منه، فقالوا للأشتر: ولا نطيع صاحبك، وكأنهم لا يرونه صاحبهم أيضاً..

ثم لم يكن لديهم منطق إلا اللجوء إلى سلاح العاجزين عن الحجة، وهو السب، والتوسل بالعنف، بضرب وجه دابته بسياطهم..

ولأجل ذلك: بادر أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الإنتصار له، بطريقة تدل على أنه «عليه السلام» يدينهم بالعدوان عليه، ويقبح فعلهم معه، حيث قال لهم:

«كفوا عنه! ما لكم وله»؟!

الإفتراء على أمير المؤمنين × بحضوره:

واللافت هنا: أن هذه الإدانة لم تمنعهم من الإفتراء على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهو حاضر يسمع ويرى، حيث تصايحوا قائلين: إن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قبل الحكومة، ورضي بحكم القرآن. ولم يسعه إلا ذلك.

وكأنهم يريدون إسكات الأشتر، وإحراج أمير المؤمنين «عليه السلام» عن جوابهم في آن واحد..

وحاولوا أن يستنطقوه «عليه السلام»، ويستخرجوا منه كلمة تدل على موافقته على أقوالهم، فبقي «عليه السلام» ساكتاً..

وكأنهم يريدون حسم الموضوع بعشوائيتهم هذه، وبهذا الأسلوب الغوغائي الرخيص والمهين..

لماذا سكت أمير المؤمنين ×؟!:

ويبقى هنا سؤال، يقول: لماذا سكت أمير المؤمنين «عليه السلام» عن جوابهم، ولم يبض بكلمة، لا نفياً ولا إثباتاً؟! فإنه «عليه السلام» ليس ممن يسكت عن بيان الحق.

ونجيب:

أولاً: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد بين لهم موقفه بصورة صريحة وتامة، وأوضح لهم دلائله وحيثياته بما لا مزيد عليه، وطلب منهم أن يعيروه سواعدهم وجماجمهم ساعة، فقد بلغ الحق مقطعه،

فتهددوه بالقتل..

كما أنهم قد أعلنوا بصورة قاطعة: أنهم لن يطيعوا الأشتر فيما يدعوهم إليه، ولن يطيعوا صاحبه ـ يعني أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ ما داموا يرون المصاحف على رؤوس الرماح، وما دام معاوية يدعوهم إليها.. ثم تمادوا في غيهم إلى حد السب، والشروع بالعدوان على الأشتر، كما تقدم.

فلا فائدة ترجى من الكلام مع هؤلاء، إلا إن كان المطلوب هو المزيد من شحن النفوس، وتجييش العواطف، وزيادة الطين بلة، والخرق اتساعاً. وأن يمعنوا في كسر الهيبة، وإساءة الأدب.

ثانياً: إن هؤلاء الناس إذا كانوا أعراباً جفاة، ولم يكن لديهم علم يهديهم، ولا عقل يهيمن على حركتهم، ولا تأمل وتدبر، ولا روية ولا تبصر لديهم، فإنهم سوف يسيئون فهم أي كلمة يتفوه بها «عليه السلام».

فإن قال لهم لا أرضى، أو لا أقبل بحكم القرآن، فذلك سيؤدي بهم إلى تكفير، واستحلال دمه، وربما البطش به بسيوفهم في الحال.. ولن يمهلوه ليوضح لهم مراده، ولو أمهلوه، فلن يفهموا توضيحه.. لأنهم تربوا على أيدي حكام اعتمدوا سياسات وجهت الناس نحو الدنيا، وأبعدتهم عن الوعي، وعن الكياسة، والفطنة، وعن القيم والأخلاق..

وإن قال «عليه السلام» لهم: قد رضيت بحكم القرآن، فإنه ـ بنظرهم ـ يكون قد رضي بحكم ابن العاص، وأبي موسى، وبأن يكون

مسؤولاً عن كل ما سينشأ عنه، وسيلزمونه به مع علمه أيضاً بأنهم سوف يجبرونه على تحكيم عدوه في مصيره، أعني أبا موسى، الذي يعرف أنه سيخونه، ويخلعه ويأتي بعبد الله بن عمر مكانه، إنه يعرف أنهم لا يهمهم أن يحكم بالقرآن وما يرضي الرحمان، أو بالهوى، وبما يرضي الشيطان.

دلالات في شعر ابن الأسود:

وقد تضمنت أبيات نافع بن الأسود إشارات ودلالات تشهد لما قلناه، فهو يرى:

1 - أن رفع المصاحف قد كان داهية دهياء، وطخية عمياء. وقد واجهها علي أمير المؤمنين «عليه السلام» بما يقتضيه موقعه كإمام يؤسس للنظرية الإسلامية السياسية بعيداً عن حسابات الربح والخسارة المادية التي لا تعني له شيئاً أمام مسؤوليته أمام الله، لأنه «عليه السلام» لا يمكن أن يفجر كما فجروا، أو أن يمكر كما مكروا، وأن يفرط بدينه، أو يقصر بواجبه، أو يستخدم الوسائل المحرمة لتحقيق انتصار مادي على حساب الدين وأهل الدين.

نعم، إنه «عليه السلام» قد واجه هذه الداهية العظمى بصبر وأناة، وعالجها بحكمة وبمسؤولية، ولم يكن غيره «عليه السلام» لينجو منها لو وقع فيها..

2 - إنه يقول: إن رفع المصاحف قد هدم قبة الإسلام، ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد عاد فبناها، وأقامها، وقامت عليه وحده

دون سواه.

إنه يرى أن الإسلام قد تلاشى، ثم أعاده «عليه السلام» من نقطة الصفر.. فكأنما هو نبي بعثه الله تعالى للأمة، وقد أعاد الدين فيها بعد اندراسه..

خوف معاوية من الأشتر:

والنص المتقدم يقول: إن معاوية أراد في اللحظات الأخيرة أن يهرب من وجه الأشتر، أو أن يرسل إلى الأشتر يطلب منه أن يأخذ له الأمان من علي «عليه السلام»..

ولكنه تذكر شعر عمرو بن الإطنابة، فعدل عن ذلك..

ونحن نرى: أن معاوية أراد الهرب بالفعل، كما دل عليه تصريح اليعقوبي المتقدم، بأنه دعا بفرسه ليهرب عليه، فمنعه عمرو بن العاص، ووعده بخدعة رفع المصاحف، ولكن معاوية يريد بكلامه هذا الذي يخلط فيه بين الحق والباطل أن يصنع فضيلة لنفسه، وهي إيهام الناس بأنه مصداق للمضامين التي أوردها ابن الإطنابة في شعره.

وقد قلنا في بعض الفصول السابقة: أن هذا غير صحيح. فإن جميع المعاني التي أشير إليها في أبيات ابن الإطنابة لا تنطبق على معاوية، ولم يكن من أهلها.

ويمكن تلخيص هذه المضامين على النحو التالي:

إن ابن الإطنابة يدعي لنفسه:

1 - العفة.

2 - إنه قد أبلى في حربه بلاءً حسناً.

3 - إنه يسعى لاكتساب الحمد بالثمن الرابح.

4 - إنه يبذل أمواله للناس على المكروه منه.

5 - إنه كان يضرب بسيفه هامات الأبطال المانعي الذمار.

6 - إنه كلما غالبته نفسه في حالات الفزع، وهاجت واضطربت وهمت بالفرار، يصبرها ويأمرها بالقرار.

7 - إنه إنما يتصبر، ويتحمل ليدافع عن مآثره الصالحة.

8 - إنه يتصبر إلى هذا الحد ليحامي عن عرضه بسيف ذي شطب له خطوط في نصله، صاف كالملح.

9 - إنه يتصبر إلى هذا الحد؛ لأن نفسه لا تقر على القبيح.

وقد تحدثنا في موضع آخر من هذا الكتاب عن أن معاوية لم يكن يتمتع بشيء ذي بال من هذه الصفات والمآثر، فلا نعيد.

الفصل الثامن:

لله الأمر من قبل ومن بعد..

الدعاء قبل وبعد رفع المصاحف:

قال ابن طاوس: ذكر سعد بن عبد الله: أن الدعاء التالي قد دعا به أمير المؤمنين «عليه السلام» قبل رفع المصاحف.

ولكن كلامه بعد قوله هذا ظاهر، بل صريح في أنه «عليه السلام» قد دعا به بعد رفع المصاحف، وبعد صرخة إبليس في الناس، وربما يكون «عليه السلام» قد دعا به أكثر من مرة، أي قبل وبعد رفع المصاحف على حد سواء..

ومهما يكن من أمر، فقد قال ابن طاووس:

إن إبليس صرخ صرخة سمعها بعض العسكر ـ يشير على معاوية وأصحابه برفع المصاحف الجليلة للحيلة ـ فأجابه الخوارج لمعاوية إلى شبهاته[1] فرفعوها، فاختلف أصحاب أمير المؤمنين علي

---

(1) في هذه العبارة تشويش ظاهر: ولعل كلمة معاوية قد زيدت غلطاً، والأصل هكذا: فأجابه الخوارج إلى شبهاته.

«عليه السلام»، كما اختلفوا في طاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حياته.

فدعا «عليه السلام»، فقال:

اللهم إني أسألك العافية من جهد البلاء، ومن شماتة الأعداء.

اللهم اغفر لي ذنبي، وزكّ عملي، واغسل خطاياي، فاني ضعيف إلا ما قويت، واقسم لي حلماً تسد به باب الجهل، وعلماً تفرج به الجهلات، ويقيناً تذهب به الشك عني، وفهماً تخرجني به من الفتن المعضلات، ونوراً أمشى به في الناس، وأهتدي به في الظلمات.

اللهم أصلح لي سمعي وبصري، وشعري وبشري، وقلبي صلاحاً باقياً تصلح بها ما بقي من جسدي.

أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب.

اللهم إني أسألك أي عمل كان أحب إليك، وأقرب لديك، أن تستعملني فيه أبداً.

ثم لقني أشرف الأعمال عندك، وآتني فيه قوة وصدقاً، وجداً وعزماً منك ونشاطاً.

ثم اجعلني أعمل ابتغاء وجهك، ومعاشه فيما آتيت صالحي عبادك.

ثم اجعلني لا أشتري به ثمناً قليلاً، ولا أبتغي به بدلا، ولا تغيره في سراء ولا ضراء، ولا كسلاً ولا نسياناً، ولا رياء، ولا سمعة، حتى تتوفاني عليه.

وارزقني أشرف القتل في سبيلك، أنصرك وأنصر رسولك، أشتري الحياة الباقية بالدنيا، وأغنني بمرضاة من عندك.

اللهم وأسألك قلباً سليماً ثابتاً، حفيظاً منيباً، يعرف المعروف فيتبعه، وينكر المنكر فيجتنبه، لا فاجراً ولا شقياً، ولا مرتاباً.

يا باسط اليدين بالرحمة! يا من سبقت رحمته غضبه! أسألك أن تجعل حياتي زيادة لي في كل خير، واجعل الوفاة نجاة لي من كل شر، واختم لي عملي بالشهادة.

يا عدتي في كربتي! ويا صاحبي في حاجتي! ووليي في نعمتي!

وأسألك أن ترزقني شكر نعمتك، وصبراً على بليتك، ورضى بقدرك، وتصديقاً بوعدك، وحفظاً لوصيتك، وورعاً وتوكلاً عليك، واعتصاماً بحبلك، وتمسكاً بكتابك، ومعرفة بحقك، وقوة في عبادتك، ونشاطاً لذكرك، ما استعمرتني في أرضك.

فإذا كان ما لا بد منه الموت، فاجعل منيتي قتلاً في سبيلك، بيد شر خلقك، واجعل مصيري في الأحياء المرزوقين عندك في دار الحيوان.

اللهم اجعل النور في بصري، واليقين في قلبي، وخوفك في نفسي، وذكرك على لساني، اللهم اجعل رغبتي في مسئلتي إياك رغبة أوليائك في مسائلهم، واجعل رهبتي إياك في استجارتي من عذابك رهبة أوليائك.

اللهم واستعملني في مرضاتك وطاعتك، عملاً لا أترك شيئاً من

مرضاتك وطاعتك، مخافة أحد من خلقك دونك.

اللهم ما آتيتني من خير، فآتني معه شكراً تحدث به لي ذكراً، وأحسن لي به ذخراً، وما زويت عنى من عطاء آتيتني عنه غنى، فاجعل لي فيه أجراً، وآتني عليه صبراً.

اللهم سد فقري في الدنيا، ولا تلهني عن عبادتك، ولا تنسني ذكرك، ولا تقصر رغبتي فيما عندك.

اللهم إني أعوذ بك من الغم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وسوء الخلق، وضَلَعِ الدين، وغلبة الرجال، وغلبة العدو، وتوالى الأيام، ومن شر ما يعمل الظالمون في الأرض، ومن بلية لا أستطيع عليها صبراً.

وأعوذ بك من كل شيء زحزح بيني وبينك، أو باعد منك، أو صرف عنى وجهك، أو نقص به من حظى عندك.

وأعوذ بك أن تحول خطاياي، أو ظلمي، أو إسرافي على نفسي، واتباع هواي، واستعمال شهوتي دون رحمتك وبرك، وفضلك وبركاتك، وموعودك على نفسك.

اللهم إني أعوذ بك من صاحب سوء في المغيب والمحضر، فان قلبه يرعاني، وعيناه تنظراني، وأذناه تسمعاني، إن رأى حسنة أطفأها، وإن رأى سيئة أبداها.

وأعوذ بك من طمع يدنى إلى طَبَعٍ.

وأعوذ بك من ضلالة ترديني، ومن فتنة تعرض لي، ومن

خطيئة لا توبة معها، ومن منظر سوء في الأهل، والمال والولد، وعند غضاضة الموت.

وأعوذ بك من الكفر، والشك والبغي، والحمية والغضب.

وأعوذ بك من غنى يطغيني، ومن فقر ينسيني، ومن هوى يرديني، ومن عمل يخزيني، ومن صاحب يغويني.

اللهم إني أعوذ بك من شر يوم أوله فزع، وأوسطه وجع، وآخره جزع تسود فيه الوجوه، وتجف فيه الأكباد.

وأعوذ بك أن أعمل ذنباً محبطاً لا تغفره أبداً، ومن ذنب يمنع خير الآخرة، ومن أمل يمنع خير العمل، وحياة تمنع خير الممات.

وأعوذ بك من الجهل والهزل، ومن شر القول والفعل، ومن سقم يشغلني، ومن صحة تلهيني.

وأعوذ بك من التعب والنصب، والوصب والضيق، والضلالة والقائلة، والذلة والمسكنة، والرياء والسمعة، والندامة والحزن، والخشوع(1) والبغي، والفتن ومن جميع الآفات والسيئات، وبلاء الدنيا والآخرة.

وأعوذ بك من الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وأعوذ بك من وسوسة الأنفس مما لا تحب من القول، والفعل والعمل.

---

(1) لعل الصحيح: الخنوع.

اللهم إني أعوذ بك من الجن والإنس، والحس واللبس، ومن طوارق الليل والنهار، وأنفس الجن، وأعين الانس.

اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر لساني، ومن شر سمعي، ومن شر بصري.

وأعوذ بك من بطن لا يشبع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، وصلاة لا ترفع.

اللهم لا تجعلني في شيء من عذابك، ولا تردني في ضلالة.

اللهم إني أسئلك بشدة ملكك، وعزة قدرتك، وعظمة سلطانك، ومن شر خلقك أجمعين.

ثم قال أبو عبد الله «عليه السلام»: هذا الدعاء، وهو لكل أمر مهم، شديد وكرب. وهو دعاء لا يرد من دعا به إن شاء الله تعالى[1].

دعاء البداية ودعاء النهاية:

كان الدعاء المتقدم هو آخر الأدعية التي روي لنا: أنه «عليه السلام» دعا بها في حرب صفين، وقد دعا به بعد دعاء الكرب المتقدم في يوم الهرير، ثم الدعاء الذي دعا به ليلة الهرير أيضاً.

ونود أن نذكر هنا دعاء آخراً رواه لنا ابن عباس، فقد قال لعلي

(1) بحار الأنوار ج91 ص238 - 241 عن مهج الدعوات ص124 - 127 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص185 و 186.

«عليه السلام» ليلة الهرير: أما ترى الأعداء قد أحدقوا بنا؟!

قال «عليه السلام»: وقد راعك هذا؟!

قلت: نعم.

فقال «عليه السلام»: قل:

اللهم إني أعوذ بك [من] أن أضام في سلطانك.

اللهم إني أعوذ بك أن أضل في هداك.

اللهم إني أعوذ بك أن افتقر في غناك.

اللهم إني أعوذ بك أن أضيع في سلامتك.

اللهم إني أعوذ بك ان أغلب والأمر لك[إليك] **(1)**.

ونقول:

صرخة إبليس:

ذكرت الرواية التي نقلت لنا الدعاء المتقدم: أن إبليس لعنه الله قد صرخ صرخة سمعها بعض العسكر، يشير على معاوية وأصحابه برفع المصاحف الجليلة للحيلة.

ونلاحظ هنا ما يلي:

---

(1) المصباح للكفعمي ص301 وبحار الأنوار ج73 ص259 وج91 ص242 ونهج السعادة ج6 ص320 و 321 وراجع: مهج الدعوات ص129 و 134 والأمان ص126 عن كتاب دفع الهموم لأحمد بن داود النعمان.

أنه لا غرابة في أن يصرخ إبليس، وأن يسمع صرخته أهل العسكر، فقد ورد نظير ذلك في مواطن كثيرة أخرى..

فمن ذلك: حديث نداء الشيطان بصوت عال في جوف الليل: يا أهل مكة! هذا مذمم والصُّباة معه قد أجمعوا على حربكم.

فقال «صلى الله عليه وآله» للأنصار: ألا تسمعون ما يقول؟!: هذا أزب العقبة. يعني شيطانها.

ثم التفت إليه، وقال: يا عدو الله! أما والله لأفرغن لك(1).

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص184 و 209 - 210 وبحار الأنوار ج57 ص256 وج18 ص224 وج19 ص13 و 26 و 48 وميزان الحكمة ج4 ص3205 ومجمع الزوائد ج6 ص45 وهامش كنز العمال ج10 ص428 وتفسير البغوي ج1 ص337 والجامع لأحكام القرآن ج17 ص168 وتفسير الألوسي ج27 ص111وإكمال الكمال ج1 ص49 وتاريخ مدينة دمشق ج50 ص188 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج2 ص94 وتاريخ الإسلام للذهبي ج1 ص304 والبداية والنهاية ج3 ص200 وج4 ص35 والسيرة النبوية لابن هشام ج2 ص307 وج3 ص596 وعيون الأثر ج1 ص176 والسيرة النبوية لابن كثير ج2 ص204 وج3 ص60 ومسند أحمد ج3 ص462 والكامل في التاريخ ج2 ص100 وسبل الهدى والرشاد ج3 ص206 وج4 ص196 و 269 والسيرة الحلبية ج2 ص178 وص503 والنهاية في غريب الحديث ج1 ص43 ولسان العرب ج1 ص213 والقاموس المحيط ج1 ص77 وتاج العروس ج1 ص302 وج2 ص48 وج6 ص330 .

وللشيطان صرخات ونداءات في العديد من المواطن الأخرى أيضاً، فمن ذلك:

1 ـ نداؤه يوم أحد: قتل رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

2 ـ صرخته حين ولادة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

3 ـ صرخته حين ولادة أمير المؤمنين «عليه السلام» [3].

4 ـ صرخته يوم الغدير[4].

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج41 ص81 وج20 ص94 و 63 ومناقب آل أبي طالب (ط مكتبة الحيدرية) ج2 ص314 وشجرة طوبى ج2 ص284 و 286 وتفسير القمي ج1 ص124 وتفسير نور الثقلين ج1 ص396 وتفسير أبي السعود ج2 ص93 وشرح السير الكبير للسرخسي ج1 ص118 وإعلام الورى ج1 ص177 وقصص الأنبياء للراوندي ص339 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص24 وإمتاع الأسماع للمقريزي ج1 ص164 ودلائل الصدق ج2 ص358 وراجع: غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج4 ص113.

(2) بحار الأنوار ج15 ص258 ـ 290 وراجع ج60 ص241 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص30 والدر النظيم ص57 وراجع: الأمالي للصدوق ص361 و 362 وكمال الدين ص196 و 197 وروضة الواعظين ص66 و 67 وحلية الأبرار ج1 ص24 وراجع ص36 .

(3) علل الشرائع ج2 ص264 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص577 وبحار الأنوار ج60 ص249 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص458 .

(4) راجع: بحار الأنوار ج37 ص120 و 135 و 164 ـ 169 وج60

5 - ولإبليس صرخة في آخر الزمان[1].

وأما سماع الناس رنة الشيطان[2] وكلامه معهم، وسماعهم صوته[1]، فالنصوص فيه كثيرة جداً.

ص256 و 185 وتفسير العياشي ج2 ص301 وتفسير نور الثقلين ج3 ص185 .

(1) راجع: الغيبة للطوسي ص435 و 454 والغيبة للنعماني ص268 وبحار الأنوار ج52 ص289 - 296 و 305 و 206 وكمال الدين ص652 والإرشاد للمفيد ج2 ص371 والخرائج والجرائح ج3 ص1162 وكشف الغمة ج3 ص257 وإعلام الورى ج2 ص279 ونفس الرحمن ص304 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص258 والصراط المستقيم ج2 ص249 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص434 وتفسير أبي حمزة الثمالي ص82 وفضائل أمير المؤمنين لابن عقدة ص203 وراجع: الكافي ج8 ص209 و 310 وشرح أصول الكافي ج6 ص255 وج12 ص277 و 437 ونور الثقلين ج2 ص303.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص137 - 160 (الخطبة القاصعة) رقم 192 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج2 ص28 والطرائف لابن طاووس ص415 وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص220 والصراط المستقيم ج2 ص65 وكتاب الأربعين للشيرازي ص223 وبحار الأنوار ج14 ص476 وج18 ص223 وج38 ص320 وج60 ص264 وجامع أحاديث الشيعة ج1 ص68 والغدير ج3 ص240 وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص403 ومكاتيب الرسول ج1 ص407 ونهج السعادة ج7 ص33 و 145 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي

فتلخص مما تقدم: أنه لا مانع من سماع بعض العسكر صرخة إبليس لعنه الله تعالى..

ج13 ص197 وخصائص الوحي المبين ص28 ونهج الإيمان لابن جبر ص532 وينابيع المودة ج1 ص209.

(1) راجع: الأمالي للطوسي ص176 و 177 والإرشاد للمفيد ج1 ص350 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص163 وج2 ص74 وج14 ص158 و 240 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص101 وبحار الأنوار ج60 ص233 و 159 وج37 ص102 وج42 ص141 وج19 ص226 و 236 و 237 و 255 و 304 وراجع: ج18 ص89 و ج15 ص44 و 45 و 47 وتفسير القمي ج1 ص266 ونور الثقلين ج2 ص132 و 161 ومجمع البيان للطبرسي ج4 ص441 و 477 و 478 والتبيان للطوسي ج5 ص135 وتفسير جوامع الجامع ج2 ص29 ورجال الكشي ص196 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص196 وتفسير الميزان ج9 ص108 وتفسير السمعاني ج1 ص481 وإمتاع الأسماع ج11 ص227 والشفا للقاضي عياض ج2 ص119 ومدينة المعاجز ج2 ص309 وتفسير مقاتل ج2 ص21 وجامع البيان ج10 ص25 و 26 و 27 وتفسير ابن أبي حاتم ج5 ص1715 وأحكام القرآن للجصاص ج3 ص321 والتفسير الكبير للرازي ج15 ص174 والجامع لأحكام القرآن ج 8 ص 26 وتفسير القرآن العظيم ج2 ص330 و 331 والدر المنثور ج3 ص169 و 172 و 190 وتفسير أبي السعود ج4 ص26.

هذا الدعاء:

ولسنا بحاجة إلى التاكيد على أن هذا الدعاء المسمى بدعاء الكرب، قد تعاطى مع الواقع، الذي كان قائماً بنظرة دقيقة وإصلاحية عميقة شاملة تهدف إلى معالجة السلبيات التي سوف يفرزها ما حدث في أكثر من اتجاه.

كما أنه يعبر عن الإهتمام البالغ من أمير المؤمنين «عليه السلام» بوضع الأسس المتينة لانطلاقة جديدة للإسلام، تمكنه من التعايش مع السياسات التي ستحاول تكريس الردة عنه، والعمل على اقتلاع كل جذوره من العقول والنفوس.

ولكنه «عليه السلام» لم يجهر بمراداته بنحو يجلب اهتمام صناع تلك السياسات الخبيثة والمعادية إليها، بل أطلقها على شكل إشارات، ورموز يفهمها المعنيون بها، والمكلفون بحفظ هذا الدين. وتمكينه من تخطي هذه المسالك الوعرة المشحونة بالأفخاخ والمهالك، بنجاح يصل إلى حد الإعجاز..

ويجدر بنا هنا التنويه بهذا النهج الرصين في حفظ الحق والدين، الذي هو من خصوصيات الأنبياء، فإنهم يستفيدون حتى من الدعاء في حفظ الدين وأهله، ونشر الوعي الصحيح.

وهذا النهج قد اتبعه الإمام السجاد «عليه السلام» بعد الذي جرى في كربلاء، حيث أسس لإحياء الدين بعدما ظن أعداؤه أنهم قد قضوا عليه بالقضاء على رموزه وحماته، وحملته..

فاستطاع «عليه السلام» أن يحفظ الدين وأهله بهذه الأساليب الرائعة بعد أن لم يبق أحد يعترف بإمامته سوى ثلاثة أشخاص هم: أبو خالد الكابلي، ويحيى بن أم الطويل، وجبير[1] بن مطعم..[2].

وبعد أن عمّ الجهل بأحكام هذا الدين.. حتى لم يبق أحد حتى من بني هاشم، وهم أقرب الناس إلى أهل بيت النبوة يعرف كيف يصلي، وكيف يحج..[3]. وفي ظل ذلك البغي الهائل في كل اتجاه.

نعم.. في هذه الأحوال الصعبة إستطاع «عليه السلام» أن يؤسس لانطلاقة مدرسة الإمامين، الباقر والصادق «عليهما السلام»، التي طبقت بعلومها الخافقين..

---

(1) لعل الصحيح: حكيم بن جبير.

(2) راجع: الإختصاص للمفيد ص64 و 205 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص123 و 115 و (ط مؤسسة آل البيت سنة 1404 هـ) ج1 ص338 ورجال ابن داود ص202 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص150 وج11 ص30 وشرح أصول الكافي ج10 ص50 وبحار الأنوار ج46 ص144 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص117.

(3) راجع: كشف القناع عن حجية الإجماع ص67.

الفصل التاسع:

القاسطون
على أحرّ من الجمر..

إلحاح القاسطين:

وذكروا: أن أهل الشام حين طال انتظارهم، ولم يأتهم الجواب من قبل علي «عليه السلام» جزعوا، فقالوا: يا معاوية، ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه، فأعدها جذعة، فإنك قد غمرت بدعائك القوم وأطمعتهم فيك.

فدعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص، وأمره أن يكلم أهل العراق.

فأقبل حتى إذا كان بين الصفين نادى: يا أهل العراق، أنا عبد الله بن عمرو بن العاص، إنها قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا، فإن تكن للدين فقد والله أعذرنا وأعذرتم، وإن تكن للدنيا فقد والله أسرفنا وأسرفتم.

وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم، فإن يجمعنا وإياكم الرضا فذلك من الله.

فاغتنموا هذه الفرجة لعله أن يعيش فيها المحترف، وينسى فيها

القتيل.

فإن بقاء المهلك بعد الهالك قليل.

فخرج سعيد بن قيس فقال: يا أهل الشام، إنه قد كان بيننا وبينكم أمور حامينا فيها على الدين والدنيا، سميتموها غدراً وسرفاً، وقد دعوتمونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه بالأمس، ولم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم، ولا أهل الشام إلى شامهم، بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل الله.

فالأمر في أيدينا دونكم، وإلا فنحن نحن، وأنتم أنتم.

وقام الناس إلى علي، فقالوا: أجب القوم إلى ما دعوك إليه، فإنا قد فنينا(1).

ونادى إنسان من أهل الشام في سواد الليل بشعر سمعه الناس، وهو:

رؤوس العـراق أجيبـوا الدعاء ... فقـد بلغـت غايـة الشـــده
وقـــد أودت الـحـرب بالعالمين ... وأهــل الحفــائظ والنجـــده
فلســنــا ولسـتم من المشركين ... ولا المجمعين عــلـى الـــرده
ولكـن أنـــاس لقـــوا مثلهم ... لنـــا عـــدة ولهـــم عـــده
فقـــاتـــل كـــل على وجـهه ... يقحـــمه الجـــد والحـــده
فـــإن تـــقـبـلوها ففيها البقاء ... وأمـــن الفريقـــين والـــبلده

(1) صفين للمنقري ص482 و 483 ونهج السعادة ج2 ص253 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص102 و (تحقيق الشيري) ج1 ص136.

وإن تـــدفـــعوها ففيها الفناء وكـــل بـــلاء إلـــى مـــده
وحتى مـتى مـخض هذا السقاء ولا بـــد أن يخـــرج الزبـــده
ثلاثـــة رهــط هــم أهــلهـا وإن يســكتوا تخمــد الوقـــده
سعيد بن قيس وكـبش العــراق وذاك الـمسود مــن كــنده(1)

قال المنقري:

هؤلاء النفر المسمون في الصلح.

قال: فأما المسود من كندة وهو الأشعث، فإنه لم يرض بالسكوت، بل كان من أعظم الناس قولاً في إطفاء الحرب، والركون إلى الموادعة.

وأما كبش العراق، وهو الأشتر، فلم يكن يرى إلا الحرب، ولكنه سكت على مضض.

وأما سعيد بن قيس، فتارة هكذا وتارة هكذا(2).

وقال المنقري:

حيث شرك الناس علياً في الرأي.

---

(1) تجد هذا الشعر في: صفين للمنقري ص483 و 484 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص182 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص221 و 222.

(2) صفين للمنقري ص484 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص222 .

فجزع النجاشي من ذلك، وقال:

كفى حـــزناً أنَّــا عصينا إمامنا عليــاً وأن القــوم طاعـــوا معـــــــــــــــــــــــــــــاويه
وإن لأهل الشــام في ذاك فضلهم علينــا بمــا قالــوه فالعـــين باكــــــــــــــــــــــــــــــيه
فســبحان مـن أرسى ثبيراً مكانـه ومـن أمسك السبع الطبـاق كمـا هيـــــــــــــــــــــــــــــــــه
أيعصى إمـــام أوجب الله حقــه علينـــا وأهـــل الشـــام طـــوع لطاغيه(1)

ونقول:

توضيحات:

أعدها جذعة: الجذعة من البهائم، ما قبل الثني. والشابة، والمراد: أعدها كما كانت عليه في أول الأمر.

غمر القوم: علاهم شرفاً.

المحترف: صاحب الحرفة. والساعي للكسب. والطالب، والمحتال.

الحفائظ: جمع حفيظة، وهي الغضب للمحارم، والمبادرة للذب عنها.

---

(1) صفين للمنقري ص452 و 453.

مخض السقاء: وضع الماء في السقاء، وتحريكه تحريكاً شديداً لاستخراج زبده.

ثبير: اسم جبل.

أطمعت القوم فيك:

ويقول النص المتقدم: إن أهل الشام قالو لمعاوية: غمرت بدعائك القوم، وأطمعتهم فيك.

وهو كلام غير دقيق:

فأولاً: إن علياً لا يتعامل بهذا المنطق، ولا يسعى لابتزاز الآخرين عن طريق تسويف الوقت، وإرهاق الطرف الآخر عن هذا الطريق. بل هو يعطيه الحق إن كان له حق، ويأخذه منه إن كان مبطلاً وظالماً..

ثانياً: ليس صحيحاً أن معاوية كان متفضلاً على أهل العراق حين رفع المصاحف، بل كان مضطراً إلى ذلك، ساعياً للمكر بهم، والخداع لهم بدعوته هذه..

فلا معنى لقولهم: غمرت أهل العراق بدعائك، أي علوتهم شرفاً وتكرماً!!

وإلا.. فأين كان شرف معاوية، وتكرمه وفضله طيلة هذه الاشهر التي مضت، والتي سفكت فيها دماء زاكية، وازهقت أرواح طاهرة، ونفوس بريئة؟!

القاسطون مستعجلون:

وذكروا: أن الناس ماجوا وقالوا: أكلتنا الحرب وقتلت الرجال. وقال قوم: نقاتل القوم على ما قاتلناهم عليه أمس.

ولم يقل هذا إلا قليل من الناس.

ثم رجعوا عن قولهم مع الجماعة، وثارت الجماعة بالموادعة.

فقام علي أمير المؤمنين، فقال: إنه لم يزل أمرى معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وأخذت من عدوكم فلم تترك، وإنها فيهم أنكى وأنهك.

ألا إني كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهياً.

وقد أحببتم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون(1).

[وعند ابن أعثم:

فقال علي «رضي الله عنه»: أيها الناس! إنه ليس مع كتاب الله

---

(1) صفين للمنقري ص484 ونهج السعادة ج2 ص254 و 255 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص535 وشجرة طوبى ج2 ص341 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص724 و 725 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص219 و 220 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص104 و (تحقيق الشيري) ج1 ص138 و 139 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص185 و186.

تعالى أمر، ولا مع حكمه حكم. هذا كتاب الله قد دعانا القوم إليه، وأنا أحب أن أحيي ما أحيى القرآن، وأميت ما أمات القرآن، وقد علمتم أننا كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في يوم الحديبية، فأردنا أن نقاتل إنكاراً للصلح حتى نهانا عن ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن أهل الشام إنما دعونا إلى كتاب الله عز وجل اضطراراً ونجيبهم إعذاراً، واسكنوا حتى ننظر ما الذي يريدون أن يصنعوا(1).

قال المنقري:

ثم قعد، ثم تكلم رؤساء القبائل، فأما من ربيعة وهى الجبهة العظمى فقام كردوس بن هانئ البكري، فقال: أيها الناس، إنا والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه، ولا تبرأنا من علي منذ توليناه.

وإن قتلانا لشهداء، وإن أحياءنا لأبرار، وإن علياً لعلى بينة من ربه، ما أحدث إلا الإنصاف، وكل محق منصف، فمن سلَّم له نجا، ومن خالفه هلك.

ثم قام شقيق بن ثور البكري فقال: أيها الناس، إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله، فردوه علينا، فقاتلناهم عليه. وإنهم دعونا إلى كتاب الله، فإن رددناه عليهم حل لهم منا ما حل لنا منهم.

ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله.

وإن علياً ليس بالراجع الناكص، ولا الشاك الواقف، وهو اليوم

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص188 و 189 و 183 و 184.

على ما كان عليه أمس.

وقد أكلتنا هذه الحرب، ولا نرى البقاء إلا في الموادعة.

ثم قام حريث بن جابر البكري، فقال: أيها الناس، إن علياً لو كان خلفا [خلواً] من هذا الأمر لكان المفزع إليه، فكيف وهو قائده وسائقه.

وإنه والله ما قبل من القوم اليوم إلا ما دعاهم إليه أمس، ولو رده عليهم كنتم له أعنت [كنتم عليه أعتب].

ولا يلحد في هذا الأمر إلا راجع على عقبيه، أو مستدرج بغرور.

فما بيننا وبين من طغى علينا إلا السيف(1).

[وذكر ابن أعثم أبياتاً منها قوله:

فلا تعجل معاوية بن حرب وإن سرور ما تهوى غرور

فإنك والخلافة يابن حرب لكالحادي وليس له بعير(2)

وقال المنقري:

ثم قام خالد بن المعمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا والله ما اخترنا هذا المقام أن يكون أحد هو أولى به منا، غير أنا جعلناه ذخراً، وقلنا: أحب الأمور إلينا ما كفينا مؤنته.

فأما إذ سبقنا في المقام، فإنا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك إليه

(1) صفين للمنقري ص484 و 485 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص188 و 189 ونهج السعادة ج2 ص255 و 256.
(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص188 و 189 و 183 و 184.

القوم، إن رأيت ذلك، فإن لم تره فرأيك أفضل.

ثم إن الحضين الربعي ـ وهو أصغر القوم سناً ـ قام فقال: أيها الناس، إنما بني هذا الدين على التسليم، فلا توفروه [تعملوا فيه] بالقياس ولا تهدموه بالشفقة، فإنَّا والله لولا أنَّا لا نقبل إلا ما نعرف لأصبح الحق في أيدينا قليلاً، ولو تركنا ما نهوى لكان الباطل في أيدينا كثيراً، وإن لنا داعياً قد حمدنا ورده وصدره، وهو المصدق على ما قال، المأمون على ما فعل.

فإن قال: لا، قلنا: لا، وإن قال: نعم، قلنا: نعم.

فبلغ ذلك معاوية، فبعث إلى مصقلة بن هبيرة، فقال: يا مصقلة، ما لقيت من أحد ما لقيت من ربيعة.

قال: ما هم منك بأبعد من غيرهم، وأنا باعث إليهم فيما صنعوا.

فبعث مصقلة إلى الربعيين فقال:

لن يهلك القوم أن تبدى نصيحتهم إلا شقيق أخو ذهل وكردوس
وابن المعمر لا تنفك خطبته فيها البيان وأمر القوم ملبوس
أما حريث فان الله ضلله إذ قام معترضا، والمرء كردوس
طاطا حضين هنا في فتنة جمحت إن ابن وعلة فيها، كان، محسوس
منوا علينا ومناهم وقال لهم قولا يهيج له البزل القناعيس
كل القبائل قد أدى نصيحته إلا ربيعة زعم القوم

محبوس

وقال النجاشي:

إن الأراقم لا يغشاهم بوس ما دافع الله عن حوباء كردوس
نمته من تغلب الغلبا فوارسها تلك الرؤوس وأبناء المرائيس
ما بال كل أمير يستراب به دين صحيح ورأي غير ملبوس
والي علياً بغدر بذ منه إذا ما صرح الغدر عن رد الضغابيس
نعم النصير لأهل الحق، قد علمت علياً معد، على أنصار إبليس
قل للذين ترقوا في تعنته إن البكارة ليست كالقناعيس
لن تدركوا الدهر كردوسا وأسرته أبناء ثعلبة الحادى وذو العيس

وقال فيما قال خالد بن المعمر:

وفت لعلي من ربيعة عصبة بصم العوالي والصفيح المذكر
شقيق وكردوس ابن سيد تغلب وقد قام فيها خالد بن المعمر
وقارع بالشورى حريث بن جابر وفاز بها لولا حضين بن منذر
لأن حضينا قام فينا بخطبة من الحق فيها ميتة المتجبر
أمرنا بمر الحق حتى كأننا خشاش تفادى من قطام بقرقر
وكان أبوه خير بكر بن وائل إذا خيف من يوم أغر مشهر
نماه إلى علياً عكابة عصبة وآب أبي للدنية أزهر (1)

---

(1) صفين للمنقري ص485 - 487 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3

وقال الصلتان أبياتاً تراجع في المصادر[1].

وقال المنقري:

قال: فلما ظهر قول حضين رمته بكر بن وائل بالعداوة، ثم إن علياً أصلح بينهم.

وقال رفاعة بن شداد البجلى [وكان من أفاضل أصحاب علي «رضي الله عنه»]:

أيها الناس، إنه لا يفوتنا شيء من حقنا، وقد دعونا في آخر أمرنا إلى ما دعوناهم إليه في أوله.

وقد قبلوه من حيث لا يعقلون.

فإن يتم الأمر على ما نريد [وحكم بالقرآن على ما فيه من الحق]، فبعد بلاء وقتل، وإلا أثرناها جذعة، [فهذه سيوفنا في رقابنا، وأرماحنا في أكفنا]، وقد رجع إليه جدنا[2].

ونقول:

إيضاحات:

أعنت: من العنت، وهو التعب والمشقة.

ص183 - 184 .

(1) راجع الهامش السابق.

(2) صفين للمنقري ص489 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص184 - 185 وراجع: نهج السعادة ج2 ص256.

لا توفروه بالقياس: لا توسعوه.

الصَّدَر: بفتحتين هو الرجوع عن الماء بعد وروده.

البزل: جمع بازل، وهو البعير الذي فطر نابه، أي انشق بدخوله في السنة التاسعة.

الأراقم: هم جشم، ومالك، وعمرو، وثعلبه، والحت، ومعاوية بنو بكر بن حبيب.

حوباء: الحوباء النفس.

الضغابيس: جمع ضغبوس، وهو الرجل الضعيف.

الغلباء: لقب لتغلب بن وائل.

القناعيس: جمع قنعاس. وهو الجمل الضخم العظيم.

المرائيس: جمع مرآس، وهو المتقدم السابق.

الحشاش: ضعاف الطير.

القطام: الصقر.

القرقر: الأرض المطمئنة اللينة.

الأسحم: السحاب.

الغوابر: الباقيات. والغابر: الماضي، فهو من الأضداد.

هذا الحوار:

إن ما سبق من أقوال يدل على تباين آراء الناس الذين كان مع أمير المؤمنين «عليه السلام» في ما عرضه عليهم معاوية.. ولكن

الأخطر من الرأي: هو أن يرى هؤلاء أن لهم الحق في حمل إمامهم على آرائهم، وإلزامه بها.. وهو إمام معصوم، نصبه الله ورسوله لهذا المقام، فكان إماماً وخليفة وحاكماً، وقد بايعه الناس ـ وهم منهم ـ على السمع والطاعة، لا على المشاركة في القرار، وفي الحكم!!

والأغرب من ذلك: أنهم قد رأوا له من الكرامات والمعجزات، وأخبرهم بكثير من الغيوب، ولم يبق لهم أي عذر في مخالفته، أو في الإعتراض عليه، أو حتى في إبداء الرأي بحضرته..

فكيف إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم: بأن علياً مع الحق والحق مع علي؟!

ثم هؤلاء هم يتعمدون مخالفته «عليه السلام»، وحتى تهدديه بالقتل لكي يعمل برأيهم، وينتهي إلى أمرهم!!

رواية المنقري أصوب:

ذكر النص المتقدم: أنه لما ثارت جماعة أمير المؤمنين «عليه السلام» بطلب الموادعة، صرَّح «عليه السلام»: بأنه لم يزل أمري معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب وتركت، ولكنها أخذت من أصحاب معاوية ولم تترك. وكانت فيهم أنكى وأنهك، وذكر لهم أيضاً ـ بمرارة ـ: أنه كان أمس أميراً، فأصبح اليوم مأموراً.. وأنه ليس له أن يحملهم على ما يكرهون..

وهذا كلام سليم وقويم، ومتوافق مع سائر النصوص التي دلت على أنه «عليه السلام» كان يعرف أن رفع المصاحف خدعة، وأن

الصواب هو مواصلة الحرب، وأنه غير راض بموقف أصحابه..

وذكرت أيضاً: أن الأشعث ومعه عشرون ألفاً ممن صاروا خوارج تهددوه بالقتل تارة، وبتسليمه إلى معاوية أخرى، وبتركه ومفارقته، وعدم حرب اليمانية معه ثالثة..

وقد ذكرنا: أنه إذا قامت الدلائل وتضافرت الشواهد، وعلم الإمام بأن رفع المصاحف كان خديعة ومكيدة، ومكراً لم يجز له أن يجيب إلى وقف القتال.. لأن في هذا تفريطاً بمصالح الأمة، وتضييعاً للحق وللدين، وخيانة للأمانة، وإعانة على معصية الله تعالى.

رواية ابن أعثم مرفوضة:

وبما تقدم كله وسواه نعرف: أن ما ذكره ابن أعثم، من أنه «عليه السلام» كان راضياً، بل راغباً بوقف القتال، ويحاول أن يقنع أصحابه به، مستشهداً بما كان في صلح الحديبية، غير دقيق، بل غير صحيح.

إلا إن كان «عليه السلام» قد قال هذا الكلام بعد أن أجبروه على قبول وقف القتال. فلما قبل به مكرهاً، وأعطى القوم العهد بذلك، أرادوا منه أن ينقض عهده، ويخيس بوعده..

فحاول أن يقنعهم بأنه لا يمكن أن ينقض عهداً أعطاه أحداً من الناس، فإن أمور الناس إنما تقوم على الإلتزام بالعهود، والوفاء بالوعود..

أما ما نسبه ابن أعثم إليه «عليه السلام» من أنه قال: «فأردنا أن نقاتل إنكاراً للصلح حتى نهانا عن ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»..» لم يكن يقصد به نفسه، بل كان يقصد به الذين أنكروا الصلح، وقالوا: «وكيف نعطي الدنية في ديننا».. وصرحوا بأنهم قد شكوا في نبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويبدو من هذه العبارة: أنهم حاولوا المبادرة لنقض الصلح بافتعال مشكلة مع المشركين، فمنعهم «صلى الله عليه وآله».

ولا شك في أن علياً «عليه السلام» لم يكن من هؤلاء، ولكنه «عليه السلام» كان يتكلم بصيغة المتكلم الذي معه غيره، فيقول: «أردنا»، «نقاتل»، «نهانا» مريداً به المسلمين الذين على نحو الإهمال والإجمال، لأنه لو حدد الأسماء لثارات ثائرة محبي بعض من شارك أو تزعم هذا الفريق الذي كان يريد أن يفعل ذلك.

وهذا التعبير يدل على أن الأكثرية الساحقة كانت موافقة على الرأي المخالف، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» وعلياً «عليه السلام» وجماعة صغيرة كانت في الطرف الآخر.

وسياق الأحداث في الحديبية شاهد صدق على هذا أيضاً.

خطأ شقيق بن ثور:

وتقدم: أن شقيق بن ثور قد استدل على لزوم إجابة دعوة القاسطين: بأن علياً «عليه السلام» دعاهم إلى كتاب الله فأبوا أن

يجيبوه، فحل له قتالهم. وهم الآن يدعون علياً «عليه السلام» إلى كتاب الله، فلو لم يجيبوهم لحل لأهل الشام قتل علي ومن معه..

وهذا كلام باطل:

أولاً: لأن علياً «عليه السلام» إمام، والخارجون عليه بغاة يجب قتالهم بحكم القرآن، ولا يعطون أية مهلة، ولا سيما بعد رفضهم لحكم الكتاب حين عرضه «عليه السلام» عليهم.

ثانياً: إذا علم الإمام أن رفع المصاحف خديعة ومكيدة لم يجز له أن يجيب المخادعين إلى ما يحقق هذا الخداع، لأنه يكون معيناً لهم على المعصية، ولأن إيقاف القتال في هذه الصورة يكون خيانة، وتفريطاً بمصالح الدين وأهله.

ثالثاً: لو لم نعرف نحن حكم الشرع، ورأينا وسمعنا علياً يقول: هذا هو الحكم الشرعي، فيجب قبول ذلك منه، وكل من يخالفه يكون مخطئاً ومفتئتاً على الله. فليس لشقيق ولا لغيره أن يجتهد في مقابله، ولا أن يقرر ويحكم على إمامه، وعليه أن يطيع أمر الإمام، والإمام هو الذي يقرر وفقاً لما لديه من معطيات، لا سيما وأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: علي مع الحق والحق مع علي، ويدور معه حيث دار..

رابعاً: قول شقيق: ليس عليٌّ بالراجع الناكص، ولا بالشاك الواقف، لا يصلح الرأي الفاسد الذي جاء به، لأنه إنما أراد بهذا أن يقول: إن قبول علي بكتاب الله لا يعد هزيمة له، فعليه أن يرضى بما

عرضه عليه معاوية؟!

كما أنه ليس شكاً في الدين، ولا حيرة ووقوفاً، لكي لا يرضاه على نفسه، لأنه كما عمل أمس بكتاب الله، وحارب أهل الشام، فعليه أن يعمل اليوم بكتاب الله أيضاً بامتناعه عن حربهم بعد أن أكره على إعطاء العهد من قبل قاصري النظر.

هذا ما قصده شقيق بن ثور بكلامه المتقدم.

وجوابه قد ظهر مما قدمناه، من أن توقف علي «عليه السلام» عن حربهم اليوم معصية لله، لأنه معونة لهم على الإثم، وخيانة للدين، وللأمة كما أوضحنا..

كلمات حضين &:

وقد لاحظنا: أن كلمات حضين بن المنذر قد جاءت على شكل ضوابط ومعايير، جعلتها ذات قيمة خاصة، فقد تضمنت ما يلي:

1 - إن الدين مبني على التسليم.

2 - إنه لا يصح إعمال القياس فيه.

3 - إن الإنقياد للعاطفة والهوى والميل يوجب هدم الدين.

4 - إذا كان الدين مبنياً على التسليم والقبول، وجب المضي فيه على كل حال، ولو لم تعرف الأسباب والعلل، إذ لو أريد الإقتصار على ما عرفت أسبابه وعلله، لم يبق في أيدي الناس من الحق إلا قليل..

5 - استدل على لزوم عدم الإنقياد للميول والعواطف: بأن ذلك يوجب كثرة الباطل في أيدي الناس.

6 - أن لدى أهل الحق قائد وإمام قد جربوه، فحمدوه في تدبيره، وفي إيراده الأمور وإصدارها. وهو صادق القول، ومأمون الفعل، وهذا كاف في بلورة وجوب الإنقياد له..

كلام رفاعة بن شداد:

ويبدو: أن رفاعة بن شداد قد أدرك أن الأمور تتجه نحو قبول التحكيم، لأن الإصرار على الحرب معناه: السماح بحصول فتنة وقتال بين أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام».

وقد دل على ذلك: اعتزال العشرين ألفاً، وتهديد الأشعث بالإعتزال مع اليمانية. فاستبق رفاعة الأمور، وأعلن: أن قبول التحكيم إذا حصل، فلا يعني القبول بالحكم إذا جاء مخالفاً للقرآن، بل ينظر في الحكم، فإن وافق القرآن، فبها، ويكون هو الثمرة الطبيعية للتضحيات التي قدمها أهل الحق.. وإن خالف الحق، فلا بد من العودة للحرب، وإن كان هذا الإيقاف سيؤدي إلى تأخيرها..

فلا يظنن المتلهفون على إيقاف القتال أنهم يقدمون خدمة لمعاوية..

وكان من الضروري: أن يسمع الناس هذا الكلام من غير علي «عليه السلام»، فأسمعهم إياه رفاعة..

كما أنه كان من الضروري أن يسمعوا من شقيق بن ثور، ومن حريث بن جابر، وحضين بن المنذر: أن التسليم للإمام واجب. وأن كل اعتراض عليه غير سديد ولا رشيد، وقد سمعوا ذلك أيضاً.

نتائج يتوقعها علي ×:

وحين رجع أصحاب الإمام «عليه السلام» عن القتال بصفين، انخداعاً منهم برفع المصاحف، قال لهم «عليه السلام»:

لقد فعلتم فعلة ضعضعت من الإسلام قواه، وأسقطت مُنّته(1)، وأورثت وهناً وذلةً.

لما كنتم الأعلين، وخاف عدوكم الإجتياح، واستحر بهم القتل، ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف، ودعوكم إلى ما فيها، ليفثأوكم عنهم، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم. ويتربص بكم ريب المنون خديعة ومكيدة.

فما أنتم إن جامعتموهم على ما أحبوا، وأعطيتموهم الذي سألوا إلا مغرورون.

وأيم الله، ما أظنكم بعدها موافقي رشد، ولا مصيبي حزم(2).

---

(1) المنة: القوة.

(2) الإرشاد للمفيد ج1 ص268 و 269 وبحار الأنوار ج33 ص309 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص199 وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص107 والمعيار والموازنة ص184

ونقول:

إن هذا النص قد تضمن أموراً ثلاثة:

الأول: بيان أن معاوية وأصحابه أرادوا دفع القتل عن أنفسهم، بإيقاف الحرب، لما وجدوا أن دائرتها تدور عليهم.. وأن هدفهم من ذلك المكيدة والخديعة.. وأن أصحابه قد خدعوا..

الثاني: إن لما فعله أصحابه بأنفسهم أثراً واقعاً لا محالة. وهو أنهم سوف لا يوافقون فيما يقررونه رشداً، ولا يصيبون فيما يفعلونه حزماً.. وذلك على قاعدة: «في الصيف ضيعت اللبن».

الثالث: إن هذا الذي جرى قد أصاب كيان الإسلام في الصميم، وضعضعه، وأسقط منّته (أي قوته).

ولعل عدم إصابتهم للحزم، وعدم موافقتهم للرشد كان جزاء لهم، لما أصاب الإسلام من وهن بسببهم، فسلبهم الله تعالى التوفيق، وحجب عنهم ألطافه، حيث ظهر أنهم لا يستحقونها.. لأنهم لو لم يفعلوا ما فعلوه، وواصلوا قتالهم للقاسطين، وكسروا شوكتهم، وأبطلوا أطروحتهم، وأبادوا كيدهم، لضاعف ذلك من قوة الإسلام، ولكان قد تمكن في القلوب والنفوس، وهيمن على حياة الناس، ولكان جيل من الناس قد نشأ وتربى عليه، وذاق حلاوة الالتزام به، والعيش

وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص56 و (ط الأعلمي) ج4 ص40 والكامل في التاريخ ج3 ص322.

في آفاقه، ولكانت شوكة أهل الضلال قد ازدادت ضعفاً، وربما كانت قد تلاشت وذهبت.

أما وقد أعانوا أهل الباطل على باطلهم، فإن هذا الباطل نفسه الذي قوي وانتعش سيكون هو الذي يفسد حياتهم، ويعبث بها، ويسير بهم إلى الإضمحلال، ثم الزوال..

فهم قد جنوا على أنفسهم، وأفسدوا تدبيرهم، وأساؤا إلى حاضرهم ومستقبلهم.

كتاب معاوية لعلي ×:

قال المنقري:

وكتب معاوية إلى علي:

«أما بعد، عافانا الله وإياك، [فإني إنما قاتلت على دم عثمان وكرهت التدهين في أمره وإسلام حقه، وقلت: إن أدرك به ثاراً فبها ونعمت، وإن تكن الأخرى، فإن الموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم].

فقد آن لك أن تجيب إلى ما فيه صلاحنا، وألفة بيننا، وقد فعلت وأنا أعرف حقي، ولكن اشتريت بالعفو صلاح الأمة، ولا أُكْثِرُ فرحاً بشيء جاء ولا ذهب، وإنما أدخلني في هذا الأمر القيام بالحق فيما بين الباغي والمبغى عليه، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فدعوت إلى كتاب الله فيما بيننا وبينك، فإنه لا يجمعنا وإياك إلا

هو، نحيي ما أحيا القرآن، ونميت ما أمات القرآن. والسلام»(1).

ونقول:

لا نريد أن نهتم كثيراً بما يسطره معاوية في رسائله من أباطيل، فقد سئمنا ومللنا، لكثرة إصراره على تسويقها، بالرغم من أن أمير المؤمنين «عليه السلام» وأصحابه قد فندوها وأبطلوها بما لا مزيد عليه مرات وكرات.

ولكن معاوية لا يسأم من تكرارها، ربما لأنه يرى أن هذا الإصرار يوحي للناس بثقته هو بصحتها، فلعل أحداً ينخدع بها، ويرضاها منه، أو يعذره فيما يقدم عليه.

ولكننا نريد هنا التذكير بما يلي:

الموت أجمل من الحياة على الضيم:

إن من المضحك المبكي: أن نرى معاوية لا يستحي من أن يكتب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»: إنه كره التدهين في أمر عثمان، فإن أدرك ثأره فبها، وإلا فإن الموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم، فيلاحظ:

1 - أن معاوية هنا: يشبه النعامة التي تدفن رأسها في الرمال،

---

(1) صفين للمنقري ص497 و 498 وبحار الأنوار ج32 ص538 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص226 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص192 وراجع: الأخبار الطوال ص191.

حتى لا يراها صيادها.. فإنه يعلم أن أمره لم يكن خافياً على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولم يزل «عليه السلام» يعلن له ولغيره بأنه عارف بأمره، بصير بدائه وبدوائه.

وقد صرح «عليه السلام»: بأن معاوية أكثر الناس فرحاً وسعادة بقتل عثمان، وقد منع الجيش من الوصول إليه لنجدته..

وقال له «عليه السلام»: إنه هو القاتل الحقيقي لعثمان، ومعه عمرو بن العاص الذي اعتزل بفلسطين ساعياً في التأليب عليه، فلما بلغه قتله قال: أنا أبو عبد الله، إني إذا نكأت قرحةً أدميتها.

هذا فضلاً عن جهود عائشة وطلحة والزبير وسواهم لقتله. فلما تم لهم ما أرادوا طالبوا بدمه أبرأ الناس منه، وحاربوه وقتل بسببهم عشرات الألوف من المسلمين في الجمل، وصفين، والنهروان..

وامتدت آثار ذلك على شكل عداوات وقتل وتنكيل، وبغي وظلم، وهتك للحرمات إلى العشرات، بل مئات السنين، ولا تزال إلى يومنا هذا.

2 - إن معاوية يدعي أنه على استعداد للموت في سبيل ثارات عثمان، فإن الموت أجمل من الحياة على الضيم.. ولكن أبي الضيم هذا (!!) لم يزل يهرب من وجه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلا يبرز إليه. كما أنه يهرب مرات عديدة من وجه المقاتلين الأشاوس في صفين، مثل سعيد بن قيس وكثيرين آخرين مما هاجموه حتى بلغوا سرادقه، فهرب منهم.. إلى أن دعا بفرسه أخيراً ليهرب من وجه الأشتر، فصده عمرو بن العاص عن

ذلك بخدعة رفع المصاحف.

كما أن أبي الضيم هذا يصرح: بأنه لا يحارب بنفسه وعنده أمثال عك والأشعريين وسواهم، فإذا عجزوا عن ذلك لم يحارب أيضاً، بل يهرب.. ويهرب إلى قطع النفس.. ولكنه ولا يزال أبي الضيم، يرى الموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم!!

عفواً.. لعلنا لم نفهم مراده، فلعله يقصد أن يموت الآخرون من أجله، وفي سبيل حصوله على الدنيا والملك ـ حتى لو بلغوا عشرات ومئات الألوف ـ أجمل من حياتهم بدون سلطة وملك، يكون وسيلته إلى ظلم وسلب الناس، والعدوان على حقوقهم، وهتك حرماتهم، وهدم دينهم، والقضاء على كل نبضات الحياة فيه وفيهم إن استطاع.

فإن كان مراده هذا، فلا نملك إلا أن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وساعد الله قلبك يا أمير المؤمنين، يا علي بن أبي طالب!!

3 ـ والغريب في الأمر: أن هذا الذي يريد أن يموت على الحق، ولا يريد الحياة على الضيم.. يسعى لإقناع نفس الشخص الذي يدعي أن ثأره عنده، ويأتيه الضيم منه على وجه الخصوص، وهو علي بن أبي طالب ـ يسعى لإقناعه ـ بأن يتفق معه، ويوقف القتال.. فلماذا رضي الآن بالضيم معه، مع من يرى أن حقه عنده.

4 ـ والأغرب والأعجب من هذا وذاك، وذلك: ادعاؤه أنه يشتري صلاح الأمة بالعفو. وليت شعري أي عفو هذا بعد أن قتل سبعين ألف قتيل، بل مئة وعشرة آلاف قتيل، فيهم طائفة من عظماء الأمة،

وخيارها وأبرارها؟!

ولماذا لم ير صلاح الأمة قبل الشروع في هذه الحرب؟! وقبل قتل هؤلاء؟! ولماذا لم يره إلا بعد أن دعا بفرسه ليهرب عليه، وبعد أن وعده عمرو بن العاص بأن يدبر لخديعة علي «عليه السلام»؟!

مكاتبات بين علي × وابن العاص:

قال المنقري:

وكتب علي إلى عمرو بن العاص [يعظه ويرشده] [قبل رفع المصاحف]:

«أما بعد.. فإن الدنيا مشغلة عن غيرها، ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرصاً يزيده فيها رغبة، ولن يستغني صاحبها بما نال عما لم يبلغه. ومن وراء ذلك فراق ما جمع.

والسعيد من وعظ بغيره. [وإن الذي تنازعت فيه من الدنيا، فإنها غرارة].

فلا تحبط أبا عبد الله أجرك، ولا تجار معاوية في باطله».

فأجابه عمرو بن العاص:

«أما بعد.. فإن ما فيه صلاحنا وألفتنا الإنابة إلى الحق، وقد جعلنا القرآن حكماً بيننا فأجبنا إليه.

وصبر الرجل منا نفسه على ما حكم عليه القرآن، وعذره الناس بعد المحاجزة. [واصبر أبا حسن، فإننا غير منيليك إلا ما أنالك القرآن]

والسلام».

فكتب إليه علي:

«أما بعد.. فإن الذى أعجبك من الدنيا مما نازعتك إليه نفسك، ووثقت به منها لمنقلب عنك، ومفارق لك.

فلا تطمئن إلى الدنيا، فإنها غرارة.

ولو اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقي، وانتفعت بما وعظت به.

والسلام».

فأجابه عمرو:

«أما بعد.. فقد أنصف من جعل القرآن إماماً ودعا الناس إلى أحكامه.

فاصبر أبا حسن، وإنَّا غير منيلك إلا ما أنالك القرآن»[1].

ونقول:

إن لنا هنا وقفات، هي التالية:

---

(1) صفين للمنقري ص498 و 110 و 111 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص192 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص227 وبحار الأنوار ج32 ص538 و 539 وراجع: نهج السعادة ج4 ص276 والأمالي للطوسي ص217 ح381 وراجع: معادن الحكمة ج1 ص210 رقم 7 وجمهرة رسائل ج1 ص485 رقم 452 والأخبار الطوال ص191.

كتاب علي × إلى ابن العاص:

أما الكتاب الذي تقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كتبه إلى عمرو بن العاص، وفيه قوله: «فلا تحبط أجرك أبا عبد الله، ولا تجارين معاوية في باطله»، فقد تحدثنا عنه في فصل سابق(1).

ولكن ابن أعثم والمنقري قد ذكراه في هذا المقام. أي بعد رفع المصاحف.

ونحن نشك في ذلك، ونرى أن الصحيح هو أن يذكر في ذلك الموضع، وذلك لما يلي:

ألف: كيف يكتب علي «عليه السلام» إلى عمرو بن العاص بعد رفع المصاحف، ليقول له: «فلا تحبط أجرك أبا عبد الله، ولا تجارين معاوية في باطله»، فهل كان عمرو مأجوراً في مشاركته في قتل تلك الثلة الطيبة من المهاجرين والأنصار بما فيهم عمار بن ياسر؟!

وهل إلى الآن لم يجار عمرو معاوية في باطله؟!

وهل هو يجاريه في باطله، أم يشاركه فيه؟! ويجترح له المكائد والمصائد، وينقذه من المهالك، ويلقي الفتن في جيش أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويتسبب بضعضعة الإسلام، وإسقاط قوته؟!

على أن ابن أبي الحديد المعتزلي يقول: «قال نصر: وهذا أول

---

(1) راجع الجزء السابع والعشرون، الباب الرابع، الفصل الرابع تحت عنوان: علي «عليه السلام» يكاتب ابن العاص.

كتاب كتبه علي «عليه السلام» إلى عمرو بن العاص»(1).

ب: يبدو لنا: أن قول عمرو في رسالته: «وصبر الرجل منا نفسه على ما حكم عليه القرآن، وعذره الناس بعد المحاجزة» قد جاء جواباً على رسالة بعثها إليه علي «عليه السلام» بعد حصول التحكيم، ولعلها كانت شديدة الوطأة عليه، ولعله توعدهم فيها بالعودة إلى القتال، فأجابه عمرو بن العاص بهذا النحو المؤذي، مدعياً أن الحكم الذي صدر هو حكم القرآن، وأنهم لن يعترفوا له بشيء سواه، وأن خلعه من الخلافة قد تحقق، وعليه أن يصبر على ما أصابه.

إلا أن يقال: إن قول عمرو: «واصبر أبا حسن، فإننا غير منيليك إلا ما أنالك القرآن» إنما يريد: أنه لن ينيله أكثر من ذلك حين يفاوض أبا موسى في دومة الجندل. إلا أن يقال: إن عمرواً إنما يتكلم مع علي «عليه السلام» على سبيل الشماتة، وبهدف الإيذاء بهذه الكلمات الوقحة والفجة..

فأجابه «عليه السلام»: بأن ما طمع به من الدنيا سوف يفارقه، وينقلب عنه، ولو اعتبر بما مضى لحفظ ما بقي، ولكان قد وعظ به.

نجيب القرآن.. ولا نجيب معاوية:

قال المنقري، وابن أعثم:

فأرسل معاوية إلى علي:

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص15 ونهج السعادة ج4 ص252.

«إن الأمر قد طال بيننا وبينك، وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه، ولن يعطي واحد منا الطاعة للآخر.

وقد قتل فيما بيننا بشر كثير، وأنا أتخوف أن يكون ما بقي أشد مما مضى، وإنَّا [سوف] نسأل عن ذلك الموطن، ولا يحاسب به غيرى وغيرك.

فهل لك في أمر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة، وصلاح للأمة، وحقن للدماء، وألفة للدين، وذهاب للضغائن والفتن: أن يحكم بيننا وبينك حكمان رضيان: أحدهما من أصحابي، والآخر من أصحابك.. فيحكمان بما في كتاب الله بيننا، فإنه خير لي ولك، وأقطع لهذه الفتن.

فاتق الله فيما دعيت له، وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله. والسلام».

[فصاحت به الناس: إننا قد رضينا بحكم القرآن.

فقال أبو الأعور: فالحمد لله على ذلك، ووفقنا وإياكم لصالح الأمور. ثم انصرف إلى العسكر].

إلى أن قال: [فقال عمرو لمعاوية: كيف رأيت رأيي؟! لقد كنت غرقت في بحر العراق، وأنقذتك!!

فقال معاوية: صدقت أبا عبد الله، ولمثلها كنت أرجوك].

فكتب إليه علي بن أبى طالب:

«من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان.

أما بعد.. فإن أفضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما يحسن به فعله، ويستوجب فضله، ويسلم من عيبه.

وإن البغي والزور يزريان بالمرء في دينه ودنياه، ويبديان من خلله عند من يغنيه ما استرعاه الله ما لا يغني عنه تدبيره.

فاحذر الدنيا، فإنه لا فرح في شيء وصلت إليه منها.

ولقد علمت أنك غير مدرك ما قضي فواته.

وقد رام قوم أمراً بغير الحق، فتأولوا على الله تعالى، فأكذبهم ومتعهم قليلاً، ثم اضطرهم إلى عذاب غليظ.

فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله، ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده ولم يحاده، فغرته الدنيا واطمأن إليها.

ثم إنك قد دعوتني إلى حكم القرآن، ولقد علمت أنك لست من أهل القرآن، ولست حكمه تريد.

والله المستعان.

وقد أجبنا القرآن إلى حكمه، ولسنا إياك أجبنا.

ومن لم يرض بحكم (القرآن)[1] **(فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)**.

---

(1) لعل هذه الكلمة سقطت من كتاب صفين للمنقري.

[والسلام على عباد الله الصالحين][1].

ونقول:

مقارنة ذات مغزى:

1 - كان معاوية يحاول أن يدَّعي: أن ثمة درجة من النِّدية بينه وبين علي «عليه السلام»، فكما أن علياً «عليه السلام» يرى أن له حقاً في الخلافة، فكذلك معاوية كان يظهر أنه يرى ذلك لنفسه أيضاً.

ويحاول أيضاً: أن يجعل بني أمية أنداداً لبني هاشم، وأبا سفيان نداً لأبي طالب، وهكذا..

ويشهد على ذلك عبارته التالية:

إن الأمر قد طال بيننا وبينك.

وكل واحد منا يرى أنه على الحق.

ولن يعطي واحد منا الطاعة للآخر.

وقد قتل فيما بيننا بشر كثير.

---

(1) صفين للمنقري ص493 و 494 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص225 و 226 وبحار الأنوار ج32 ص537 و 538 وشجرة طوبى ج2 ص342 و 343 ونهج السعادة ج4 ص273 - 275 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص190 - 192 وراجع: الأخبار الطوال ص191. وراجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص78 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص46 و 47.

وإنّا سوف نسأل عن ذلك الموطن.

ولا يحاسب به غيرى وغيرك.

فهل لك في أمر لنا ولك فيه حياة، وعذر، وبراءة.

فهل لك أن يحكم بيننا وبينك حكمان رضيان:

أحدهما من أصحابي، والآخر من أصحابك.

فيحكمان بما في كتاب الله بيننا.

فإنه خير لي ولك.

فتراه في هذه الفقرات كلها يسوق الكلام باتجاه هذه الندية، لتصبح المقابلة أمراً عفوياً. وتكون صيغة التحدث بها، بمثابة اعتراف بأمر واقع.

2 ـ لقد كان علي «عليه السلام» يجيبه باستمرار بالتأكيد على إبطال هذه المعادلة، فيقول له: ليس أمية كهاشم، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا الصريح كاللصيق، ولا المهاجر كالطليق، ولا المحق كالمبطل.. ونحو ذلك.

3 ـ إنه «عليه السلام» كان يصرح بأن ما يدعيه معاوية بأنه يرى أن له حقاً ونحو ذلك ما هو إلا زور وبهتان، لأنه طليق وابن طليق.

4 ـ ويرد على ادعائه الدين والإيمان: بأنه ليس من أهل الدين.

ويرد على ادعائه أنه يريد تحكيم القرآن: بأنه لا يريد حكم

القرآن، بل يريد المكيدة لهم، وخديعتهم، وبأنه ليس من أهل القرآن.

5 ـ والدرس الأساس الذي يجب تعلمه هنا: أن على أهل الحق أن يحذروا من أن يفرض عدوهم عليهم مصطلحاته، ويجرهم بصورة عفوية إلى استعمالها، والإقرار بها، ولا بد من منع تلك المصطلحات من التسلل إلى قاموس مصطلحات أهل الحق، وعليهم أن يبعدوها عن قاموسهم، وعن التداول الإعلامي بصورة نهائية..

علي × لم يجب معاوية:

وبقوله «عليه السلام»: «لسنا إياك أجبنا» يكون قد أعطانا «عليه السلام» درساً في اليقظة والرصد الدقيق للغايات والأهداف، حين رفض أن يسجل على نفسه اعترافاً بأنه قد أجاب معاوية إلى التحكيم.. ربما لأنه كان يعلم أن معاوية سوف يستعمل المكر والحيلة، فيدعي للناس بأنه «عليه السلام» قد رضي بالتحكيم وبكل نتائجه حقاً كانت أم باطلاً.

وسيحاول أن يقول للناس: إنه إذا خدع عمرو بن العاص أبا موسى، وحكما بما يخالف القرآن والدين، فليس لعلي «عليه السلام» أن يعترض أو حتى أن يتذمر أو يأسف، فإن فعل ذلك كان خائناً ـ والعياذ الله ـ لعهده، ناقضاً لوعده.

هذا عدا عن أن إجابته «عليه السلام» بالإيجاب سوف تفسر على أنها انتصار لمعاوية، وانكسار له «عليه السلام».

أما إن صرح «عليه السلام» برفض إجابتهم إلى حكم القرآن،

فسوف يُجعل ذلك من موجبات الحكم عليه بالكفر، زاعمين أنه قد رد حكم الله تعالى، وسيجعل ذريعة لتحريض الناس عليه، وربما انقلب عليه أصحابه العراقيون، واستحلوا دمه لأجل ذلك أيضاً.

ولذلك اختار «عليه السلام» طريقاً آخر جرى فيه وفق المسلمات الدينية والإيمانية، فصرح لمعاوية بالقاعدة التي تقول: من لم يرض بحكم القرآن، فقد ضل ضلالاً بعيداً.

ثم قال: فنحن نجيب القرآن، ولا نجيب دعوتك يا معاوية، أي لأنك تريد الكيد لنا، وخديعتنا، فنرجع إلى القرآن، ونأخذ بحكمه.. ولا نلزم أنفسنا بحكم أحد من الناس[1].

ولذلك قال «عليه السلام» لأبي موسى الأشعري: «أحكم بالقرآن، ولو في حز عنقي»[2].

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص78 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص47 وبحار الأنوار ج32 ص537 و 538 وج33 ص308 وشجرة طوبى ج2 ص342 و 343 ونهج السعادة ج4 ص274 و 275 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص225 و 226 وج17 ص12 والأخبار الطوال ص191 وصفين للمنقري ص493 و 494 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص191 و 192 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج6 ص198.

(2) راجع: أنساب الأشراف (ط الأعلمي) ص333 وتاريخ مدينة دمشق ج32 ص95 وج42 ص474 وسير أعلام النبلاء ج2 ص395 وتاريخ الإسلام

وبذلك يكون قد استلب من معاوية إمكانية أن يطالبه بالعمل بحكم الحكمين، بل عليه أن يطالبه بحكم القرآن. فإن كان حكم الحكمين موافقاً لحكم القرآن فبها.. وإن خالفه فهو مردود عليهما، ولا يكون ملزماً له «عليه السلام» بشيء، ولذلك قال له: «وقد أجبنا القرآن إلى حكمه، ولسنا إياك أجبنا».

وهذا درس هام جداً في ضرورة الحذر الشديد من التأثر ببعض الأجواء التي تمكِّن العدو من الحصول على تعهدات بأمور تكون لها لوازم يمكن للعدو أن ينفذ منها إلى العبث بالمسلمات، وإيقاع الطرف الآخر في مآزق صعبة، بل يجب أن لا يعطى العدو أي وعد أو عهد إن أمكن تحاشيه بالإلتزام بالمسلمات الشرعية العامة من دون إلزام يأتي من قبل العدو، ومن دون إعطاء الأشخاص بما هم أشخاص تعهدات بأي شيء.

امض على أمر الله:

قال ابن أعثم:

وأقبل حريث الطائي، وهو جريح مثقل، حتى وقف على علي «رضي الله عنه» وهو لما به، فبادره علي ورحب به، ثم قال له: كيف أنت يا أخا بني سنبس؟!

للذهبي ج3 ص548 وج4 ص145 وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج8 ص724 والتاريخ الصغير للبخاري ج1 ص125.

فقال: جريح دنف كما تراني، والذي بقي من عمري أقل مما مضى منه، ولكني أتيتك يا أمير المؤمنين في وقتي هذا لحق أقضيه.

فقال علي: قل ما تشاء.

فقال: جعلني الله فداك! أحكمٌ بعد حكم القرآن؟! وأمرٌ بعد أمر القرآن؟! وأمر الله يصب دماءنا ودماءهم، ومعنا حكم الله علينا وعليهم، فما الذي حملك على إجابة القوم على الحكم؟! امض على أمر الله ولا يستخفنك الذين لا يوقنون.

قال: فحثى قوم من أولئك القراء في وجهه التراب، وهموا بقتله.

فقال: كفوا عن الرجل!

قال: فتنحى من بين أيديهم وتفل(1)، فأحس بالموت، فأنشأ يقول:

يسائلني علي كيف حالي وحالي أنني دنف جريح
ومالي والذين حذى مقري سوى أني لسوءتها أصيح
وإني لا أقر بها وإني لأهل الدين والدنيا نصيح
أبا حسن هداك الله دعها ومتن أديمها منها صحيح
أتطمع في معاوية بن حرب وعمرو إن ذا منا قبيح
وقولهما ومن حجت إليه خفاف البزل في البيدا ربيح

قال: ثم لم يلبث أن مات رحمه الله، وبلغ علياً شعره، فقال: رحم

(1) لعل الصحيح: وثقل.

الله أخا طيء ولا عرفه قبيحاً من عمله(1).

ونقول:

1 ـ لعل الذين كانوا على رأي هذا الجريح، وعلى رأسهم مالك الأشتر «رحمه الله» كانوا كثيرين، ولكنهم كانوا غير قادرين على فعل شيء، لأن شعورهم بالمسؤولية ووعيهم يحجزهم عن أي تصرف أرعن وغير مسؤول، أما الفريق الآخر الذين كانوا يريدون وقف القتال، فهم كثيرون أيضاً، ولكنهم كانوا إما أعراباً جفاةً، وهمجاً رعاعاً، لا يفقهون، وقد أحبوا البقاء، ومالوا إلى الدنيا. وإما أنهم متآمرون على الحق وأهله، قد استمالهم معاوية إلى دنياه. فلا يرون سواها..

فلم يكن هناك سبيل إلى إقناعهم بالحق، مهما بلغت المخاطر، ولم يكن لديهم مانع، ولا يردعهم رادع عن سفك الدماء، وإلقاحها فتنة عمياء شوهاء، تأكل الأخضر واليابس.

ولكن علياً «عليه السلام» كان يريد من حريث، وأمثال حريث أن يجهروا بالحق، ويقيموا الحجة على هؤلاء المتآمرين وأولئك الأعراب، وطلاب الدنيا، لكي يحيا من حيي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، ولا تبقى الأمور مبهمة على الأجيال الآتية.

2 ـ إن هذا الرجل قد أكد على وضوح حكم القرآن في أمر

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص200.

القاسطين الخارجين على إمامهم، وبذلك يصبح التحكيم بلا معنى..

وقد كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يوضح حكم القاسطين للناس، ويستدل عليهم بهذه الأحكام الإلهية، وبالآيات القرآنية. فلم يكن فيهم جاهل ولا مستضعف، وبات واضحاً لدى المخالف والمؤالف أن الدعوة إلى التحكيم ليست إلا مكيدة وخديعة.

3 - إن هذا الرجل يصرح: بأن أمر معاوية وعمرو بن العاص وبعدهما عن الدين والحق، هو من البداهة والوضوح بحيث يقبح من أي إنسان عاقل أن يطمع في إنابتهما إلى الحق والدين.

لا بد من الوفاء:

وروى المنقري:

عن عمر بن سعد، عن رجل، عن شقيق بن سلمة قال: جاءت عصابة من القراء قد سلوا سيوفهم واضعيها على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تنتظر بهؤلاء القوم أن نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم بالحق.

فقال لهم علي: قد جعلنا حُكم القرآن بيننا وبينهم، ولا يحل قتالهم حتى ننظر بم يحكم القرآن(1).

ونقول:

---

(1) صفين للمنقري ص497.

بم يحكم القرآن؟!:

إن ما يعنينا في هذا النص أمران:

أولهما: أننا وجدنا جماعة من القرَّاء يطالبون علياً «عليه السلام» بأن يهاجم ويهاجموا معه جيش معاوية، مع أنهم قد عاينوا ما جرى له مع الأشعث، والعشرين ألفاً الذين تهددوه، وأصروا على ترك القتال معه.

فما معنى أن يطالبه هؤلاء الآن بالعودة إلى قتال معاوية بعد أن جرى ما جرى؟! ألا يدل ذلك على قصر نظر، وعدم تدبر منهم للأمور ولعواقبها؟! فلم يحسب هؤلاء حساباً للفتنة التي ستحدث في أصحابه «عليه السلام» لو أنه استجاب لطلب هؤلاء بالهجوم.

الثاني: إنه «عليه السلام» قد تحاشى في جوابه التصريح بأنه عاهد معاوية وأصحابه على شيء، أو وعدهم بشيء، بل ذكر «عليه السلام»: أنه جعل القرآن بينه وبينهم، ونسب هذا الجعل إلى نفسه، ولم يشر إلى أن معاوية وأصحابه قد طلبوا ذلك، فاستجاب لهم..

وهذا منسجم مع ما تقدم، من أنه «عليه السلام» قال لمعاوية: وقد أجبنا القرآن إلى حكمه، ولسنا إياك أجبنا.

والملاحظ أيضاً: أنه «عليه السلام» لم يقل: لا يحل قتالهم حتى يحكم الحكمان بما في القرآن، بل قال: حتى ننظر بم يحكم القرآن. مما يعني: أن حكم الحكمين لا يعنيه، ولا يقيم له وزناً.. بل المعيار ما هو موجود في القرآن.

وهذه دقة متناهية قد لا يستطيع كل أحد أن يراعيها، ويراعي سائر الإحتمالات إلى هذا الحد في جواب عفوي، وعلى البديهة، إلا إن كان أمير المؤمنين «عليه السلام».

علي × لا يعرِّض همدان لعداء الناس:

وروى المنقري، عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة، عن أبى الوداك قال: لما تداعى الناس إلى الصلح بعد رفع المصاحف ـ قال ـ قال على «عليه السلام»: إنما فعلت ما فعلت لما بدا فيكم الخور والفشل ـ هما الضعف ـ.

فجمع سعيد بن قيس قومه، ثم جاء في رجراجة من همدان، كأنها ركن حصير ـ يعنى جبلاً باليمن ـ فيهم عبد الرحمن، غلام له ذؤابة، فقال سعيد: ها أنذا وقومي، لا نرادك ولا نرد عليك، فمرنا بما شئت.

قال: أما لو كان هذا قبل رفع المصاحف لأزلتهم عن عسكرهم، أو تنفرد سالفتي قبل ذلك، ولكن انصرفوا راشدين، فلعمري ما كنت لأعرض قبيلة واحدة للناس(1).

ونقول:

الرجراجة: التي تموج من كثرتها.

---

(1) صفين للمنقري ص520 ونهج السعادة ج8 ص473.

تنفرد سالفتي: أي أموت. والسالفة هي صفحة العنق.. يقال: انفردت سالفته: إذا انفصلت عما يليها.

هل ضيع علي × الفرصة؟!:

إن همدان هي إحدى قبائل اليمن، وكانت لها مواقف مشكورة في صفين، وقد مدحها علي «عليه السلام» بقوله المعروف:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقد جمع سعيد بن قيس همدان عند أمير المؤمنين «عليه السلام». وأعلنوا استعدادهم لكل ما يأمرهم به.

ولكن هذا كان بعد فوات الأوان ـ كما قال أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ ولو كانوا جاؤوه قبل رفع المصاحف، لكان قد حسم الأمر بهم، لأنه ـ كما قال ـ كان سيهاجم به معاوية وجيشه حتى يزيلهم عن مواضعهم، وتلك هي هزيمتهم، وتقويض سلطانهم..

والسؤال هنا: إنه إذا كان الأمر بهذه البساطة، فلماذا لم يبادر أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى إصدار أوامره إليهم بالهجوم قبل رفع المصاحف، وينتهي الأمر؟!

ونجيب:

بأنه «عليه السلام» لم يفعل ذلك، لأنه لا يريد أن يكره أحداً على قتال، أو أن يعرضه لما لا يطاق، بل يريد منهم أن يبادروا هم إلى الجهاد حين يقتنعون به، ويرضون بتحمل قسط من تبعاته

ومسؤولياته، وتعريض أنفسهم لهذا القدر من التضحيات، ومواجهة ما ينشأ عن ذلك من أحقاد وعداوات. نعم لا يريد ذلك، لأن أمر الجهاد يحتاج إلى مبادرة وقصد، ونية من أشخاص المجاهدين.. ولو حصل وعرضت همدان نفسها قبل رفع المصاحف، لوجدت غيرها يشاركها في هذا الأمر.. ولكان المراد قد حصل بأيسر مما هو عليه.

أما بعد رفع المصاحف، فقد اختلفت الأمور، فإنه لو أمرهم بذلك لانحصرت التبعات، وتمحضت الأحقاد بهم، وانصب عضب جميع الموتورين عليهم.. وذلك يعني ملاحقتهم للإنتقام منهم تحت كل حجر ومدر إلى أن يتم استئصالهم.

وهو «عليه السلام» أرأف وأرحم بهم من أن يعرضهم لمثل هذا المصير.. لا سيما إذا كانت النتائج غير مضمونة، بل ربما كانت كارثية على الجميع، إذا توافق الذين صاروا فيما بعد خوارج مع القاسطين على حربهم، كما كان متوقعاً.

الفهــــارس

1 - الفهرس الإجمالي
2 - الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الفصل التاسع: لسان قيس، وسيف العكبر.............................. 7

الفصل العاشر: إصرار علي × على مبارزة معاوية.. 33

الفصل الحادي عشر: بدائل معاوية في مبارزة علي ×............. 53

الفصل الثاني عشر: فاشل.. وعاتب!! 77

الباب العاشر: إلى أن توقف القتال..

الفصل الأول: تهديد علي × أرعبهم.. 103

الفصل الثاني: يوم الهرير.. وليلة الهرير............................. 137

الفصل الثالث: التوضيحات رقم 1 التوطئة لقرع الطبول.. 159

الفصل الرابع: التوضيحات رقم 2 آخر المعارك.. 181

الفصل الخامس: أمطرت السماء دماً.................................. 211

الفصل السادس: رفع المصاحف....................................... 237

الفصل السابع: حتمية وقف القتال.. 255

الفصل الثامن: لله الأمر من قبل ومن بعد.. 289
الفصل التاسع: القاسطون على أحر من الجمر.. 305
الفهارس:.. 347

2 - الفهرس التفصيلي

الفصل التاسع: لسان قيس، وسيف العكبر..

حقد معاوية على الأنصار:... 9

النعمان بن بشير، وقيس بن سعد: 13

إيضاحات: 16

المصطلحات المختارة:... 16

كلام قيس هو الأنكى:.. 18

العكبر يقتل فارس أهل الشام: 19

إيضاحات: 22

العكبر فارس أهل الكوفة:.. 23

العكبر: وعي واتزان: 24

العهد الذي لدى أصحاب علي ×:... 24

متى يكون الصبر؟!:.. 25

فتنة المؤمنين، ليمتاز الصادقون: 26

ليعملن الله الذين صدقوا: 27

عوف بن مجزاة يكذب: 28

حب الحسين أجنني: 29

لا تلق نفسك إلى التهلكة: 31

الفصل العاشر: إصرار علي × على مبارزة معاوية..

أكره مبارزة الأهوج: 35

معاوية يخجل من إلحاح علي ×: 36

تكرار الطلب لسحب الذرايع: 36

لقد أنصفك الرجل: 37

الأهوج الشجاع: 38

وا نفساه، أيطاع معاوية وأعصى؟!: 40

معاوية ومبارزة علي ×: 40

ايضاحات: 43

لماذا إلى التل؟!: 44

معاوية استحيا من قريش: 47

شكوك لها مبرراتها؟!: 48

غضب أبرهة لماذا؟!: 49

سرور علي × بخطبة ابن الصباح: 49

معاوية يعالج مشكلته: 50

توضيح لا بد منه: 51

الفصل الحادي عشر: بدائل معاوية في مبارزة علي ×..

علي × يبارز عروة: 55

إيضاحات: 62

عروة أغيظ لعلي من معاوية: 64

لقد عاينت النار: 65

هكذا يرثون موتاهم: 67

معاوية واغتيال علي: 68

لا بد من صرف الأنظار: 70

هل أحرجوه، فأخرجوه؟!: 70

المخاطرة في سبيل الشهرة: 72

مقارنة ذات مغزى: 73

ليست الثكلى كالمستأجرة: 74

معاوية أولى بهذه الفضيحة من بسر: 75

لماذا أمرهم بترك بسر؟!: 75

أدال الله عمرواً منك: 76

تذكير: 76

الفصل الثاني عشر: فاشل.. وعاتب!!

أخو معاوية وابن أخت علي ×: 79
إيضاحات: 85
ملامة معاوية لزعماء قريش: 86
رواية المنقري هي الأصح: 88
عجز النخبة عند معاوية:.. 89
وجحدوا بها:... 91
أمرتكم بمثاقفته:.. 92
علي لا يأذن لأولاده بالمبارزة: 92
مروان يهدد بالإنقلاب: 95
جعدة يلقم عتبة حجراً: 96
النتيجة:.. 99

الباب العاشر: إلى أن توقف القتال..

الفصل الأول: تهديد علي × أرعبهم..

الحرب النفسية أثمرت:.. 105
رعب معاوية من الأشتر:... 108
إيضاحات: 114
الحرب النفسية: 116

مغالطات معاوية:.. 119

هل كان ابن الضحاك عيناً؟!: 121

قصيدة تهزم جيشاً: 121

ابن العاص وكتاب معاوية: 124

علي × لا يعطي معاوية الشام: 125

معاوية يخلط بين الأمور: 128

الأخلاَّء.. الأعداء:.. 130

تعظيم عمرو لعلي ×:.. 130

الأشتر يسوِّي الصفوف: 132

إيضاحات: 133

القتال أو الكفر:.. 133

الفصل الثاني: يوم الهرير.. وليلة الهرير

بداية: 139

الوقعة الخميسية، وليلة الهرير: 139

دعاء يوم الهرير:.. 142

قتال علي × : 145

أبو جعفر يصف يوم الهرير:.. 147

ليلة الهرير:... 149

جهاد الأشتر: 152
خطبة علي × ومكيدة عمرو:... 154
إيضاحات: 156

الفصل الثالث: التوضيحات رقم 1 التوطئة لقرع الطبول..

حضور رسول الله ’ في صفين: 161
كلام علي × في الميدان:.. 166
الحديث عن الربح والخسارة: 166
قاعدة الأهم والمهم: 167
لماذا اختيار ورود المنايا؟!:... 168
سؤال.. وجوابه: 171
تساؤلات لا بد من معالجتها: 172
تساؤلات حول أئمة الكفر:... 172
تكفير القاسطين: 174
إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ:.. 175
علي × في مقدمة طالبي الموت:....................................... 177
ضرب الطبول:.. 178

الفصل الرابع: التوضيحات رقم 2 آخر المعارك..

دعاء الكرب يوم الهرير:.. 183
لمجرد التذكير، وتقديم النموذج: 185

جهاد علي × في صفين: 190

يغافل أصحابه، ويحمل على العدو: 190

لأقتلن معاوية وأصحابه: 191

تكبيرة لكل قتيل: 195

لا يقتل الإمام × من في صلبه مؤمن:................................ 197

قتل أعلام العرب: 198

لا سيف إلا ذو الفقار: 199

إقتحام سرادق معاوية:.. 200

الله الله في الحرمات: 200

أي رجل هذا لو كانت له نية!!: 201

يقاتلون أصحابهم بالجهل:.. 203

عدد القتلى في ليلة الهرير:... 203

الصلاة يوم وليلة الهرير: 207

الأشتر: فدى لكم عمي وخالي:.. 207

الخطبة التي أخافت معاوية: 208

اعترافات ابن العاص:.. 210

الفصل الخامس: أمطرت السماء دماً..

السماء تمطر دماً ليلة الهرير:....................................... 213

لماذا فرس أنثى؟! 214
هل هو الأشعث؟!: 214
ابن العاص يخدع نفسه وأصحابه:.................................... 215
أفعجبتم أن مطرت السماء دماً؟!:.................................... 216
شواهد ونظائر: 217
البريطانيون يثبتون هذه الحادثة:.................................... 224
نصوص أخرى تدل وتؤيد:.. 226
إمطار الدم تكرر كثيراً: 230
نماذج مختارة: 231
ابن الجوزي يفسر هذه الظاهرة:.................................... 234
لماذا أمطرت دما؟!: 235

الفصل السادس: رفع المصاحف..

كتاب معاوية أثناء حرب صفين: 239
جواب أمير المؤمنين ×: 240
رمتني بدائها وانسلت: 242
أهل الشام وعقد الخلافة: 243
إرهاصات رفع المصاحف:.. 244
رفع المصاحف: 246
مكر تزول منه الجبال: 248

قيمة أقوال الأشعث؟!: 250

هكذا تلقفها معاوية وأهل الشام: 252

الفصل السابع: حتمية وقف القتال..

اللحظات الأولى لرفع المصاحف:....................................... 257

إرغام الأشتر على وقف القتال:.. 258

إيضاحات: 266

هل أخطأ الأشتر، وعدي بن حاتم؟!: 267

الأشعث متآمر: 269

كلمة حق يراد بها باطل: 271

أعيروني سواعدكم: 276

مضامين كلامه × للخوارج:.. 277

هل تلكأ الأشتر؟!: 278

هل ساررت رسولي؟!:... 279

قاتلناهم لله، وندع قتالهم لله:... 280

قتل أماثلكم، وبقي أراذلكم:.. 283

الإفتراء على أمير المؤمنين × بحضوره:........................... 284

لماذا سكت أمير المؤمنين ×؟!: 285

دلالات في شعر ابن الأسود: 286

خوف معاوية من الأشتر: 287

الفصل الثامن: لله الأمر من قبل ومن بعد..

الدعاء قبل وبعد رفع المصاحف:.. 291
دعاء البداية ودعاء النهاية: 296
صرخة إبليس: 297
هذا الدعاء: 301

الفصل التاسع: القاسطون على أحرّ من الجمر..

إلحاح القاسطين:.. 307
توضيحات: 310
أطمعت القوم فيك:.. 310
القاسطون مستعجلون: 311
إيضاحات: 317
هذا الحوار:.. 318
رواية المنقري أصوب: 318
رواية ابن أعثم مرفوضة:.. 319
خطأ شقيق بن ثور: 321
كلمات حضين &: 322
كلام رفاعة بن شداد: 323
نتائج يتوقعها علي ×: 324

كتاب معاوية لعلي ×: 326

الموت أجمل من الحياة على الضيم: 327

مكاتبات بين علي × وابن العاص: 330

كتاب علي × إلى ابن العاص: 331

نجيب القرآن.. ولا نجيب معاوية: 333

مقارنة ذات مغزى: 336

علي × لم يجب معاوية:... 337

إمض على أمر الله: 340

لا بد من الوفاء:.. 342

بم يحكم القرآن؟!: 343

علي × لا يعرِّض همدان لعداء الناس:................................ 344

هل ضيع علي × الفرصة؟!:... 345

الفهارس:.. 347

1 ـ الفهرس الإجمالي... 349

2 ـ الفهرس التفصيلي 351